قاموس جون ديوى للتربية

«مختارات من مؤلفاته»

جمعها : رالف ن. وين
ترجمة وتقديم : الدكتور محمد على العريان
تصدير : عبد العزيز سلامه

قاموس جون ديوي للتربية

«مختارات من مؤلفاته»

نشر هذا الكتاب بالاشتراك
مــــع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة ـ نيويورك
فبراير سنة ١٩٦٤

قاموس جون ديوى للتربية

«مختارات من مؤلفاته»

جمعها

رالف ن. وين

ترجمة وتقديم

الدكتور محمد على العريان

تصدير

عبد العزيز سلامة
عميد كلية المعلمين

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد
القاهرة

المشتركون فى هذا الكتاب

المحرر : رالف ن. وين

جمع مادة هذاالكتاب من مؤلفات چون ديوى المختلفة .

مؤلف مادة الكتاب : چون ديوى

ولد بمدينة ڤرمونت عام ١٨٥٩ ، والتحق بجامعة ڤرمونت فى الخامسة عشرة من عمره ، وحصل منها على أعلى درجات حصل عليها طالب فى مادة الفلسفة . وبعد تخرجه فى عام ١٨٧٩ نشر أول بحث له فى الفلسفة فى احدى المجلات العلمية ، وقوبل هذا البحث بالثناء مما شجعه على احتراف الفلسفة . وفى عام ١٨٨٤ منحته جامعة هوبكنز درجة الدكتوراه فى الفلسفة ، والحق بقسم الفلسفة بجامعة ميتشجان .

وفى عام ١٨٩٤ انتقل ديوى الى جامعة شيكاجو التى كانت قد تاسست وقتئذ وعين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية ، وفيها قام بثورته التربوية المسماة «التربية التقدمية» وقد أنشأ مدرسة تجريبية لتطبيق نظرياته الجديدة ، واثبت أنها عملية . غير أن القائمين على شئون الجامعة لم يقروا هذه التجارب ، فاضطر الى الاستقالة فى عام ١٩٠٤ منتقلا الى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا حيث ظل بها الى سن التقاعد فى عام ١٩٣٠ .

وقد ظل ديوى يبدى نشاطا فى اتحاد المعلمين بنيويورك الى ان استطاع اليساريون أن يتغلبوا على السلطة فيه ، وعلى ذلك انتقل ديوى الى الاتحاد الذى أنشأه المعلمون غير اليساريين وأسهم فى تنظيمه . وكان أيضا من مؤسسى اتحاد الحريات المدنية للأمريكيين وجمعية أساتذة الجامعات الأمريكيين .

وتوفى چون ديوى فى أول يونيو عام ١٩٥٢ .

المترجم وصاحب المقدمة : الدكتور محمد على العريان

استاذ التربية بكلية المعلمين . حصل على ليسانس الآداب ، قسم اللغة الانجليزية من كلية الآداب جامعة القاهرة مع درجة الامتياز سنة ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين بالقاهرة مع مرتبة الشرف سنة ١٩٤٠ . درس فى اكسفورد واكستر بانجلترا وحصل على دبلوم اللغة الانجليزية ، ثم حصل على درجة الماجستير فى التربية وعلم النفس من جامعة كولومبيا سنة ١٩٥٠ ، ودرجة الدكتوراه فى التربية من جامعة كولومبيا

سنة ١٩٥٢ ومنحته هذه الجامعة ميدالية الخدمة العلمية الممتازة سنة ١٩٥٤ · شغل عدة مناصب هامة فعمل مديرا لمكتب الاستعلامات السياحية بنيويورك ، ثم عمل بقسم الاذاعة والترجمة بمقر الامم المتحدة بنيويورك ، كذلك عمل بدار التحرير للطبع والنشر · وهو يعمـــل الآن أســـتاذا للتربية بكلية المعلمين بالقاهرة · ترجم كتاب « النفس المنبثقة » و « نظرات فى الثقافة » و « أحاديث للمعلمين» و « النشـــاط المدرسى فى المرحـــلة الثانوية » و « لمـــاذا نعلم » وهى جميعا من الكتب التى أصدرتها هذه المؤسسة ·

مصمم الغلاف : محمد اسماعيل صالح

تخرج فى كلية السلام الانجليزية ، يعمل حاليا بشركة الطيران العربية المتحدة · صمم عدة أغلفة لكتب المؤسسة ·

قائمة المحتويات

تصدير

بقلم

الأستاذ عبد العزيز سلامة

عميد كلية المعلمين – القاهرة

ترجمة هذا الكتاب مسئولية كبيرة ليست بالهينة . لقد قال أفلاطون مرة : « انك من أجل أن تعرف الحق أو السداد ينبغى لك أن تواقعه » .

والذى يتصدى لترجمة هـذا الكتاب ينبغى له أن يكون قد واقع فلسفة چون ديوى ، وتفقه فيها ، وهضمها ، وتمثلها . ولقد كان من حظ مترجم هذا الكتاب أن درس وتتلمذ فى كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بنيويورك على أستاذ من كبار المربين المحدثين ومن تلاميذ ديوى وزملائه فى زعامة حركة التربية الحديثة وهو : ل . توماس هوپكنز الذى قام مترجم هذا الكتاب أيضا بترجمة كتابه « النفس المنبثقة » الذى نشرته مؤسسة فرانكلين بالقاهرة منذ نحو ثلاثة أعوام .

فالدكتور محمد على العريان — تلميذ چون ديوى بطريق غير مباشر وغير منكور . انه من أشد الناس تأثرا بفلسفة چون ديوى فى التربية ، تلمس ذلك فى طلابه الذين يعدهم للاضطلاع برسالة التربية والتعليم ، وتلمس ذلك فى كتبه فى التربية وفى التحليل النفسى والاجتماعى ، بل تلمس ذلك فى مسلكه ، وفى تعليقه على الأمور والأحداث ، وفى تطبيقه للمنهاج الاشتراكى الديموقراطى .

بل ان العريان ليذهب الى مدى بعيد فى ديويته ؛ فهو يقيس نضج كل مرب بمقدار تطبيقه وممارسته لمفاهيم چون ديوى ، وهو فى هذا كثيرا ما يخوض العباب ويغالب التيار ويصارع الموج .

على أننى لا أغلو اذا قلت ان مجرد التصدى لترجمة مثل هذا السفر الجامع انجاز يدل على الاقدام والاقتحام .

فليس ثمة مساغ للشك فى أن المترجم قد أسدى الى المربين العرب خدمة جليلة بترجمة هذا الكتاب الذى بذل فيه جهدا يلمسه القارىء فى كل سطر من سطوره . ولا يخفى أن التمكن من اللغة وحده ليس شفيعا لأن يتصدى المترجم لترجمة مثل هذا الكتاب ، اذ لابد أن يكون المترجم قد درس چون ديوى دراسة مستفيضة وقرأ الأصول التى اختيرت منها هذه الأقباس ، والا ظلم نفسه وبخس چون ديوى حقه وقــدم للقارىء العربى صورة فجة مبتسرة تسىء الى كلام المنشىء الأصيل .

فلولا أن المترجم حجة فى فلسفة چون ديوى ملم بظواهرها وبواطنها ، قادر على التصرف بالمعانى والكلمات واختيار الكلمة العربية المطابقة للمعنى الذى يقصده چون ديوى ، لما استطاع أن يوفق بين كلامه المترجم وفكر چون ديوى ، ولما استطاع الفكاك من القيود التى تفرضها ترجمة مثل هذه الأقباس التى اختارها جامع هذا السفر من كل مؤلفات ديوى ثم صنف منها قاموسا أسماه « قاموس چون ديوى للتربية » .

فچون ديوى « فيلسوف كالآلة التى لها قوة ألف حصان ، يحتاج الى مترجم له نفس القوة » على حد تعبير الأستاذ ل . توماس هوپكنز أستاذ المترجم وتلميذ چون ديوى .

ولقد وفقت مؤسسة فرانكلين بالقاهرة فى اختيار خير مترجم لخير كتاب .

فعملية الترجمة — تنحل آخر الأمر — الى عملية تفكير مع المنشىء الأصيل ، ثم التوفيق بين فكر المترجم وفكر المنشىء الأصيل ونقل الفكرة الجديدة الملهمة الى اللغة المترجمة .

فالترجمة تقتضى التشرب الذى يجعل الفكرة المترجمة تسرى فى كيان المترجم ويتمثلها ويستوعبها .

وأكبر الظن ، بل أقوى اليقين ، أن الدكتور محمد على العريان عندما يترجم لديوى فهو يغرف من نهر يقدمه شرابا عذبا فراتا لذة للقارئين .

ثمة كلمة بشأن محتوى هذا الكتاب .

فأهم ظاهرة فى المفاهيم الواردة فى هذا القاموس أنها تسبح على موجة عالية من التفاؤل على خلاف كثير من الكتب التى تكتب فى الفلسفة والتربية والتى كثيرا ما تبدد الأمل بدلا من أن تبدد اليأس أو الغموض وتخرج منها وكأنك كنت فى بهو من المرايا — الخيال فيها يعكس خيالا آخر بحيث يصعب الاهتداء الى الأصل .

والظاهرة الثانية الجديرة بالتسجيل هى أننا لو أنعمنا النظر فى معظم مفاهيمه لوجدناها ذات بعدين : بعد وطنى قومى ، وبعد انسانى عالمى .

ولكن ما يثير اعجابنا نحن العرب بصفة خاصة ، وكذلك اعجاب الأمم الأخرى فى چون ديوى ، أنه من أئمة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية .

وما أحرانا نحن العرب أن نتمعن مفاهيم رجل يربطنا به هذا النسب الاشتراكى الديموقراطى التعاونى فيجعل بيننا وبينه نوعا من القربى التى تؤلف بين القلوب مهما تباعد الزمان أو اختلف المكان .

ولقد وُصف ديوى بأنه شاعر يكتب بالنثر ، وهذا صحيح . وقيل عنه انه رجل علم يصوغ الحقائق العلمية التجريبية فى قالب موسوعى فلسفى ، وهذا أيضا لا مراء فيه . وهذا الكتاب يضع بين أيدينا ثروة فكرية فى قاموس صغير على غرار « ما قل ودل » .

وهو يضع فى أيدينا هذه الثروة ونحن بصدد مراجعة مؤسساتنا التربوية واعادة تقويمها تقويما اشتراكيا ديمقراطيا فى مرحلة حاسمة من تطورنا الاجتماعى والاقتصادى والعلمى .

ولست أحب أن أختم هذه الكلمة قبل أن أنصف المترجم الذى لا يحتاج الى انصاف ، وهو لا يحتاج الى الانصاف الا فى موضع واحد ، وهو موضع الكلام عن نفسه .

فلم أر أحدا يجور على الدكتور محمد على العريان كما يجور الدكتور محمد على العريان على فضله وقدره ، وقد طاب له منذ سنوات أن يدأب على أن يبخس نفسه حقها .

وأحسب أنه يفعل ذلك لأنه ينظر الى أعلى ولا ينظر الى أدنى ، فيقيس ما عمل بما أراد أن يعمل ، فاذا هو دون ما أراد ، وان كان فوق ما أراده عاملون آخرون .

ولقد شاء الله لترجمة هذا الكتاب أن تنتهى بعمل مشرق أمين على يد مترجم مهما اقتضت صلتى به أن أقتصد فى عبارة التقدير فلن يمنعنى ذلك من أن أفخر بأن الترجمة قد جاءت للأصل الرائع صنوا رائعا وعليه غلالة شفافة بديعة من لدن العريان !

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

هذا كتاب سينفع الناس ، وسيمكث فى وعيهم ، وفى سعيهم ..

مقدمة

بقلم

الدكتور على محمد العريان

روى عن جون ديوى أنه قال :

« أنا لا أخشى بأس الذين يخالفوننى فى الرأى ويحاربوننى بكل سلاح فى حوزتهم ، ولكنى أخشى بأس أولئك الذين ينطقون باسمى وينتمون الى التربية التقدمية عندما يمرع كلامى فى أفواههم ، وتجدب التربية التقدمية فى مسلكهم بل وتصبح واضحة بغيابها » .

وهذه كلمة لابد منها فى تسويغ ترجمة كتاب « قاموس جون ديوى للتربية » الذى قام باعداده وتبويبه وتنسيقه رالف وين جامع هذا السفر الجليل .

فلم نقصد بهذه الترجمة أن ننقل الى القارىء العربى بصفة عامة ، ولرجال التربية والتعليم والفلسفة بصفة خاصة ، كلاما جاهزا فى شكل قاموس لرجل يعتبر بحق فيلسوف القرن العشرين غير منازع ، ولقطب اقترنت التربية التقدمية باسمه منذ مطلع هذا القرن حتى الآن ، وانما قصد بهذه الترجمة — على حد تعبير جامع هذا السفر — أن تزود القارىء بمفاهيم لا تعاريف ، وبخمير من الرأى للتدبر والتمعن لا فطير للاستهلاك ، بحيث تبدو وجهة نظر ديوى فى القضايا الكلية الواردة فى سطور هذه الأقباس واضحة جلية فى سياق تسلسلى .

وحتى اذا سمينا هذه الأقباس تعريفات فهى ليست جامعة ولا مانعة ؛ فهى ليست جامعة بمعنى أنها لم تحط بكل شىء خبرا ، وهى ليست مانعة

بمعنى أنها لم تغلق باب الاجتهاد أو تمنع من يبتغى أن يضيف اليها أو يجادل فيها بالتى هى أحسن .

فالذى صنف هذا القاموس واقتبس مختاراته من بين كل مؤلفات چون ديوى لم يقصد أن يضع فى أفواهنا فطيرا للالتهام ، وانما « خميرا » للتفكير والمراجعة والتمحيص على محك الواقع التجريبى ، والا فقد ظلمنا ديوى وظلمنا أنفسنا .

فالأمر الذى لا شك فيه أن بعض تعريفات ديوى ومفاهيمه قد تصطدم بتفكيرنا ومعتقداتنا وآرائنا ، ولكنها فى نفس الوقت تهيب بنا أن نعالجها بعقل مفتوح ، وبمنهاج علمى لا عوج فيه ولا أمت .

وفى هذا الصدد يقول هوايتهيد : ! ان تصادم الآراء والمذاهب ليس كارثة ، وانما هو فرصة » .

وأحب أن أضيف الى قول هوايتهيد ثلاث مشارطات ، أو بالأحرى ثلاثة « اذا » : أنه فرصة :

١ — اذا كان اختلاف الآراء وتصادمها حافزا على الفكر الذكى .

٢ — اذا جعل من اختلاف الآراء نقطة بداية للبحث والتمحيص والمراجعة .

٣ — اذا ارتضت كل الأطراف المعنية بالأمر النتائج المستخرجة من البحث العلمى الدقيق ، مهما تخالف سابق تحيزاتها ، ومهما تجاف المألوف الشائع ، ومهما تصطدم بالواقع .

ذلك هو المنطق « البراجماتى » فى تطبيقه العملى للمنهج العلمى بخطواته الأساسية على كل شئون الحياة والتربية ، وهو المنطق الذى سلكه ديوى فى صياغة مفاهيمه الواردة بين دفتى هذا القاموس .

وهو منطق من « يتفكرون » ومن « يتدبرون » من « أولى النهى » و « أولى الألباب » .

وهو منطق : هل يستوى الذين « يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ ولولا هذا المنطق البراجماتى ما تقدم العلم ، ولما تغيرت « الحقائق » العلمية ، ولظل الانسان قابعا فى أصفاد السحر والكهانة والطوطمية والرجعية .

ولولاه أيضا لما أفاد الانســان من ثمرات العلم والدين ، بل لولاه لما ناهز الانسان ذروة الروحانية فى أسمى منجزاتهاالانسانية .

ثمة تحذير أحب أن أنبه اليه بصدد هذا القاموس ، فكلمة قاموس محفوفة بالالتباس فيما يتعلق بهذا الكتاب بالذات :

فالكتاب قاموس فى معنى من المعانى .

وليس قاموسا فى معنى آخر .

فهو قاموس من ناحية التبويب والتصنيف والفهرسة ، وهو ليس قاموسا بالمعنى الشائع المتعارف عليه لقواميس الكلام بمعانيها .

انه قاموس مفاهيم اختارها جامع هذا السفر وبوبها بترتيب أبجدى ؛ اختارها من أقوال عدة عالج فيها چون ديوى نفس الموضوع فى أكثر من موضع ، وفى أكثر من كتاب ، واعتبرها جامع هذا السفر ممثلة لوجهة نظر چون ديوى بالقياس الى كل مفهوم على حدة . وهــذا الاختيــار — بالضرورة — محــدود بطبيعته . وهــذا الاقتبــاس — بداهة — لم يستنفد كل أقوال ديوى فى أى موضوع ، وانما جمع من بينها ما عنّ لجامع هذا السفر أن يضمه بين دفتى هذا القاموس تحت رأس موضوع معين أو مفهوم قائم بذاته .

ومن ثم نرى قولا واحدا فى موضوع معين يقابله عشرة أو خمسة عشر فى موضوع آخر .

ولعل نفرا ممن تعمقوا دراسة چون ديوى يرون أن بعض ما قال فى موضوع معين بالذات كان ينبغى أن يوضع فى هذا السفر بدلا مما اختاره

جامع هذا القاموس ، أو أن يضاف الى بقية الأقباس الأخرى ، وهم فى ذلك على حق .

ولكن جامع هذا السفر أيضا على حق ؛

فهو يقول للقارىء فى مقدمته انه اختار هذه الأقوال من كلام چون ديوى بالذات دون غيرها لأنها فى نظره أكثر ابرازا لوجهة نظر ديوى بشأن كل مفهوم دون غيرها .

ومعنى ذلك ضمنا أن فى وسع القارىء المتعمق فى دراسة چون ديوى أن يختار غيرها اذا شاء ، أو يضيف اليها من كنوز ديوى ومن معينه الذى لا ينضب ، بل لعلها تكون حافزا لمن ابتغى وراء ذلك ، وأولئك هم الراسخون فى چون ديوى .

بل ولعلها أيضا تفتح لنا الباب لكى نقوم بدراسات مماثلة عن أقطاب فلاسفتنا وعلمائنا العرب فنجمع مفاهيمهم على غرار هذا السفر ، وبذلك تكون لهذا الكتاب فائدة مزدوجة ، من حيث نفعه المباشر ، ومن حيث النسج على منواله فى دراسات مماثلة نميط بها اللثام عن الكنوز الثمينة فى تراثنا العربى .

فالقاموس الذى بين يدينا قاموس استمد نصوصه من ضرورات الوجود .

قاموس تعبق من كل مفهوم فيه عطور التفوق العقلى .

قاموس وُصف صاحبه بأنه من « أولئك الرجال القليلين الذين استحقوا شكر الانسانية لما بذلوه فى سبيلها من فطنة وعمل وصالح » .

وانه لوصف حاذق بقدر ما هو صادق . قاموس تبهرنا فيه بطولات الفتح الانسانى الذى يجمع الشتات .

قاموس نقض فيه ديوى كثيرا من الفروض الآبدة وأودعها مرقدها الأخير الى غير رجعة ، ثم زودنا بمعوضات أسمح وأجدى وأقوم سبيلا .

قاموس — كهذا — بمثابة ترسيخ لمعانى الاشتراكية والديموقراطية والتعاونية هو أخلق الضيوف جميعا بالحفاوة فى المكتبة العربية .

ولست أدعى أننى محيط بجون ديوى خبرا ، عـلى الرغم من أننى رجعت للأصول التى اقتبست منها هذه المفاهيم ، ولم يكن ذلك بالأمر الهـين .

ولست أدعى أيضا أننى وفقت التوفيق كله فى نقل كل مفهوم الى العربية . ولقد كنت أجد فى بعضها عسرا شديدا يحتاج الى ترويض كبير قبل تطويعه للترجمة . ومرد ذلك ليس الى افتقار لغة الضاد الى الكلمات ؛ لأن لغتنا هى أغنى وأعمق وأشمل لغات الانسان طرا . ومرد ذلك ليس الى جدة هذه الموضوعات ، وانما مرده الى طريقة جون ديوى نفسه وأسلوبه فى التحليل الذى لا يخلو من جدة وابتكار ، ليس على القارىء العربى فحسب ، ولكن على قراء الانجليزية أيضا . وأشهد أننى رجعت الى كل قبس من هذه الأقباس فى سياقه الأصلى وأن ذلك أعاننى — الى حد ما — على الوفاء بالتزاماتى نحو القارىء العربى بصفة عامة ، ونحو رجال التربية والتعليم بصفة خاصـة ، ونحو جون ديوى نفسه الذى يجمع المربون المحدثون فى مشارق الأرض ومغاربها على أنه امام التربية والفلسفة فى القرن العشرين بلا منازع . ويقوم فى يقينى أن كل التطورات التربوية التى ستحدث فى النصف الثانى من هذا القرن ستكون تطورات فى الاتجاه الديوى البراجماتى .

وربما كان من أخص النتائج التى ينطوى عليها هذا القاموس وأبهرها فى تاريخ التربية الحديثة وحاضرها ومستقبلها أنه ما من اصلاح تربوى اشتراكى ديمقراطى تعاونى انسانى ، تم فى حياة ديوى أو من بعده الا وقد أخذ بمفاهيم ديوى الأساسية فى الحيـاة والتربية والاقتصاد والمجتمع والسياسة والعمل والادارة .

على أن هـذا القاموس خال من المأثورية أو المذهبية التى تتمسك بمذهب وتتعصب له بحق أو باطل ، فلا مأثورية فى منهجه الأساسى ، وبخاصة من حيث تضميناته التى تستمد من ذلك المنهاج ، سواء أكان هذا فى الأقباس التى اختارها جامع هذا السفر من كتابات ديوى ، أم فى النقول التى استمدها ديوى نفسه من فلاسفة آخرين .

فمنهاج ديوى فى التربية والاصلاح لم يكن عملا تقويضيا مفاجئا وانما هو نهج تقويمى تدريجى . وهذه الأقباس — ترفعنا على ما أعتقد — الى ذروة نشرف منها على ذلك اللج الواسع ، لج الفلسفة والتربية .

أما اذا جازفت بأن أنغمر فيه ، وأتصدى لترجمته ، فليس ذلك عن ايمان بقدرتى على السبح والغوص ، بل ابتغاء أن أعترف ، وأن يعرف القارىء كم هو عميق ذلك اللج !!

لقد كان من حظى ومن همى أن وكل الىّ ترجمة هذا القاموس .

ولكن ليس من حقى أن أسمى هذه العجالة كلمة تقديم ؛ فان چون ديوى مقدَّم مقدِّم ، له من بحوثه ومؤلفاته ومقالاته وتلاميذه ومريديه وكلماته الخالدة رسل شتى تتقدم به الى كل مكان تصل اليه الكلمة المطبوعة ، أو يصل اليه تلاميذ من تتلمذوا على چون ديوى .

وليس من حقى أن أسميها كلمة تعريف ، فاننى لو ذهبت أعرف أهل التربية والاجتماع وعلم النفس والسياسة والفلسفة بچون ديوى لم آمن أن أسمع من العالم العربى كله كلمة يستعيرونها من الفرزدق ليقولوا لى : « العرب تعرف من عرفت » فلا حاجة بچون ديوى الى تعريف.

لكنى أستطيع أن أقول عن چون ديوى شيئا جديدا فيما يتصل بى وشيئا طريفا فيما يتعلق بترجمة هذا الكتاب الذى تقدمه لقراء العربية على استحياء .

فلقد بعث الىّ بهذا القاموس أستاذى السابق بجامعة كولومبيا

بنيويورك ل . توماس هوپكنز ، وهو من تلاميذ چون ديوى وزملائه فى زعامة حركة التربية الحديثة .

وقرأت القاموس ولم أنم ليلتئذ حتى فرغت منه ، وفى الصباح ذهبت الى مؤسسة فرانكلين بالقاهرة وطلبت موعدا لمقابلة السيد المستشار العام الأستاذ حسن جلال العروسى ، وسمّى لى السيد المستشار العام هـذا الموعد ، فلما دخلت عليه وحييته ورد التحية بأحسن منها بدأت فى قراءة مقدمة القاموس التى صدّر بها جامعه هـذا الكتاب ، ومضيت أقرأ وهو ينصت ، ومرت ساعة وساعة وأنا أقرأ وهو ينصت حتى نال منى الجهد ، وهو لم يجهده طول الانصات فتركت بين يديه القاموس .

وفى صبيحة اليـوم التالى دعيت الى مقابلته فابتـدرنى قائلا : « لم أستطع أن أنام ليلتى حتى فرغت من قراءة هذا الكتاب الذى أهداه لك أستاذك هوپكنز وأرجو أن نوفق فى اهدائه الى القارىء العربى » . وعلى الرغم مما كنت أشعر به من ضئولة وسائلى وعظم الصعاب التى ينبغى لى أن أذللها فى ترجمة هذه المفاهيم ، فقد فرحت بهذا العمل وكتبت لأستاذى هوپكنز بذلك فرد على قائلا :

« ان چون ديوى فيلسوف كالآلة التى لها قوة ألف حصان يحتاج الى مترجم له نفس القوة والفراهة » ولست أدرى اذا كانت هذه العبارة من قبيل المدح فى قوة المترجم أم من قبيل القدح .

الحكم للقارى .

على أننى بالقياس — الى نفسى — أفيد من هذه المفاهيم لأقيس بها تقدم نفسى ، وأستحث بها تخلفها ، وأحملها على السير وفقها ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

فهذا الكتاب يأتينا والتربية فى العالم كله تفىء آخر أقذار أمعائهـا المتخلفة من رواسب الرجعية والاستبدادية .

وولاؤنا للحرية والاشتراكية والديموقراطية يطالبنا بأن نقاوم كل صور التنكس العقلى غير مستثنين منها شيئا .

والأزمة التربوية التى يجتاز العالم غمارها هى لفائدتنا اذ تسوقنا الى أن نعيد النظر فى فكراتنا التى كوناها عن كثير من المسائل وأن نصفيها ، لا فى المجالين الاقتصادى والسياسى فحسب ، بل فى المجال التربوى بصفة خاصة وقبل كل شىء .

وبين يدينا فى هذا القاموس مبتدعات صافية خالصة نستطيع أن نستضىء بنور مفاهيمها فى سيرنا الطويل نحو تربية أفضل .

ان النتيجة التى نصل اليها فى هذه الجولة التى نجولها فى جوانب هذا القاموس ، لن تكون عبثا وان تذهب سدى على ما أحدس ، اذا وصلنا بها الى تفسير قد يساعدنا على فهم القضايا التربوية بصورة أوضح ولو اختلفنا فى التفسير مع جون ديوى نفسه .

والمتتبع لكل مفهوم على حدة يلاحظ عليها جميعا تماسك أجزائها وانسجامها وائتلافها وتناغمها بحيث تكون نسقا تام النمو مكتمل التكوين متين السبك ، صدر عن عقل مهيمن محيط يدور حول فكرة رئيسية واحدة هى :

التربية الاشتراكية الديموقراطية التعاونية ، وأنه أعطانا فى كل مفهوم مفتاحا نفتح به بابا من أبواب الاشتراكية فى التربية على مصاريعها . وما أحرانا نحن العرب ، ونحن نخطط لمستقبلنا الاشتراكى ، أن نتمعن مفاهيم رجل هو من أقطاب التربية الاشتراكية الديموقراطية .

فجون ديوى لم يربح الحياة لنفسه وحدها بل مكّن الآخرين من أن يربحوها .

ولقد بدأ فى أعين التقليديين والرجعيين متمردا وانتهى اماما ورائدا .

لأنه من أولى العزم .

ومهما يكن من أمر هذه المفاهيم فخليق بنا ألا نتلقاها أحكاما جاهزة بغير أن تمر فى أنبوبة الاختبار الخاصة بكل منا .

فاذا مرت فى أنبوبة الاختبار وتحولت من فكرة الى خبرة فلنجاهد ونجالد لنشق طريق أبنائنا صعدا نحو هذه الماثلات الاشتراكية الديموقراطية .

ان چون ديوى ينتمى للانسانية جميعا ، لا لبلد بعينه .

صحيح أن چون ديوى فيلسوف أمريكى ولكنه لم يكتب لأمريكا والأمريكيين الا بالقدر الذى تفرضه عليه دواعى القومية والوطنية باعتبارهما ركيزة لأى تعاون دولى ينتظم كل الشعوب والأقوام والأوطان .

وصحيح أن چون ديوى ولد وعاش ومات فى أمريكا ولكنه بكل مقياس فيلسوف عالمى وعالم موسوعى كتب للانسانية كلها وعالج قضايا التفكير كلها علاجا انسانيا شاملا محيطا .

ومن ثم فان چون ديوى ينبغى أن يترجم الى جميع اللغات ، فما من قوم ، أو مجتمع ، أو وطن ، أو ايدلوچية ، أو ثقافة الا وهى واجدة فى چون ديوى خيطا من نسيجها ، وقبسا من نورها ، وصدى لما يعتمل فيها من آمال وتطلعات .

ان الأصول العميقة التى يرد اليها كل موضوع أو قضية أو مفهوم من المعانى الواردة فى هذا القاموس التربوى يثور حولها من الجدل ووجهات النظر المتعددة ما يتطلب كتابا مستقلا لكل موضوع أو قضية أو مفهوم ، سواء فيما يتعلق بالاثبات أو النفى ، التداخل أو التخارج ، القبول أو الدحض .

والأمر الذى لا شك فيه أن چون ديوى قد أفلح فى توضيح وجهة نظره وأنه رتق الفتوق المصطنعة بين الفلسفة والعلم وبين التعليم والحياة وبين الحياة والاعداد للحياة .

بيد أن چون ديوى يتميز بخصيصة فريدة فى كل ما قال وما كتب وهى أن فلسفته فى شمولها واحاطتها بكل قضية فكرية وبكل منشط ثقافى ، تبدأ وتنتهى بعالم الواقع والمحسوس مع الجدة والطرافة بل ومناهزة حد الاعجاز الفريد فى تاريخ التفكير الانسانى .

وليس من ينكر أن فلسفة چون ديوى زاخرة بالمجادلات والمسائل الخلافية ، فتلك ضربة لازب على كل فلسفة وعلى كل فيلسوف ، لا مناص منهــا .

ولكن العالم الذى يجادل فى أمره چون ديوى — بعلم — ليس عالما من صنع مجادلاته ولا من خلق حججه .

ذلك أن مجادلاته وحججه ومعانيه تستند الى الخبرة ، وتشير اليها ، وتشتق منها ، وتحكمها الخبرة — خبرة العالم الواقعى المشترك .

وهذه الصفة — صفة تحكم وضبط المجادلات الفلسفية عن العالم بوســاطة الخبرة — هى ما يعنيه ديوى أساسا بالتجريبية فى الفلســفة أو بالمنهاج البراجماتى . فليس ثمة مناطق محرمة من الوجود أو الحقيقة— لا يدخلها الا الفلاسفة وحدهم لمجرد أنهم يحملون بيمينهم جواز مرور فلسفى صادر من لدنهم وعليه خاتمهم .

فجواز المرور المفضى الى الوجود أو الحقيقة أو الحق هو جواز المرور الذى تملأ بياناته وتوقعه وتلصق طوابعه وتتضمنه الخبرة العامة المشتركة .

ومالم يدرك الفلاسفة هذه الحقيقة ، ومالم يتقبلوا انسانيتهم المشتركة بقبول حسن وبدون « تحفظات » عقلية ، فلن يستطيعوا أن يؤدوا أية وظيفة ذكية فى المجتمع ، ولن يأملوا أن يجعلوا من الفلسفة شيئا حيا نابضا وقوة تقدمية دافقة فعالة فى حياتنا الانسانية المشتركة .

وهنا تتجلى عبقرية ديوى الفذة كفيلسوف ومربٍّ . فتفسير أى مشكلة عنده وتحديدها هما نقطة البداية لمراجعتها واعادة فحص جوانبها عــلى

نحو يتسم بالذكاء والكفاية والپراجماتيه ، وبهذه الطريقة يضع أنامله على بيت الداء ويطب له بالدواء .

ولا توجد نظرية تعلو على الاختبار أو لا تخضع للتطبيق والفلسفة فى هذا شأنها شأن العلم .

والفلاسفة على هذا مثلهم كمثل العلماء سواء بسواء . وركيزة چون ديوى ودعامته وقاعدته الأساسية وحجته الدامغة بالقياس الى المنهاج الفلسفى هى أن النظرية فى الفلسفة — أى نظرية — كل نظرية ، لا تتمتع بميزة تخولها حقوقا فوقية تعلو على أى نظرية علمية ، ومن ثم يتحتم أن تخضع لما يخضع له العلم من تمحيص وتجريب واختبار على محك التطبيق العملى . ولكى نفقه مفاهيم ديوى بشأن العلاقة بين الفلسفة والثقافة والعلم والتربية ، فمن اللازم أن نضع نصب أعيننا أن ديوى يعتبر الفلسفة جزءا من الثقافة تتفاعل مع كل أجزائها بدرجات متفاوتة من الحساسية والفعالية .

واذا آثرنا الدقة فأولى بنا أن نقول ان ديوى يعالج الفلسفة فى الثقافة ، لا الفلسفة مع الثقافة .

ولكون الفلسفة فى الثقافة ، ولكونها جزءا ملتحما بمقوماتها يتفاعل مع بقية أجزائها ، فمن الخطل تفسير دور الفلسفة على أنه سبب لها أو نتيجة على نحو كلى .

ففى كل عملية تفاعل ، لا مناص من تقاطع وتماسّ السبب والنتيجة على نحو ما .

بل ان هذا التقاطع والتماسّ هما بالتحديد ، ما يكيّف دور الفلسفة فى الثقافة وفى التربية .

نتساءل فى ضوء ما تقدم :

ما هى الطريقة المثلى للافادة من هذا الكتاب ؟

خمير الرأى خير من فطيره .

وهذا القاموس قاموس مفاهيم ، وليس قاموس كلمات وتعاريف .

والمعلم الحكيم ليس هـــو الشخص الذى يلقن المعارف لتلاميذه ، وانما هو الشخص الذى يوقظ فيهم المآرب العالية ويشحذ هممهم الى نيلها وتحقيقها بأنفسهم .

انه شرارة الاشتعال لا خزان الوقود .

والمثل العليا الواردة بين دفتى هذا القاموس أشبه شىء بالكواكب قد لا تستطيع أن تلمسها بيديك ، ولكنك تستطيع كالبحار فى عرض البحر أن تتخذ منها دليلا وهاديا اذا اتبعته فزت بهدفك المأمول فى تحقيق التربية الاشتراكية الديموقراطية التعاونية . فلتكن هذه المفاهيم تذكيرا وتبصيرا ، ولتكن حافزا أكثر منها شرحا وتفسيرا . وخليق بنا أن نتساءل معشر المربين العرب عما عسى أن يكون فى ختام هذا القرن بعد كل هذا « المخاض » التربوى .

ترى أتكون مفاهيم ديوى هى السائدة فيحل السلام العالمى محـــل الحرب الساخنة والباردة ، ويحل الاتحاد محل الانفصال ، والتسامح محل التعصب ، والذكاء محل الغباء ، والبركة محل البوار ؟

هل هذه المفاهيم هى بوادر الاقتراب من جنة التربية ؟

وما السؤال الذى يجب أن نقف عنده بعد قراءة هذا القاموس ؟

أنت يا صاحبى القارىء صاحب السؤال .

وأنت صاحب الجواب .

أمامك علامات ضوئية تركها جون ديوى للمربين وبين يديك تحليل أنزل القضايا الخلافية الأساسية فى التربية والحياة من عالم الظن والتعصب الى مائدة المختبر العلمى ومحك التجريب .

وهو بهذا فعل فعل الرواد العظام .

لقد كان چون ديوى — ككل مرب عظيم مثل المحيط .
هادئا وقويا ..
وكضوء الفجر مبشرا ونديا ..
وكروح الربيع مبهجا وثريا ..

القاهرة ١٩٦٣/٨/٨

تقـــديم

بقـــلم

چون هيرمان راندال

كان چون ديوى بالضرورة ناقدا .

بيد أنه لم يكن مجرد ناقد فحسب ، أو بصفة أولية للمشاكل التقليدية للفلاسـفة المحترفين أصحاب الصنعة ، وانما كان ناقدا فذا ، من ذلك الطراز الشامخ الذى لا يبلغه الا ذوو الأسلوب الرفيع .

ومن ثم وجه تحليله لما أسماه — على سـبيل المقارنة — « بمشاكل الناس » . وكان يعنى بذلك القضايا الفكرية برمتها من ألفها الى يائها — ولقــد شهد چون ديوى الانبثاق الوليــد لقرننا بسماته ، وملامحه ، وخصائصه ، كعصر علمى ، تكنولوچى — دولى حيث يقف الانجــاز الهائل الذى بلغه النشاط التعاونى للناس فى جماعات — مزعزعا معلقا فوق التوترات المتنقلة والحزازات والعداوات المتولدة من تلك الجماعات .

وفى كل هذه الأفكار والمشاكل المتضمنة فى هذه الصعوبات المعقدة المتشابكة — يدلى ديوى بدلوه ويقطع فيها برأى يبديه — يتسم عادة بطابع الجدة ، ويتسم دائما بالخطورة والمغزى البالغ الدلالة .

ذلك أن ديوى كان ينفذ الى لب الأمور ، ومن ثم كان يرى أشـياء كثيرة فى علاقات جديدة ، ويحاول أن يعبر عن بصائر مبتكرة أصيلة .

لذلك كان لا يفتأ يحاول مرة ومرة أن يجعل المعنى الذى يقصده واضحا ، واضعا فكرته تارة بصيغة معينة ، وتارة بصيغة أخرى .

وفى الصفحات العديدة التى قدر له أن يكتبها ليس من الميسور أن تجد أكثر صياغاته كشفا وأرشقها أسلوبا .

وفى هذا السفر المجمع الذى صنفه الدكتور وين — حيث جمعت أكثر العبارات نفاذا وأقواها ايحاء ، واختيرت بكل دقة وعناية ، ثم بوبت وفصلت — عون كبير لكلا القارىء المتخصص الذى يريد أن يخوض بكل عزم وقوة فى عبارات ديوى ، والقارىء العادى الذى يبغى مدخلا ميسرا لتفكير ديوى البتار وأكثره بتا فى المسائل الحاسمة .

على أن ديوى لم يشهر كعلم من أعلام الأسلوب ، على غرار وليام جيمس مثلا . فهو لم يصطنع استعارات زاهيــة ساطعة تلصق بالذاكرة ولا تبرحها ، ولكنه كان يترك طبيعتها ومعناها الدقيق فى نزاع وخلاف .

وهو فى كتابته مثلما هو فى تعليمه أمام مجموعة من الطلاب فى قاعة المدرسة ، فهو أولا وقبل كل شىء رجل يفكر فى الأمور ، ويستخرج النتائج من المقدمات ، ويشق تفــكيره فى المشــكلة محاولا جهد استطاعته أن يستوضحها فى عقله ، ثم يمضى فى طريقه متابعا الفكرة ودلالتها وما تفضى اليه وما تتضمنه بالقياس الى المشاكل الأخرى ، فهو يلتقط الفكرة ويمسك بها وينظر اليها من مختلف الزوايا ثم يقرنها الى فكرة أخرى ويزاوج بينهما ويقارن ، ثم ينظر اليهما معا فى ضوء جديد ، ثم يتابع سلسلة التفــكير الجديد الناشىء من هذا التزاوج .. ثم يرجع البصر كرة أخــرى معاودا النظر فى الفكرة الأولى لكى يمحصها ثانية لبداية ثانية .

وفى أثناء ذلك كله ، يتكلم ويعلق على ما يفعله وعلى ما يكتشفه . والقارىء — مثله كمثل الدارسين الذين استمعوا اليه من قبل — متمتع بنفس الميزة ، ميزة الاستماع اليه وهو يتحدث ويحاول ويجــادل ويناقش فيحس أنه ينصت الى حديث رائع بارع كاشف لعقــل حصيف يتحدث بصوت عال .

ولكن القارىء كثيرا جدا ما يتناول من ديوى أكثر من ذلك — انه يفكر معه ويتابع حديثه ، ثم لا يلبث أن يجد يد ديوى مبسوطة اليه كل البسط لكى تساعفه وتؤازره ريثما يتهيأ للانتقال من فكرة لأخرى . وابان ذلك يعمد ديوى الى تلخيص وايجاز ما أطنب فيه فى كلمات أحسن اختيارها تضع كل الأمور الى نصابها ، فتارة يفعل ذلك بضرب مثل توضيحى يجعل الفكرة ترسخ فى ذهن القارىء رسوخا محكما ، وطورا يصطبغ هـذا الايجاز ووضع المشكلة المطروحة على بساط البحث بطريقة جديدة تلصق بالذاكرة . وحينما يبلغ هـذا المأرب بالاثارة العامدة التخضيضية التى تستنفز القارىء وتحفزه على التفكير يكون قد شرع كل ما فى جعبته من أسلحة الهجوم والدفاع .

وعادة ما يعقل ديوى ذلك كله متحاشيا الاصطلاحات الفنية للخبر مؤثرا الحديث فى اللغة الشائعة الدارجة التى لا ترهق القارىء من أمره عسرا .

وفى أوقات يلجأ فيها الى استعمال الكلمات « المحلية » التى يجترها من رصيده المذخور من حياته الأولى فى ڤرمونت ، أو من الحديث الأمريكى المألوف الحيوى النابض الذى كان يتعامل به ابان شبابه الباكر فى الوسط الغربى .

وليس ثمة ريب فى أن الأثر الذى يحدثه هذا الأسلوب أثر كهربى .

فهاهنا الذكاء نفسه يتحدث حديثا بالغ الدلالة والعمق الى مشكلة الناس ؛ ذلك أن ديوى أستاذ لا يبارى فى فن « ما قل ودل » ، وجهبذ فذ فى براعة التفكير الموجز القاطع الحاسم .

ومن ثم تجد فى هذه الحكم Apothegms معينا زاخرا بالالهـام والحكمة ، يحملنا على ألا نتركها مغمورة أو مطمورة فى ثنـايا السطور والصفحات التى ترقد فى طواياها .

ورفاهتها ، ولكن لكونه غير مسقط ولا عادل وعديم المبالاة بالنسبة لحقوق الآخرين ومطالبهم ودعاواهم العادلة .

انظر أيضا : الأطفـال (١) — الطبيعة الانسـانية (٤) — السـلام . المدرسة (٥) — النفس (٥) .

الاحتمال (الممكن) : Possibility :—

١ — الاحتمالات أهم من الراهن القائم فعلا — ومعرفة ما هو كائن لا قيمة له الا فى ارتباطه بالامكانات المحتملة .

٢ — ان العلاقة بين الأشياء كما نعرف، والأشياء بالقياس الى القيمة ، هى العلاقة بين الواقع والممكن ؛ « فالواقع » يتألف من ظروف معينة بالذات ، و « الممكن » يدل على الغايات أو النهايات أو النتائج التى لا توجد الآن ، ولكن التى فى وسع الواقع الراهن أن يخرجها الى حيز الوجود عن طريق تثميرها .

ومن ثم فان الممكن بالقياس الى أى وضع واقعى راهن معين هو ماثلة ذلك الوضع المبتغاة .. وثمة طرق ثلاث لتمثل العالم بهيئة كمالية :

الأولى عن طريق السبل والعمليات الفكرية والمنطقية البحت ، حيث يحاول التفكر وحده أن يبرهن أن العـالم له خصائص وسـمات ترضى وتشبع أسمى أمانينا .

وهناك أيضا لحظات التذوق العاطفى الحـاد عن طريق التحام موفق لحالة النفس مع العالم المحيط حيث يتجلى جمال الوجـود وتناغمه فى اهتزازات هى الاتمام المباشر البالغ حد الكمال لكل ما تتوق اليه .

ثم هناك ثالثا ، الأعمال الموجهة بالتفكير على غرار تلك التى تتجلى

---

(١) "Progressive Education and the Science of Education", in the Progressive Education, V (1928).

(٢) The Quest for Certainty.

فى منجزات الفن الجميل وفى كل العلاقات الانسانية التى تبلغ حد الكمال بالحب والاكتراث والرعاية .

فأما الطريق الأول فقد سلكه كثير من الفلاسفة ، وأما الثانى فبقدر ما يستمر ويبقى فهو أكثر تكريسا واستخداما . ذلك أنه يضع معيار أفكارنا عن الممكنات التى يتعين علينا تحقيقها بالجهد الذكى المبذول ، ولكن موضوعاتها تتوقف على الحظ والتوفيق وهى لذلك غير مأمونة .

أما الطريقة الثالثة — فتمثل منهاج السعى المقصود فى طلب ضمان وتأمين القيم التى نتمتع بها بفضل وبركة لحظاتنا السعيدة .

٣ — الممكنات والاحتمالات تتجسد فى الأعمال الفنية التى لا تتحقق فى الواقع من الأمر ، فى مجال آخر .

٤ — لا يعيش أى واحد من الناس فى عالم وجد فيه كل شىء فى كل الأوقات — بلغ حد الكمال . فاذا فهم المرء معنى هذه الحقيقة ، فقد تعلم أن يكون حيا حاسا للممكنات . فالأحسن الممكن سينظر اليه عندئذ على أنه الحسن والخير والطيب — والوحيد الحسن والخير والطيب — بالقياس الى وضع أو موقف . وهذا المبدأ قابل للتطبيق بالنسبة للبحث العلمى تماما كما هو قابل للتطبيق بالنسبة لأية مسألة خلقية سواء بسواء .

انظر أيضا : المستقبل (٤) — المثل العليا (٢) — التحررية (٣) — الموضوعات (٢) — التعدد — التفكير (١٢) — القيمة .

الأحـــلام : Dreams :—

١ — ان الأحلام ليست أشياء خارج نطاق مجرى نسق الأحداث المطردة — وانما هى منها وفيها .

---

(٣) Art as Experience.

(٤) Reply in The Philosophy of John Dewey (a Symposium) ed. by P.A. Schilpp).

(١) In the Creative Intelligence : Essays in the Pragmatic Attitude (a Symposium).

وتدبير الأمر والتمعن عند التصرف معناه عدم التيقن ، ومن ثم ترجيح لزوم الحاجة والى تقرير أى الطريقين أجدى وأفضل وأقوم سبيلا .

٣ — كل الأحكام الأخلاقية تجريبية ، ومن ثم خاضعة للمراجعة .

٤ — لماذا وضعت الأخلاق قواعد — تنأى بهذه الدرجة عن الطبيعة الانسانية بحيث تتميز بأنها غريبة وأجنبية عنها .

٥ — فى وسع الأخلاق أن تكون علما يتطور وينمو اذا قدر لها أن تكون علما على الاطلاق — ليس فقط لأن الحقيقة كلها لم تعين وتفرز بعد على يد عقل الانسان ، ولكن لأن الحياة سبيل متحرك تبلى فيه الحقيقة الأخلاقية القديمة وتتوقف عن التطبيق .

٦ — ليست الأخلاق مبحثا قائما بذاته لأنها ليست حادثة استطرادية عارضة أو حلقة أو قسما أو فرعا قائما بذاته . وانما هى تميز القضية الأساسية والمسألة المحورية فى كل القوى المتجمعة الملتحمة للحياة .

٧ — عندما تكون الحياة الاجتماعية فى حالة تدفق وكرور ومداولة بين الناس ، فان القضايا الأخلاقية لا تقتصر على الامتثال والانحراف ، وانما تتركز فى قيمة التدابير والنظم الاجتماعية ، والقوانين والتقاليد الموروثة التى تبلورت وترسبت فى شكل نظم ومؤسسات ، وكذلك فى التغييرات المرغوب فيها .

وعلى هذا فان النظم تفقد ما يحيط بها من هالات القداسة وتصبح مسائل قابلة للتمحيص الأخلاقى ونحن الآن نعيش فى مثل هذا العصر .

---

(٣) Ibid.

(٤) Human Nature and Conduct.

(٥) Ibid.

(٦) "Credo ", in the Living Philosophies (a Symposium).

(٧) Ethics (with J.H. Tufts ; revised ed.

٨ — كما أن الحياة المادية لا يمكن أن توجد بدون عون وسند بيئة مادية ، فكذلك الحياة الأخلاقية لا يمكن أن تستمر بدون عون وسند بيئة أخلاقية .

انظر أيضا : المناقشة (٢) — العلاقات الدولية (٢) — الكمال .

الأداء : **Action :—**

١ — ليس فى وسعنا أن نبلغ الصحة أو الثروة أو التعلم أو العدل أو الرحمة — على نحو عام دون تخصيص .

فالأداء دائما — أداء معين — ملموس — له أبعاد محددة — صادر عن شخص معين أو أشخاص معينين — فريد فذ .

٢ — الأداء هو لب الأفكار وقلبها .

٣ — لا يوجد أداء على أى نحو — كما بينا باصرار — يستطيع أن يفضى الى أى شىء يناهز اليقين المطلق ، وانما يزود السالك بالضمان أو التأمين ، وليس بالتوكيد ولا باليقين على سبيل الجزم .

فالأداء أو الفعل معرض دائما للخطر — خطر الاحباط أو الكبت .

انظر أيضا : الأهداف والغايات (٢) — العقيدة (١) — الديموقراطية (٣) — الخبرة (١) — المعرفة (٥) ، (١٠) — الحرفة (٤) — الفلسفة (٣) — المسئولية (١) — الذات (٣) — النظرية (٣) — الفهم (٤) .

---

(٨) Art as Experience.

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) The quest for Certainty.

(٣) Ibid.

Children :— الأطفال :

١ — ان الزعم الذى يدعى أن الأطفال أنانيون بالطبيعة ، ليس سوى نوع من حب الذات الذى يتعارض مع أنانية الكبار .

فالنسبة للشخص الكبير المستغرق فى شئونه الخاصة لدرجة أنه لا يهتم بشئون الأطفال ، فان الأطفال — بلا ريب — يبدون فى نظره مستغرقين فى شئونهم الخاصة على نحو مفرط وغير معقول .

٢ — بسبب اعتماد الطفل الجسمانى على الكبار وعجزه — فان صلاته وارتباطاته بالطبيعة تتم عن طريق أشخاص آخرين ؛ فالأم ، والحاضنة ، والأب ، وغيرهم من الأطفال الكبار يقررون أى الخبرات يمارسها الطفل ، وهم الذين بيدهم أمره ، وهم دائما يصدرون اليه التعليمات والأوامر بالقياس الى معنى ما يفعله وما يفعل حياله .

ومن ثم فان المفاهيم الدارجة الشائعة — اجتماعيا — والتى تعتبر هامة فى نظر من بيدهم أمره — تصبح مبادىء الطفل فى التفسير والتقدير — قبل أن يتمكن من التحكم الارادى والشخصى فى مسلكه — لوقت طويل .

ذلك أن الطفل يتلقى المعانى وقد اكتست فى لغة معينة ذات مضامين محددة ، ومن ثم فهى لا ترد الى وعيه فى حالة عرى مادى مجرد لنخلع عليها ما شاء من المعانى والأسماء . وهذه الخلة من الاتصال والبلاغ هى التى تجعل منه مشتركا فى عقائد ومعانى من يعيش بين ظهرانيهم .

انظر أيضا : التربية (٨) ، (٩) — التعلم (١) — الطاعة — القراءة — المدرسة (١) ، (٥) — التعليم (١) ، (٦) .

---

(١) Democracy and Education.

(٢) Reconstruction in Philosophy.

Belief :— **الاعتقـــاد :**

١ — ان أى اعتقاد — من حيث هو اعتقاد — هو تجريبى وفرضى — وهو ليس شيئا يتصرف بمقتضاه فحسب — وانما هو شىء يتشكل ويصاغ بالقياس الى وظيفته كموجه للسلوك .

وبناء على ذلك فانه ينبغى أن يكون آخر شىء فى الحياة يلتقط التقاطا كيفما اتفق ثم يتشبث به تشبثا جامدا متزمتا .

٢ — ان المعتقدات فى الأخلاق الدارجـة والسياسة والدين تتميز بظاهرة الخـوف الشديد من التغيير والاحســاس بأن النظام والنسق والسلطة التنظيمية لا يمكن بلوغها الا بالرجوع الى معايير ثابتة يسلم بها كنهايات وخواتيم ، لأنها ترجع الى حقائق سابقة ثابتة .

فخارج نطاق البحوث المادية نحن نتهيب المشكلات وننفر من اماطة اللثام عن الصعوبات الجدية الخطيرة فى أعماقها وأغوارها وأبعد آمادها ، ونفضل ونؤثر تقبل ما هو راهن وقائم ، ثم نتعثر ونمضى فى طريقنا كمن يخوض الوحل .

٣ — لا توجد عقيدة — أيا كانت وأنى كانت — بلغت من الرسوخ والاستقرار والتسليم حدا يعفيها من التعرض لمزيد من التمحيص والبحث.

٤ — ابان الفترات التى كانت العادات الاجتماعية فيها ساكنة آسنة — عندما كان انعزال الجماعات بعضها عن بعض هو القاعدة ، كان من الميسور نسبيا على الناس أن يعيشوا فى ظل نوع من الوثوقية الراضية

---

(١) The Quest for Certainty.

(٢) Ibid.

(٣) Logic : The Theory of Inquiry

(٤) "Antinaturalism in Extremis" in Naturalism and the Human Spirit (a Symposium, ed. by Y.H. Krikorian).

بالنسبة لخاتمة مطاف ما يمارسونه ويعتقدونه باعتباره الكلمة الأخيرة بالقياس الى ما يؤمنون به ويسلمون به .

بيد أن ذلك الزمان ذهب الى غير رجعة .

فلقد أصبحت مشكلة بلوغ التفاهم المتبادل والوصول الى درجة معقولة من التعاون الودى بين مختلف الشعوب والأجناس والطبقات ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشكلة الوصول بالوسائل السلمية والديموقراطية — الى نوع من الملاءمة والتكيف والمواءمة العملية القابلة للتطبيق — بين القيم والمعايير والغايات التى توجد الآن فى حالة صراع واحتراب .

انظر أيضا : الأطفال (٢) — الرغبة — والطريقة التجريبية (١) ، (٢) — المنطق — الولاء (٢) — الدين (٢) ، (٧) ، (٩) .

الأفكار : Ideas :—

١ — لا تعتبر الأفكار حقيقة خالصة الا اذا كانت أدوات للبحث عن مادة لحل مشكلة .

٢ — ألغ الأفكار وما يترتب عليها — ولن يكون الانسان خيراً من وحوش البرية .

٣ — محك الأفكار ، بل محك التفكير بصفة عامة — رابض فى نتائج الأعمال والتصرفات والأحداث التى تفضى اليها الأفكار — أى فى التدابير الجديدة فى الأمور التى تستحدث فى الوجود .

٤ — ان الأفكار تجريبية ليس الا ، أو هى بمثابة ، فروض عاملة حتى

(١) How we think.

(٢) The Quest for Certainty.

(٣) Ibid.

(٤) "Logic", in the Encyclopedia of the Social Sciences, IX.

يتسنى تعديلها أو نبذها أو تأييدها وإثباتها على محك النتائج الحادثة بمقتضى العمل بهذه الأفكار .

انظر أيضا : التجريد (٣) — الأداء (٢) — المناقشة (١) — المنهاج التجريبى (٣) ، (٤) — الجهل — الفلسفة (٥) — المجتمع (٣) — الكلمات (٢) ، (٤) .

الاقتصاد : Economics :—

١ — الاقتصاد هو علم الظواهر الناجمة من حب واحد ونفور واحد — ألا وهما : الكسب والعمل .

انظر أيضا : العمل — السلام — القوة (٢) — الانتاج والاستهلاك (٢).

الآلة : Machine :—

١ — تعتمد الآلات فى عملها وأدائها وسيرها على حقائق ومبادىء للطبيعة — معقدة لا يدركها العامل مالم يكن قد ألم بتدريب عقلى خاص .

ذلك أن عامل الآلة — على خلاف العامل اليدوى القديم — يتبع ذكاء الآخرين وينقاد له انقيادا أعمى ، بدلا من أن يتبع معرفته الذاتية بالمواد والأدوات والسبل .

٢ — ان عصر الآلة يشكل مناهضة تستحث الهمم لتوليد مفاهيم جديدة للمثالى وللروحى .

٣ — الانتاج الآلى معناه رصيد من القوة لا حد له ، فاذا كنا قد

(١) Human Nature and Conduct.

(١) Schools of to-morrow (with Evelyn Dewey).

(٢) Individualism, old and new.

(٣) Ibid.

سخرنا هذه القوة للدولار بدلا من تحرير واخصاب الحياة الانسانية ، فمرد ذلك الى أننا رضينا بأن نظل قابعين فى أصفاد الأهداف والقيم التقليدية .

انظر أيضا : الحقائق (٢) — العالم (٢) .

God :— **الله :**

١ — لفظ الله — فى سمة من سماته — لا يمكن أن يعنى الا كائنا معينا بذاته . وفى سمة أخرى يومىء الى وحدة كل الغايات المثالية التى تحفزنا على الرغبات والأعمال .

فهل لهذا التوحيد « دعوى » أو حق يفرض نفسه على اتجاهنا ومسلكنا فى الحياة — لأنه فعلا — منفردا عنا — قائم فى وجود محقق ؟ أم لسبب ما فيه من معنى وليد ذاته وقيمة نظرته . افرض — جدلا أن لفظ الله يعنى الغايات المثالية التى يعترف بها ويقر لها المرء — فى وقت معين وزمان معين بسيادة سلطتها وتحكمها فى ارادته وانفعالاته باعتبارها القيم التى يكرس المرء لها نفسه كأسمى ما يبتغيه — بالدرجة التى نصطنع بها هذه القيم — عن طريق الخيال — وحدة متكاملة .

فاذا أخذنا بهذا الفرض — فان المسألة تبرز بوضوح وجلاء على نحو مضاد لعقيدة الأديان القاضية بأن لفظ الله يدل على كائن معين بذاته له وجود سابق على الوجود ، ومن ثم ، غير مثالى .

Security :— **الأمن :**

١ — ان الانسان الذى يعيش فى عالم من المخاطر والمجازفات والمصادفات مضطر الى البحث عن الأمن . ولقد حاول بلوغ هذا المأرب بطريقتين :

---

(١) A Common Faith.

(١) The Quest for Certainty.

احداهما : بدأت بمحاولة استعطاف واسترضاء القوى التى تحيط به وتقرر مصيره . ولقد تجلى ذلك فى التضرع والابتهال وتقديم القرابين وممارسة الطقوس والعبادات السحرية . بيد أن هذه الوسائل الساذجة ما لبثت بمرور الوقت أن نبذت نبذ النواة .

ولقد كانت التضحية والكفارة الصادرة من قلب نادم تائب تعتبران أكثر تقبلا من تقديم القرابين من الثيران والأبقار ، وان الاتجاه الباطنى الزاخر بالتبجيل والاخلاص والتكريس أكثر بغية ورغبية من الطقوس والشعائر والاحتفالات الخارجية .

فاذا كان الانسان عاجزا عن قهر القدر ، ففى وسعه بكل رغبة وارادة أن يتحالف معه ، واضعا ارادته — حتى فى الكرب المبرح — فى جانب القوى التى توزع الخطوط وتقسمها ، ومن ثم نستطيع أن تتحاشى الهزيمة . وقد يفوز بالنصر وينتزعه من براثن الدمار والخراب .

أما الطريقة الثانية فهى اختراع الفنون ، وبوساطتها سخر الانسان قوى الطبيعة لصالحه ، اذ شيد حصنا منيعا من نفس الظروف والقوى التى تتهدده .

فهو يبنى المآوى ، وينسج الملابس ، ويجعل من النار صديقا بدلا من أن تكون عدوا ، ثم يمضى قدما لينمو ويبلغ غاية شوط الفنون المعقدة للحياة المشتركة .

هذه هى طريقة تغيير العالم عن طريق ، العمل كما أن الأخرى هى طريقة تغيير الذات فى الانفعال والفكرة .

ذلك تأويل التحكم الضئيل النحيل الذى بلغه الانسان ، على نفسه ، عن طريق التحكم فى الطبيعة ، وتأويل الاحساس فان طريقة العمل تعبر عن كبرياء خطيرة وغرور بل وتحد للقوى الكائنة .

٢ — أى نظام لا يهيىء الأمن الأولى للملايين لا حق له فى ادعاء أنه منظم لصالح الحرية وتطوير الأفراد وانمائهم .

ومن ثم فان أى شخص ، أو أية حركة يكون اهتمامها بهذه الغايات اهتماما صحيحا وليس مجرد غطاء مزيف لستر المآرب والمصالح الشخصية وحيازة القوة والسلطة يتعين عليه أو عليها أن تركز الاهتمام الأول — فى الفكرة والعمل على وسائل بلوغها .

انظر أيضا : الحرفة (٦) — التعامل (٤) .

الانتاج والاستهلاك : **Production & Consumption :--**

١ — ان اللحظة التى يفصم فيها الانتاج من الاشباع المباشر للحاجة فانه يصبح « عملا كادحا » .

٢ — ان اتجاه الحياة الاقتصادية الحديثة برمتها كان على أساس افتراض أن الاستهلاك سيتكفل بأمر نفسه بشرط واحد فقط هو العناية الفائقة بالانتاج بكل وفرة ، وعلى أوسع نطاق متاح .

وعلى هذا زاد انتاج الأدوات والسلع بسرعة محمومة ، واستعملت كل وسيلة وحيلة آلية لتضخم الجرم الفاقد الاحساس .

ونتيجة لذلك فان معظم العمال لا يجدون اشباعا أو تجديدا أو نموا للعقل ، ولا تحقيقا للذات فى العمل ، أو استجابة لدواعيه ؛ فهم يكدون ويكدحون للحصول على مزيد من الوسائل للاشباع والسد فيما بعد . فاذا تم لهم ذلك وأصبح فى متناول أيديهم انعزلت العملية بدورها من الانتاج وهبطت الى مسألة مادية عقيمة جوفاء أو تعويض حسى شهوانى عن طيبات الحياة الطبيعية التى جحدوها .

Problems of Man. (٢)

Human Nature and Conduct. (١)

Ibid. (٢)

ان الانتاج المعزول عن الاستجابة الوجدانية وتبعة الانجاز وتحقيق الذات يصبح مسـألة كمية بحتة ، ذلك أن التفوق والامتياز والكيف مسألة معنى ومغزى وفحوى حاضر .

وحيث العناصر الجمالية قد تم استبعادها وطردها فلا مناص من تحكم وسيادة العناصر الآلية .

الانتاج يفتقر الى المعايير ، فثمة شيء أحسن من غيره اذا أمكن عمله فى وقت أسرع وبعدد أوفر ، وعندئذ لا تصبح الفضوة هى تغذية العقل فى العمل ولا التسلية ، وانما تصبح ركضا محموما نحو اللهو والاثارة والتيه والتظاهر والعرض ، والا فليس ثمة فضوة فيما عدا سباتاأو خدارا مخضـلا .

ولا مفر عندئذ من الاحساس بالضنى والتعب عند البعض بسبب السأم والملل والرتابة ، وعند البعض الآخر بسبب وفرة الانهاك والاجهاد فى محاولة اللحاق بالركب .

الانســان : Man :—

١ — يختلف الانسان عن الحيـوانات الدنيا لأنه يحتفظ بخبرته الماضية ، فما يحدث فى الماضى يعاش ثانيا فى الذاكرة . ويحيط بما يحدث اليوم سحابة من الأفكار المرتبطة بأشياء شبيهة وقعت فى الأيام الخالية .

أما بالقياس الى الحيوانات فان الخبرة تموت فور حدوثها ، وكل فعل جديد أو ألم جديد يقوم بذاته — وحيدا .

فى حين أن الانسان يعيش فى عالم يتحمّل فيه كل حدث بأصـداء وذكريات الماضى ، عالم يكون فيه كل حادث مذكرا بأمور أخرى .

---

(١) Reconstruction in Philosophy.

٢ — ان الانسان الذى لا يزال طفلا فى فهم نفسه ، قد وضع فى يده أسلحة مادية ذات قوة لا سبيل الى حصرها ، وهو يلعب بهذه الأسلحة كطفل .

٣ — بينما الانسان جد مختلف عن الطيور والوحوش الا أنه يشترك معها فى وظائف حيـوية أساسية ويتعين عليه أن يصطنع نفس الملاءمات الأساسية اذا أراد أن يستمر سبيل حياته .

ولكونه لديه نفس الحاجات الحيوية فان الانسان يشتق من أسلافه من الحيوانات الوسائل التى يتنفس بها ويتحرك وينظر ويسمع ، بل والمخ نفسه الذى ينسق به حواسه وحركاته .

فالأجهزة التى يحفظ بها نفسه فى كينونة حيـة ليست منه وحده ؛ ولكنها بفضل صراعات وكفاحات ومنجزات على خط طويل موصول من تطور أسلافه من الحيوانات .

انظر أيضا : البيئة — القانون — التطور — الدولة .

الانسانية : **Humanity :—**

١ — نحن الذين نعيش الآن — أجزاء من انسانية تمتد جذورها الى الماضى البعيـد — انسانية تفاعلت مـع الطبيعة . وثمرات الحضارة التى نعتز بها الى أقصى حد ، ليست منا ، ولا من صنع أيدينا . وانما هى موجودة بفضل المنجزات والآلام والمكابدات التى عاناها المجتمع الانسانى على نحو موصول ، والتى نشكل منها حلقة .

انظر أيضا : التربية (١) — الحرية (٥) — المثل العليا (٧) .

---

(٢) The Public and its Problems.

(٣) Art as Experience.

(١) A Common Faith.

Human Concerns :— **الاهتمامات الانسانية :**

١ — لسنا خالقى السماء والأرض ولسنا مسئولين عن دوران الأرض ورفع السماء بغير عمد — الا عندما تتغير تحركاتها بحركاتنا .

ان اهتمامنا ينصب على فحوى ومغزى ذلك الكسر الضئيل من النشاط الكلي الشامل الذى يبدأ من أنفسنا .

ان أحسن الخطط التى يديرها الناس أو الفئران عندما تتجمع أفواجا وزمرا — مردها الى نفس السبب — العجز عن التحكم فى المستقبل .

ان قوة الانسان وقوة الفأر — قوة محصورة جدا جدا اذا قورنت بقوة الأحداث .

انظر أيضا : الثقافة (٢) .

Aims and Purposes :— **الأهداف والغايات :**

١ — الهدف يدل على نتيجة أى سبيل طبيعى على مستوى الوعى بحيث يحيله عنصرا فى تقرير الملاحظة الراهنة وفى اختيار طرق التصرف .

وفحواه أن النشاط قد أصبح زكيا .

وبصفة خاصة فانه يعنى تدبر العواقب من حيث نتائجها المحتملة المترتبة على تصرف ما فى موقف معين بطرق مختلفة والافادة مما هو متوقع لتوجيه الملاحظة والتجربة .

ومن ثم فان الهدف الحقيقى يتعارض فى كل نقطة مع الهدف القسرى ، أو التكليف الجبرى المفروض على سبيل تصرف من الخارج ؛ لأن الأخير مقرر ومحدود ومثبت وجاسىء ، وعلى هذا فهو ليس باعثا على الذكاء فى الموقف القائم وانما هو املاء خارجى لغرض ازاء هذا العمل أو ذاك ،

Human Nature and Conduct. (١)

Democracy and Education. (١)

وبدلا من أن يلتحم التحاما مباشرا بفى المناشط الحاضرة فانه ينأى بعيدا عنها ، ويطلق طلاقا من الوسائل التى تصطنع لبلوغ الهدف .

ومن ثم فبدلا من أن يوحى بمنشط أكثر تحررا وأحسن توازنا فانه يصبح تخما تحد من النشاط ، وعقالا يحتوشه .

وفى التربية يعتبر رواج وشيوع هذه الأهـداف القسرية المفروضة من الخارج على المتعلم هو المسئول عن تركيز الاهتمام على فكرة الاعداد لمستقبل بعيد واخضاع عمل كلا المعلم والمتعلم لغايات لا تتصل بحاضر أو حاجـة أى منهما ، ومن ثم يصبح عملهما آليا وذليـلا يتسم بطابع الاسترقاق .

٢ — كل سلوك هادف ، وكل هدف انتقائى ، وكل تصرف ذكى ، يتضمن اختيارا عامدا مقصودا .

٣ — تباشر الأهداف بسلطة تقريرية حاسمة فى المسلك الانسانى .

فأهداف الخيرين من محبى النـوع الانسانى من أمثـال فلورانس نيتنجيل ، وهوارد ، وولبرفورس وبيبودى لم تكن أضغاث أحلام ، فلقد ترتب عليها تعديل نظم ومؤسسات .

ان الأهداف والمثل العليا لا تكمن فى « العقل » فحسب ، وانما توجد فى الشخصية والمسلك والعمل .

وفى وسع المرء أن يسرد قائمة بالفنانين والباحثين المفكرين والآباء والأمهات والأصدقاء والمواطنين من الجيرة والعشيرة لكى يبين أن الأهداف توجد بطريقة عملية اجرائية .

---

(٢) A Common Faith.

(٣) Ibid.

انظر أيضا : الرغبة (٣) — التربية (٥) — ، (١٥) — الحقـائق (٢) — الطبيعة (٢) — العقل (٢) — المجتمع (٢) — النظرية (٢) التفكير (١١) .

Faith :— **الايمـــان :**

١ — ان المسئولية التى تقع على عاتقنا ، هى حفظ ونقـل وتنقيح وتوسيع وتمديد تراث القيم التى تلقيناها بحيث ان أولئك الذين يأتون من بعدنا يأخذونها عنا وهى أكثر تماسكا وصلابة ، وأوفر أمانا وصونا واحكاما ، وأفسح مدخلا ، وأوسع وأكرم اشتراكية وشمولا مما تلقيناها .

هنا تكمن كل العناصر اللازمة لعقيدة دينية لا تقتصر على ملة أو نحلة أو شيعة أو طبقة أو جنس .

ولقد كان مثل هـذا الايمان المشـترك — دائما — هو الايمان المضمر — بطريقة ضمنية — كعقيدة مشتركة بين الناس جميعا .

بقى علينا أن نجعل المضمر معـلوما وواضـحا ، والضمنى صريحا ومجاهرا .

٢ — لو أننا أقررنا بأنه لا توجد سوى طريقة واحدة لاثبات الحق وتوكيد الحقيقة — ألا وهى الطريقة — تومىء اليها كلمة « علمى » فى أكثر معانيها سخاء وعمومية . وليس فى وسع أى اكتشاف فى أى فرع من فروع المعرفة والبحث أن يزعزع الايمان الذى هو دينى ، وأنا أصف هذا الايمان بأنه توحيد للذات عن طريق الولاء لغايات مثالية شاملة يعرضها الخيال وتستجيب لها الارادة الانسانية باعتبارها تستأهل الاستئثار برغباتنا وايثارها واختيارها على ما عداها .

انظر أيضا : الديموقراطية (١٢) — الشك (٢) — الدين (٩) .

---

(١) A Common Faith.

(٢) Ibid.

ب

البحث : (*) **Inquiry :—**

١ — ان وجود البحوث ليس مسألة شك .
فالبحوث تدخل فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وتتغلغل فى كل وجه من أوجه كل ناحية .

وفى الحياة العادية اليومية يفحص الناس الأشياء ويختبرونها ويجسونها ويقلبونها — فكريا — وهم بذلك يستدلون ويحكمون « طبيعيا » ، تماما مثلما يحصدون ويزرعون وينتجون ويتبادلون السلع . وكمنهاج للمسلك فان باب البحث مفتوح ومتاح للدراسة الموضوعية على غرار كل تلك الأشكال الأخرى من السلوك .

٢ — أن تتبين موقفا أو وضعا ما يتطلب بحثا هو الخطوة الابتدائية فى البحث .

٣ — البحث هو التحويل الضابط الموجه لموقف أو وضع غير محقق

(*) يسمى ديوى نظريته المنطقية كلها نظرية البحث Theory of Inquiry تمييزا لها عن سائر المذاهب المنطقية التقليدية. فالبحث عملية انسيابية — دورة تبدأ بموقف أومشكلة ثم بافتراض مايمكن اداؤه من ابدال ثم لتجربة صدق هذا الافتراض على محك التطبيق العملى . (المترجم)

(١) Logic : The Theory of Inquiry.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

أو غير مقرر (نكرة) الى موقف أو وضع محقق مقرر (معرفة) لدرجة أن مكوناته المتمايزة وعلاقاته وترابطاته تصبح قادرة على تحويل عناصر الموقف الأصلي الى كل موحد .

انظر أيضا : العقيدة (٣) — الشك (٢) — البراجماتية (٢) — العلم (٤) ، (٨) — التعليم (٥) — الحقيقة (٤) .

البراجماتية : (*) **Pragmatism :—**

١ — انى .. أؤكد — على سبيل الجزم — أن لفظ « براجماتى » لا يعنى الا قاعدة ارجاع كل تفكير وكل الاعتبارات التأملية — الى نتائجها للمعنى النهائى والاختبار — على محك التجريب .

(*) البرجماتية (الوسيلة الاجرائية)

الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Pragmata ومعناها : الفعل • وقال البعض انها مشتقة من الفعل Prasso أو Pratto أو Prattein ومعناها « أفعل » •

(والمؤسس الحقيقى للمذهب البرجماتى هو تشارلز ساندبيرس C.S. Pierce (١٨٣٩ — ١٩١٤) ثم خلفه وليم جيمس ثم جون ديوى •

ولقد بدد ديوى الضباب الذى أحاط بهذه الكلمة ومالحق بها من سوء تأويل فميز بينها وبين العملية Practicalism والنفعية Utilitarianism والتجريبية Empiricism وبين الواقعية الجديدة التى تنكر النظرية التمثيلية فى المعرفة • ولقد اصطنع جون ديوى الوسلية Instrumentalism ليشير الى اتجاه براجماتى خاص به وانتهى الى النظرية الاجرائية فى البراجماتية Operationalism وخلاصتها : أن معنى أى تصور قائم فى مجموعة من « عمليات » ، وأن التصور ماهو الا مجموعة منسقة من الاجراءات ، وأن دلالة القضايا لابد وأن تكون دلالة تجريبية دائما • ومن ثم فان البراجماتية عند ديوى تستخدم النتائج على أنها اختبارات لابدمنها للدلالة على صدق القضايا على شرط تناول هذه النتائج من حيث هى عمليات يمكن اجراؤها ومن حيث هى وسائل تؤدى الى حل المشكلة الخاصة التى استدعت تلك الاجراءات •

وعلى هذا فان المعرفة فى براجماتية ديوى هى تحويل العالم الخارجى لاتصويره • (المترجم)

(١) Essays in experimental logic

٢ — البراجماتية ، كاتجاه ، تمثل ما وفق پيرس أعظم توفيق فى تسميته « العادة المعملية للعقل » وقد امتدت لتشمل كل ميدان فى وسع البحث أن يجرى فيه بثمرة وفلاح .

انظر أيضا : الحقيقة (٢) .

البيئة : Environment :—

١ — ان الكائن الذى ترتبط مناشطه بالغير — صاحب بيئة اجتماعية . فما يعقله ، وما فى وسعه أن يؤديه ، يتوقفان على توقعات ومطالب واستصوابات وموافقات وملامات الآخرين . وليس فى مستطاع انسان يرتبط بأناس آخرين أن يؤدى مناشطه ومنجزاته الخاصة دون أن يدخل فى حسابه واعتباره مناشط الآخرين ومنجزاتهم ؛ لأنها تعتبر الظروف التى لا غنى عنها ولا مناص منها لتحقيق ميوله وبلوغ مآربه .

فهو عندما يتحرك يثيرها ، وهى عندما تتحرك تثيره ، فالعملية قائمة بالتبادل .

ولا جناح علينا فى هذا السياق من أن نحاول أن نستحضر فى خيالنا حالة رجل من رجال الأعمال فى دنيا التجارة يبيع ويشترى بمفرده -- قاطبة — لكى ندرك استحالة تفسير مناشط فرد بالقياس الى منجزاته المنفصلة المنعزلة .

٢ -- ان الملاءمة التامة للبيئة تعنى الموت .

فالأمر الجوهرى الحتمى فى كل رجع واستجابة هو الرغبة فى التحكم فى البيئة .

---

(٢) Ibid.

(١) Democracy and Education.

(٢) From a lecture, September 29, 1924.

٣ — أيا ما كانت الحياة العضوية ، وأيا ما لم تكن فهى سبيل من النشاط يتضمن بيئة .

انها صفقة تتجاوز حدود حيز الكائن الحى . على أن الكائن الحى لا يحيا فى بيئة وانما يعيش بوساطة بيئة .

فالتنفس ، وبلع الطعام ، واخراج الفضلات ، هى حالات من التكميل المباشر . فى حين أن دورة الدم ، وتنشيط الجهاز العصبى ، غير مباشرة نسبيا .

ولكن كل وظيفة عضــوية هى تفاعل للطاقات العضــوية الداخلية والخارجية اما مباشرة ، واما على نحو غير مباشر . ذلك أن الحياة تتضمن صرف الطاقة ، والطاقة المنصرفة لا يمكن ملؤها ثانية وافعامها الا اذا أفلحت المناشط المنجزة فى عمل جرعات تعويض وترجيع حيال البيئة — المصدر الوحيد لتجديد وتعويض الطاقة .

بيد أن الطاقة المستجلبة لا تعترف بالقوة من الخارج . وانما هى عاقبة لطاقة مبذولة ، فاذا كان هناك فائض فى الحساب — يحدث النمو ، واذا كان هناك عجز فى الميزانية يبدأ الانحلال والتدهور .

يترتب على ذلك أنه مع كل تمايز فى التركيب يحدث تمديد واتساع فى البيئة ، لأن العضو الجديد فى الكائن الحى يزوده بطريقة جـديدة للتفاعل بحيث ان الأشياء التى كانت قبلا — فى دائرة عدم الاكتراث — تدخل فى منطقة وظائف الحياة .

ان بيئة الحيوان الحركى من النــوع ذى الحركة الانتقالية الذاتية تختلف عن بيئة النبات اللاطىء « اللاصق بالأرض » عديم الذنيب . وبيئة السمكة الهلامية تختلف عن بيئة السلمون المرقط وبيئة أى نوع من أنواع السمك تختلف عن بيئة الطيور .

Logic : The Theory of Inquiry. (٣)

ومن ثم — وتكرارا لما نوهنا به لتونا — فان الفرق ليس مجرد أن السمكة تعيش في الماء ، والطائر يعيش فى الهواء ، ولكن قوامه أن الوظائف المميزة التى تختص بها هذه الحيوانات هى على ما هى عليه بسبب الطريقة الخاصة التى يدخل بها الماء والهواء فى مناشطها كل على حدة .

٤ — ان القول القديم المأثور : « العقل السليم فى الجسم السليم » يمكن ، بل وينبغى ، أن يستطيل ويمتد ليصبح « الكائن الانسانى السليم فى البيئة الانسانية السليمة » . بيد أن مجرد تغيير كلمات هذه الحكمة لا قيمة له ألبتة ، فى حين أن التغير فى الأهداف وطرائق الأداء فى هذا الاتجاه يعنى أكثر مما فى وسع أى منا أن يقدره .

هل هنالك أى شيء فى كل منجزات السياسة والاقتصاد والأخلاق والتربية — بل فى الحقيقة فى أى مهنة أيا كانت وأنى كانت — سوى تهيئة بيئة انسانية سوية تقوم — بحد وجودها ذاته — على توفير خدمات يترتب عليها انتاج أفراد انسانيين أسوياء كاملين يقومون بدورهم بصيانة وحفظ بنية انسانية سوية صحية ؟

هذه هى المهمة الانسانية العالمية التى تشمل الجنس البشرى بأسره .

٥ — اذا استطعنا أن ننفذ الى عقول جيراننا فأكبر الظن أنه يجب علينا ألا نندهش كثيرا اذا وجدنا فيهم — غالبا — فكرة أن المرء يوجد فى داخل الحدود المرئية الملموسة المحسوسة والتى يمكن ملاحظتها . وفى كلمة موجزة فان المرء يَتَشَخَّصُ بما تحت جلده . فنحن نجنح الى افتراض أننا سنعرف كل شيء عنه اذا استطعنا أن نعرف كل شيء عما يدور داخل مخه وفى بقية أجزاء جهازه العصبى : غدده ، عضلاته ، أحشائه ، قلبه ، رئتيه ، وهلم جرا .

(٤) Intelligence in the Modern World (ed. by c. Ratner).

(٥) Ibid.

ولا ريب — أننا — الى حد ما — نسير على الدرب الصحيح بشرط أن نركز اهتمامنا تركيزا كافيا على التفاعل ، على التبادل ، على العمل المشترك — بين كل هذه العمليات والسبل المختلفة .

على أننا فى وسعنا أن نحصل على فكرة أحسن عن وحدة الكائن الانسانى كلما ازدادت معرفتنا عن كل هذه العمليات والسبل وطريقة عملها معا ، وهى تصد وتكبح ، وتدفع وتنشط بعضها بعضا محدثة توازنا فى الجهاز برمته . بيد أن النقطة الأكيدة التى أتوق الى عرضها هى أنه بينما أن ذلك ضرورى ، الا أنه ليس كافيا . فعلينا أن نلاحظ ونفهم هذه العمليات الداخلية وتفاعلاتها من ناحية تفاعلها مع ما يجرى خارج اهاب الانسان — مع ذلك الذى يسمى البيئة — اذا قدر لنا أن نحصل على مفهوم صحيح عن وحدة الكائن الانسانى . ولكن موقفنا بالقياس الى هذه المسألة خليط عجيب . ففى نقاط خاصة نسلم جدلا بأجتواء الظروف والطاقات الواقعة خارج حدود جلد الانسان . فلا يفرض أحد مطلقا أنه من الممكن حدوث التنفس بدون الهواء المحيط أو أن الرئتين ليستا شيئا أكثر من عضوين أو جهازين للتفاعل مع ما هو خارج الجسم . ولا يفكر أحد فى عزل عمليات الهضم من ارتباطها بمواد الطعام المجلوبة بوساطة أعضاء وأجهزة أخرى من البيئة . ونحن نعرف أن العين والأذن واليد والجهاز العضلى تختص فى مدار تعلقها بموضوعات وأشياء وأحداث خارج حدود الجسم . ونحن نسلم بهذه الأشياء تسليما بطريقة لاوعيية وباطراد ، لدرجة أنه يبدو من العته والسخف أن نذكرها ..

بيد أن غرابة الخليط الذى تحدثت عنه تتألف من حقيقة ، فى حين أننا ندرك ونعرف متضمن واحتواء الظروف الواقعة خارج الجسم فى كل العمليات العضوية — عندما نأخذها واحدة واحدة — الا أننا غالبا

ما نحقق فى ادراك الفكرة والتصرف بمقتضاها -- كمبدأ شامل يعيننا على فهم وحدة الانسان وكليته .

انظر أيضا : الخبرة (٣) ، (٧) — الأخلاق (١) ، (٨) — الطبيعة الانسانية (١) — العلم الأخلاقى — الذاتية (٢) — التعليم (٣) — التفكير (١٤) — العالم (٣) — الشباب (١) .

ت

History :-- **التـــاريخ :**

١ -- من الصعب تلافى قراءة الماضى بالقياس الى مسرح الأحــداث المعاصرة .

٢ — كل بنيان تاريخى بالضرورة انتقائى .

٣ — بتغير الثقافة .. فان المفاهيم السائدة فى ثقافة ما تتغير ، وعندئذ تعاد كتابة التاريخ من جديد .

انظر أيضا : الحرية (٦) — التجريبية (٤) — الولاء (٢) — السلام — الفلاسفة (٤) — الفلسفة (٤) -- الرموز (٢) .

Abstraction :— **التجريد :**

١ — التجريد أمر لا غنى عنه اذا أريد لخبرة ما أن تطبق على خبرات أخرى . وكل خبرة محسوسة — فى مجموعها ككل — هى خبرة فذة فريدة قائمة بذاتها ، لا تتكرر منها نسخة أو صورة طبق الأصل .

واذا اعتبرت بمجردها الكلى — من حيث هى مجرد خبرة — فانها عقيم بذاتها لا تنجب تعليما ولا تلقى ضوءا .

---

(١) Liberalism and Social Action.

(٢) Logic : The Theory of Inquiry.

(٣) Ibid.

(١) Reconstruction in Philosophy.

وما يسمى تجريدا يعنى ناحية منها تختار أو مرحلة من مراحلها تنتقى من أجل المعونة التى تقدمها فى فهم شىء آخر أو الدلالة عليه . أما اذا اعتبرت بحد ذاتها ، ومن حيث هى مجرد خبرة ، فانها لا تزيد عن كونها نتفة ممزقة وبديلا عقيما يحل محل سبيل العيش الكلى الذى اقتطعت منه .

ولكن اذا نظر اليها فى بعدها المنطقى ، أو واقعها العملى ، فانها تمثل السبيل الوحيد الذى يجعل من أى خبرة قيمة وفعالية لخبرة أخرى .

على أننـــا اذا نظرنا الى التجريد — نظرة وظيفية — « لا تركيبية ولا استاتيكية » فانه يعنى أن شيئا ما أطلق من خبرة ما لينتقل الى خبرة أخرى .

٢ — لا يوجد علم بدون تجريد . والتجريد يعنى بصفة أســاسية أن أحداثا معينة تزاح من بُعد الخبرة المألوفة العملية الى بعــد البحث النظرى التأملى .

٣ — ثمة شىء من طبيعة التجريد موجود فى حالة كل الأفكار وكل النظريات ؛ فالتجريد من مرجع أو مصادر معين قائم موجــود ومؤكد ، أمر يلحق بكل اقتراح يتضمن حلا ممكنا والا أغلق باب البحث وحــل محله التوكيد الوثوقى واليقين المطلق .

انظر أيضا : التحررية (١) — المدرسة (١) — النظرية (١) .

التحررية : **Liberalism :—**

١ — ان شعارات الحرية فى عصر من العصور غالبا ما تصبح دعائم الرجعية فى عصر لاحق .

---

(٢) Sources of a Science of Education.

(٣) Knowing and the known.

(١) Pihilosophy and Cvilization.

٢ — تلتزم الحرية ببلوغ هدف يتميز بخصيصة الدوام والتغير المرن فى آن : ألا وهو تحرير الأفراد بحيث ان تحقيق قواهم وامكاناتهم يصبح قانون حياتهم . ويتعين على الحرية أن تضطلع بمسئولية توضيح أن الذكاء وزيعة اجتماعية وأنه متسربل بوظيفة اجتماعية تماثل منشأها واشتقاقها الأصلى سواء بسواء — تتجلى فى صورتها الملموسة المحسوسة — فى التعاون الاجتماعى .

٣ — لقد كان معنى التحررية تغيرات عديدة منذ أصبحت مصطلحا شائعا ما لا يزيد عن قرن مضى من الزمـــان . ولقد دخـــل المصطلح فى التداول للدلالة على روح جـــديدة نمت وانتشرت وسرت مـــع بزوغ الديموقراطية .

وتضمن هذا المدلول اهتماما جديدا بالرجل العادى ، واحساسا جديدا بأن الرجل العـــادى — الممثل للغالبية العظمى من الجماهير ، والكافة — لديه امكانيات طالما كبتها وطـــال تعويقها ولم يســـمح لهـــا بالتثمـــير والتطوير بسبب ظروف سياسية ونظم وسنن لا ناقة له فيها ولا جمل .

وهذه الروح الجديدة كانت تحررية فى كلا معنى الكلمة . وتميزت باتجاه مسماح وعطف حيال المغلوبين على أمرهم من الطبقـــة الدنيا ؛ حيال أولئك المحرومين من فرص الحياة .

لقد كانت جزءا من بزوغ واسع الانتشار لحركة انسانية من الخـــير والاحسان .

ثم انها كانت تحررية أيضا فى كونها اتبعت توسيع مجال ومدى حرية العمل والاسهام من جانب أولئك الذين لم تتح لهم فرصة الاشتراك لقرون

Liberalism and Social Action. (٢)

Problems of Man. (٣)

عديدة فى الشئون العامة ، ومن ثم حرموا من أى قسط من المزايا التى يجلبها ذلك الاشتراك .

٤ — التحررية تَعلَم أن الفرد ليس شيئا محددا ، معطى جاهزا ، وانما هو شيء ينال ويحصل ويدرك ، وان ذلك لا يتم فى عزلة وفصل وانما بفضل معونة ومؤازرة الظروف والأحوال الثقافية والمادية ، بما فى ذلك النظم الاقتصادية والتشريعية والسياسية « الثقافية » وكذلك العلم والفن .

ومن سمات التحررية أنها تدرك أن الظروف الاجتماعية قد تقيد وتشوه نمو الذاتية بل وتكاد تطمسها وتعرقلها ، ومن ثم فهى تهتم اهتماما ايجابيا بأداء وفاعلية النظم الاجتماعية التى لها تأثير أو مساس — ايجابى أو سلبى — باصطناع الأفراد الذين سيكونون ذوى وعورة وفظاظة فى الواقع من الأمر وليس فقط من الوجهة النظرية المجردة .

انها التحررية — تهتم سواء بسواء — بالبناء الايجابى للنظم المواتية المفيدة — تشريعيا وسياسيا واقتصاديا — مثلما تهتم بالأعمال المفضية الى ازاحة المظالم ومآسى البغى والجور والعسف العلنية .

هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى فان التحررية تلتزم بفكرة النسبية التاريخية ؛ فهى تعرف أن محتوى الفرد والحرية يتغيران مع الزمن ، وأن ذلك صحيح بالمقياس الى التغير الاجتماعى مثلما هو صحيح بالقياس الى النمو الفردى من الطفولة الى الرشد .

والتقسيم الايجابى المضاد للاطلاقية المذهبية هو التجريبية . فالعلاقة بين النسبية التاريخية والمنهاج التجريبى علاقة وليدة ذاتها . فالزمن يدل على التغير . ومغزى الفردية بالقياس الى النظم والسياسات الاجتماعية يتغير بتغير الظروف التى يعيش الناس فى ظلها .

---

(٤) Ibid.

على أن التزام التحررية بالمنهاج التجريبي يحمل فى طياته فكرة اعادة البناء والمراجعة — على نحو موصول — لمفاهيم الفردية والحرية فى ارتباط وثيق بالتغيرات الحادثة فى العلاقات الاجتماعية .

ويكفى فى هذا الصدد الاشارة الى التغيرات التى تمت فى الانتاج والتوزيع منذ الوقت الذى بزغ فيه المذهب التحررى واتخذ له صيغة ومدارا ، وكذلك نتيجة هذه التغيرات — التى مردها الى العلم والتكنولوچيا — على الشروط والالتزامات التى بموجبها يرتبط الناس فيما بينهم .

والمنهاج التجريبي قوامه ادراك هذا التغير الوقتى والاعتراف به — فى الأقطار والسياسات والنظم حتى تتناسق هذه الأفكار والسياسات والنظم وتتناغم مع الحقائق بدلا من أن تقف منها موقف القضاء .

ومن ثم فان الأمرين اللازمين للتحررية الاجتماعية التامة النافذة هما :

أولا — الدراسة الواقعية للأحوال الراهنة فى حركتها ومدارها ومسارها .

ثانيا — الأخذ بزمام المبادرة فى قيادة الأفكار فى صورة نظم وسياسات لمعالجة تلك الظروف والأحوال بقصد انماء مزيد من الذاتية والحرية .

انظر أيضا : الحرية (٤) .

التربية : **Education :—**

١ — التربية — أى تربية ، كل تربية — تنشأ عن اشتراك الفرد فى الوعى الاجتماعى للجنس البشرى . وهذا السبيل ينشأ لاوعيا وقت الميلاد

---

(١) My Pedagogical Creed.

تقريبا ويستمر على نحو موصول فى تشكيل قوى الفرد مشربا وعيه ، مكونا عاداته ، مدربا أفكاره ، مثيرا مشاعره وانفعالاته .

وبهذه التربية اللاوعيية — يصير الفرد بالتدريج مشتركا فى الموارد الفكرية والخلقية التى نجحت الانسانية فى نيلها وتحصيلها وتجميعها . ومن ثم يصبح وارثا للرصيد المذخور والرأسمال الراهن للحضارة .

وأكثر أنواع التعليم والتربية شكلية ، وطقسية ، وفنية ، وتخصصا فى العالم لا يستطيع أن ينأى آمنا من هذا السبيل العام . وانما فى وسعه فقط أن ينظمه ويميزه ويقسمه فى اتجاه معين على نحو ما .

٢ — التربية — سبيل حياة وليست اعدادا لحياة مقبلة .

٣ — التربية هى السبيل الأساسى للتقدم الاجتماعى وركيزة الاصلاح .

٤ — فى حين أن قاداتنا التربويين ينوهون بالثقافة وتطوير وانضاج الشخصية .. الخ باعتبارها غاية وهدف التربية فان الغالبية العظمى ممن ينخرطون فى سلك المدارس ويتعلمون تحت رعايتها ينظرون الى التربية على اعتبار أنها فقط أداة عملية محدودة ضيقة تمكنهم من كسب عيشهم على نحو ينتج لهم اعتصار حياة مقيدة محددة حاضرة .

٥ — اذا تحدثنا عن التربية بصفة عامة — فانها تعنى حاصل جمع العمليات والسبل التى ينقل بها مجتمع ما سواء أكان صغيرا أم كبيرا قوته المكتسبة وأهدافه بقصد ضمان استمرار وجوده ونموه .

٦ — يمكن تعريف التربية بأنها عملية مستمرة من اعادة بناء الخبرة

---

(٢) Ibid.

(٣) Ibid ; Also Education To-day.

(٤) The School and Society.

(٥) "Education" in The Cyclopedia of Education (ed. by P. Monroe).

(٦) Ibid.

بقصد توسيع وتعميق محتواها الاجتماعى ، فى حين أنه فى نفس الوقت يكتسب الفرد ضبطا وتحكما فى الطرائق المتضمنة فى العملية .

٧ — وظيفة التربية هى مساعدة الحيوان الصغير النامى العاجز لكى يصبح انسانا سعيدا ذا أخلاق قادرا فعالا كفؤا .

٨ — ليست التربية شيئا يقحم على الأطفال والشباب اقحاما قسريا من الخارج ، وانما هو نمو القدرات الفطرية الكمينة فى الكائنات الانسانية عند الميلاد .

٩ — ان التربية التى تعامل كل الأفراد كما لو كانت نوازعهم وحوافزهم هى تلك الحوافز والنوازع الخاصة بالخلائق الوسطى من الكبار بنماذجها المشتركة ، فى مجتمع ما . فمن المؤكد أنها ستستمر فى اعادة انتاج نفس المجتمع المتوسط — نسخا مكررة متشابهة لا تختلف الا فى زمن الصدور — وبدون أن يعرف اذا ما كان فى وسع (المجتمع) أن يتقدم أو يتحسن أو يكتشف كيف يتسنى له ذلك ؟

١٠ — ان السبيل التربوى هو سبيل موصول من النمو ، هادف فى كل مرحلة الى مزيد من القدرة المضافة الى النمو .

١١ — حتى فى قبيلة متوحشة فان منجزات الكبار تتجاوز حدود ما هو فى مستطاع أعضائها غير الناضجين الأفدام اذا تركوا وشأنهم .

ومع نمو الحضارة فان الهوة بين القدرات الفطرية للناشئة غير الناضجين ومعايير وعادات الكبار تزداد اتساعا .

---

(٧) Schools of To-Morrow (with Evelyn Dewey).

(٨) Schools of To-Morrow (with Evelyn Dewey).

(٩) Ibid.

(١٠) Democracy and Education.

(١١) Ibid.

ان مجرد الكبر — مجرد النمو الجسمانى — ومجرد اتقان ضروريات البقاء المتقدم لا تكفى لأن توجد ثانية حياة الجماعة .

ان الكائنات الانسانية التى تولد — ليس فقط على غير وعى بأهداف وعادات الجماعة ولكن فى حالة عدم اكتراث تام بها — يتعين جعلهم عارفين بها ومهتمين بها على نحو ناشط .

والتربية — والتربية وحدها — هى التى ترتق هذا الفتق وتشعب هذا الصدع .

١٢ — ان خير ما يمكن أن يقال عن أى سبيل معين من التربية — مثل فترة التعليم الرسمى بالمدرسة — هو كونه يجعل المتعلم قادرا على مزيد من التربية أكثر حساسية لظروف النمو وأكثر مقدرة على الافادة منها وتثمير امكاناتها . ان اتقان المهارة والحصول على المعرفة وبلوغ الثقافة ليست غايات وانما هى علامات للنمو ووسائل لاستمراره .

١٣ — أولئك الذين تلقوا التربية هم أولئك الذين يعطونها ، والعادات التى تم توليدها فعلا تؤثر تأثيرا عميقا فى مجراها ..

وليس ثمة امكان فى الهروب من هذه الدائرة هروبا كاملا .

١٤ — اننا نربى على افتراض ديمومة الوضع الراهن . وعندما يخرج الطلاب الى خضم الحياة لا يجدون أى شىء مستقرا وسرمديا بحيث يمكن أن يسمى ساكنا على أى نحو .

١٥ — يتميز تاريخ النظرية التربوية بظاهرة المضادة ، بين فكرة أن التربية نمو ينبثق من الداخل ، وفكرة أنها تشكيل من الخارج وأنها

---

(١٢) Reconstruction in Philosophy.

(١٣) "Body and Mind" in the Bulletin of the N.Y. Academy of Medicine, IV. (1928)

(١٤) Education and the Social order.

(١٥) Experience and Education.

تقوم على المواهب الطبيعية وأن التربية عملية قهر الميول الطبيعية وقمعها واستبدالها بعادات محصلة تحت ضغط خارجي ..

وفى مواجهة الالزام من أعلى يوضع التعبير عن الذات وانضاج الذاتية موضع المعارضة . وفى مواجهة النظام الخارجي يوضع النشاط الحر موضع المضادة .

وضد تحصيل المهارات المنعزلة والمعرفة وأساليبها بالتدريب الشكلى يوضع تحصيلها كوسيلة لبلوغ أهداف ذات صبغة شغفية حيوية مباشرة .

وضد فكرة الاعداد لمستقبل قريب أو بعيد تقوم فكرة تهيئة أعظم فرص متاحة للمتعلم فى حاضره من حيث هو حاضر ، وفى مواجهة فكرة الأهداف والمواد الثابتة المجمدة ، تقوم فكرة تعرف عالم متغير متطور .

انظر أيضا : الأهداف والغايات (١) — الديموقراطية (٣) — النمو (٢) ، (٣) — التعلم (١) — المال (٣) — المدرسة (١) ، (٢) ، (٤) ، (٦) ، (٨) ، (٩) — العلم (٥) — التعليم (٣) .

التربية الحرة : Liberal Education :—

١ — تستهدف التربية الحرة تدريب الذكاء للقيام بوظيفته الصحيحة ألا وهى أن يعرف .

الترتيب : Order :—

١ — يوجد فى الطبيعة — حتى تحت مستوى الحياة — شيء أكثر من مجرد التدفق والكرور والتغير ..

---

(١) Democracy and Education.

(١) Art as Experience.

فالتغيرات تتشابك وتتناشب وتساند بعضها بعضا . وحيثما يوجد التئام وتماسك ، يوجد بقاء واستدامة واحتمال . بيد أن النظام لا يفرض من الخارج وانما يشتق ويضيع من علاقات وارتباطات التفاعلات المتناغمة التى تنتظم الطاقات فيما بينها .

وليس يسع المرء الا الاعجاب بالنظام فى عالم واقع باستمرار تحت تهديد الفوضى والاضلال ، عالم لا تستطيع فيه المخلوقات الحية أن تستمر فى العيش الا بالافادة من أى نظام قائم يوجد حولها ، بحيث تدمجه فى كيانها .

انظر أيضا : العلاقات الدولية (٢) — قانون الطبيعة (٢) — الطبيعة (١) ، (٥) .

التسامح : **Tolerene :—**

١ — كل الناس تقريبا قد تعلموا درس التسامح فيما يتعلق بالهرطقات والفواصل الماضية .

٢ — ليس التسامح مجرد اتجاه من التساهل الظريف أو عدم الاكتراث البشوش السليم النية والطوية ، وانما هو رغبة ايجابية فى السماح للتفكير والبحث والتمحيص بالاستمرار والسير فى مجراها ايمانا بأن الحق والصواب الحقيقى سيكونان أوفى ضمانا بانتهاج التساؤل والمناقشة والاختبار والتجريب ، فى حين أن الأمور التى رسخت من جراء العادة فحسب أولى بها أن تعدل أو تنبذ .

ان التسامح فيما يتعلق بالفروق فى الحكم الأخلاقى واجب يجده

---

(١) Characters and Events.

(٢) Ethics (with J.H. Tufts, revised ed).

أكثر الناس اصرارا على الواجب وتشبثا به من أصعب الدروس فى التعلم .

٣ — ان اباحة وجهات النظر المتعددة وحرية البلاغ والاتصال وتسيير تبادل الحقائق والمعلومات الراهنة على كل فرد باعتباره المستهلك الفكرى النهائى ، كلها متضمنة فى ثنايا الطريقة الديموقراطية ، مثلما هى متضمنة فى الطريقة العلمية .

انظر أيضا : الديموقراطية (١) — الفهم (٢) .

التصنيف : (*) **Classification :—**

١ — لابد من فرز الأشياء وترتيبها بحيث ييسر لنا تجميعها فى فئات الأداء الناجح لبلوغ الغايات .

ان التصنيف يحيل نتف المسالك المقطوعة والوعرة فى الخبرة الى نظام حسن التنسيق والتنظيم من الطرق ، الأمر الذى يحفز ويروج الاتصال والنقل والبلاغ فى البحث ويدفع بها قدما .

التطور : **Evolution :—**

١ — قد يكون الانسان شكلا واحدا من الأشكال التى يمر خلالها التطور ، ولكن هذا كل ما فى وسعه أن يكونه .

اذن ما فحوى الحديث عن هدف سبيل التطور باعتباره هدفا للانسان، الا اذا كان شيئا يمتصه ويبتلعه ويفقده الى الأبد ؟

انظر أيضا : النفس (٤) .

---

(٣) Freedom and Culture.

(*) لهذه الكلمة استعمال خاص عند ديوى . فالصنف هو المقولة التى تنسب اليها صور مختلفة. والصور تشكل فئات . (المترجم)

(١) Reconstruction in Philosophy.

(١) "Ethics and Physical Science", in Andover Review, V II (1887).

Pluralism :— **التعـــدد :**

١ — ان ما يتعين على الفلاسفة عمله هو اصطناع تحليل عريض غض « طازج » للعلاقات بين الواحد والعديد . ذلك أن عالمنا المتقلص يفرض علينا هذه العقبة اليوم فى آلاف من الأشكال المختلفة .

فالتعدد هو أعظم فكرة فلسفية لزماننا المعاصر .

فكيف يتسنى لنا أن نفيد أعظم فائدة من القيم الجديدة المشتقة من التنوع والفروق والاختلافات والذاتية والفذاذة .

ما الذى سنفعله لكى نحقق امكاناتها فى كل ميدان ، وفى نفس الوقت لا نضحى بذلك التعدد اللازم للتعاون الذى نحن فى أمس الحاجة اليه ؟

هذه مشكلة فكرية ما أحرى الفلاسفة أن يشغلوا أنفسهم بها !

Definition :— **التعريف :**

١ — التعـريف — يعنى بالضرورة — انبجـاس معنى من حيز الغموض الى حيز التحديد .

٢ — ان التعريف يكون شديدا عندما يكون حاذقا وأريبا وهو كذلك عندما يومىء الى الاتجاه الذى يمكن أن يتحرك برشاقة وسرعة حيـال حيازة خبرة . لقد تعلمت الفيزياء والكيميا بالحتمية الداخلية لوظيفتهما ، أن التعريف هو ذلك الذى يبين لنا كيف تعمل الأشياء . وبقدر ما يبين ذلك يمكننا التنبؤ بحدوثها والتثبت من وجودها وقيامها على محك الاختبار ، وأحيانا يتيح لنا أن نعملها بأنفسنا .

---

(١) From the last lecture to his graduate students as recorded in "The Idea of Pluralism" by J.H. Randall, Jr.

(١) How we think.

(٢) Art as Experience.

ان أصحاب النظريات والناقدين الأدبيين قد تخلفوا كثيرا فى هــذا المضمار اذ ما زالوا قابعين فى أصفاد الميتافيزيقيات العتيقة للجوهر القاضية بأن التعريف اذا كان « صحيحا » لابد وأن يكشف لنا عن حقيقة باطنية .

التعصب : **Prejudice :—**

١ — يتقوى التعصب فى تأثيره ومفعوله — وان كان بصعوبة ونادرا فى القيمة — بعدد من يشتركون فيه .
انظر أيضا : علم النفس — المدرسة (٦) .

التعــلم : **Learning :—**

١ — ان السنوات الأولى من التعلم تتقــدم سراعا وبأمان قبل أن يذهب الأطفال الى المدرسة ، لأن ذلك التعلم يرتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع والحوافز التى تمدهم بها قواهم وحاجاتهم نفســها التى تمليها ظروفهم نفسها .

ومن ثم ، فاذا أردنا أن نتبين كيف تحدث التربية بأقصى نجاح فلنول وجوهنا شطر خبرات الأطفال حيث يكون التعلم ضرورة لازمة ، بدلا من أن نولى وجوهنا شطر اجراءات المدرسة وتدابيرها حيث يكون التعلم — فى منظمة — حلية أو زخرفا أو نافلة — بل وفرضا غير مرحب به .

٢ — كلما تقــدمت الحضارة ، اتسعت الفجوة بين قدرات الناشئة واهتمامات الكبار ، ومن ثم يصبح التعليم بالمشاركة المباشرة فى مآرب الكبار أمرا متزايد الصعوبة .

---

(١) Essays in Experimental logic.

(١) Schools of To-Morrow (with Evelyn Dewey).

(٢) Democracy and Education.

وعلى هذا تدير المؤسسات المقصـودة المدارس وتصـطنع المـواد التفسيرية : الدراسات والمقررات ، ويعهد بمهمة تعليم أشياء معينة الى جماعة متخصصة الأشخاص .

انظر أيضا : وسائل التعليم (٢) — المدرسة (٤) ، (٨) — التعليم (٣) ، (٤) — التفكير (١٠) .

Teaching :— **التعـليم :**

١ — شغل المعلم الشاغل هو أن يعرف أى القوى تحاول أن تنبثق فى كل مرحلة من مراحل نمو الطفل وتطوره ، وأى ضروب النشاط تتيح لهذه القوى التعبير المواتى المؤازر لكى يمدها — من ثم — بالحوافز اللازمة ويساندها ويدعمها بالمواد المطلوبة .

٢ — ان تثمير الشغف والعادة على نحو يخلق منها شيئا أوفى وأفسح وأوسع وأكثر صقلا وضبطا ، من الممكن أن يعرف بالتحديد — عينا — على أنه واجب العلم برمته .

٣ — ان قسط المربى فى مشروع التربية هو تهيئة البيئة المواتية التى تنبه الاستجابات وتحفزها وتوجه مجرى المتعلم ومساره .

٤ — يمكن مقارنة التعليم ببيع السلع ، فليس فى وسع امرىء أن يبيع مالم يشتر مشتر . لشدّ ما نسخر من تاجر قال انه باع عددا كبيرا من السلع على الرغم من أن أحدا لم يشتر منه شيئا .

بيد أن هناك معلمين يظنون أنهم أحسنوا صنعا ورضوا عن أنفسهم

---

(١) In the Elementary School Record (Monography I, 1900).

(٢) مقالات تربوية (الناشر ج.ج. فندلى) .

(٣) Democracy and Education.

(٤) How we Think.

بعد أداء عمل يوم حسبوا أنهم وفقوا فيه فيما علّموه ، بصرف النظــر عما تعلمه طلابهم فى الواقع من الأمر .

والسبيل الوحيــد لزيادة تعلم الطلاب هو وفرة الكم والكيف من التعلم الحقيقى ، وحيث ان التعلم أمر على الطالب أن يؤديه بنفسه ولنفسه نزمام المبادرة بيد المتعلم .

والمعلم مرشد وموجه ، انه يُسيِّر دفة السفن ، ولكن الطاقة التى تدفع بها قدما وتدير محركاتها ينبغى أن تأتى من أولئك الذين يتعلمون .

وكلما كان المعلم أكثر وعيا وادراكا لخبرات الطلاب الماضية وآمالهم ورغباتهم واهتماماتهم الرئيسية ، كان أكثر فهما للقوى التى تعتمل فى نفوسهم التى تتطلب توجيها وتثميرا من أجل تشكيل العادات التفكرية .

٥ — حيث ان المعلمين بشر .. فقد ينزلقون الى احلال عقائد تقيدية تعسفية محل الفروض ويخلطون بين الدعاية والتعليم ويحسبون البدعة عمقا ، والموضوعات — بالذات — التى تحتاج أكثر من سواها الى أقصى حد ممكن من البحث الحر والتى هى أكثر المعانى اثارة للاهتمام العقلى فى الناشئة تصبح خاضعة لنوع من الضلال أو الزيغ يتناسب تأثيره بنسبة ما فيه من غموض وابهام لا يحس ولا يمس .

٦ — اننا نتحدث عن الديموقراطية فى قاعة الدرس ، ولكننا لا نمنحها الا شقشقة لسان من قبيل الخضوع الذى يمرع فى الأفواه ويجدب فى المسلك . ففى أكثر الأحيان وغالبا ما تفرض مدارسنا ضربا من النمطية الوحيدة النسق ونوعا من الاذعان والتطابق على كل المعلمين والأطفال .

Education to-day (ed. by J. Ratner). (٥)

From an Interview by Benjamin Fine in October, 1949). (٦)

ومالم يسمح للمعلم بالتمتع بكل حقوق وامتيازات أى مواطن آخر فسيصبح التعليم وصمة اجتماعية بدلا من أن يكون شرفا وفخرا .

انظر أيضا : النظام (١) — التعلم (٢) — المدرسة (٢) ، (٩) .

التغيير : **Change :—**

١ — حيث ان التغييرات موصولة الحدوث على أية حال ، فان خير ما نفعله هو أن نتعلم عنها ما فيه الكفاية بحيث نصبح قادرين على التحكم فيها وتوجيهها الاتجاه الذى نبتغيه .

ذلك أن الظروف والأحداث لا تسمح بأن يهرب منها أو يتنصل منها ، ولا بأن يذعن لها كالريشة فى مهب الريح ، أو القشة تحت رحمة التيار ، وانما يتعين تثميرها وتوجيهها والافادة منها . فليست الظروف والأحداث — بحد ذاتها — عوائق فى وجه أهدافنا ، أو مجرد وسائل ماثلة لبلوغها ، بحيث نتحاشاها فى الحالة الأولى ونركبها كالمطايا فى الحالة الثانية .

٢ — كل ما يؤثر فى تغييرات غيره من الأشياء ، يتغير هو ذاته .

٣ — من خصائص زماننا المعاصر أنه لا توجد أنماط تتميز بدرجة كافية من الديمومة والبقاء والاستمرار والصلاحية بحيث تهيىء وضعا ثابتا مستقرا نسكن اليه ونذعن له ، ثم لا توجد مادة يمكننا أن نستخرج منها ونصوغ ونشكل غايات نهائية تتميز بالشمول والاحاطة .

بيد أن هناك من جهة أخرى نوعا من التغيير الدائم بحيث ان الاستكانة والاستسلام ليسا سوى سلسلة من التقلصات المتقطعة . والحصيلة فى

---

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) Experience and Nature.

(٣) Individualism Old and New.

هذه الحالة مجرد انسياق مع التيار . وفى مثل هذا الوضع فان الغايات المجمدة الجامعة ليست سوى أحلام أو منى فى غير محلها ، فى حين أن الخضوع والاذعان والتسليم ليست سياسة ولا خطة ولا تدبيرا مقصودا ، وانما هى انكار وجحود وترك لها .

٤ — من الثابت بالأمثلة التوضيحية أن كثيرا من العوائق القائمة فى وجه التغير التى نسبت الى الطبيعة البشرية ، مردها فى الحقيقة الى ظاهرة القصور الذاتى الموجـودة فى النظم والمؤسسات ، والى الرغبة الطوعية والارادة الصادرة من قبل الطبقات القوية صاحبة الحول والطول والهادفة للمحافظة على الأحوال الراهنة .

٥ — أى تغير وجودى هو يعتبر من ماض الى حاضر ، بحيث يشكل مستقبلا بالنسبة لماضيه .

انظر أيضا : السلطة (١) ، (٣) — العقيدة (٢) المذهب المحافظ (٢) ، (٤) — الخـبرة (١) — الطـريقة التجـريبية (٢) — التاريخ (٦) — المعرفة (٦) — القانون (٢) — التحررية (٤) الأخلاق (٧) الطبيعة (١) .

التفـــاؤل : **Optimism :—**

١ — ان التفاؤل الذى يقول انه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وان العالم الراهن هو خير ما يمكن بلوغه من كل العوالم [١] طراز يمكن اعتباره أشد أنواع التشاؤم سخرية لاذعة .

---

(٤) Human Nature, in the Encyclopedia of the Social Sciences, VII.

(٥) Reply in the Philosophy of John Dewey (a Symposium, ed. by P.A. Schilpp)

(١) Reconstruction in Philosophy.

فاذا لم يكن فى الامكان أبدع مما هو كائن واذا كان هذا العالم هو أحسن ما يمكن بلوغه ، فماذا ياترى يكون شكل عالم أو دنيا طافحة بالسوء وزاخرة بالرداءة ، بصفة أساسية ؟

التفاعل والتداخل : Interaction and Interdependence :—

١ — ليس ثمة شىء فى الوجود — حتى الأشياء المادية البحتة — توجد معزولة بحوذاتها — لا ترتبط بشىء ما — على نحو ما من أشكال الارتباط .

ليس ثمة شىء — من الذرة الى الانسان — ليس مشتبكا أو متضمنا فى عمل أو حدث مشترك — متصل — متحد — مقترن — فالكواكب السيارة توجد وتتحرك فى نظم شمسية — كلٌ فى فلك يسبحون وهذه النظم والأفلاك تكوّن مجرات .

والنباتات والحيوانات توجد وتتحرك وتعمل فى ظروف وأحوال من التفاعل والتداخل بدرجة أوثق وأكمل .

والكائنات الانسانية لا تتوالد الا نتيجة لاتحاد أفراد ، والمولود الانسانى يبلغ درجة من الضعف والعجز فى قواه بحيث لابد وأن يعتمد على رعاية وعناية وحماية الآخرين — وهو لا يستطيع أن ينمو — فعقله يتغذى بالاتصال مع الآخرين وبالأخذ والعطاء ويتبادل المعاملة ، وبمجرد أن « يتخرج » الفرد من حياة الأسرة يجد نفسه فى خضم علاقات وروابط أخرى : الخبرة والمدرسة والقرية وزملاء المهنة أو التجارة ، فاذا جرد من الروابط التى تربطه بالآخرين — فهو لا شىء .

حتى الناسك المنقطع للعبادة وروبين سن كروزو — بدرجة كونهما يعيشان على مستوى أعلى من مستوى الحيوانات العجماوات فانهما يظلان

---

(١) Ethics (with J.H. Tufts ; revised Ed.)

— حتى فى حالة العزلة الجسمية — كما هما عليه — يفكران الأفكار التى تعتمل فى عقلهما وتراودهما المنى والآمال يعتزان بها وتجيش فى صدورهما الأحلام — بسبب روابط اجتماعية كانت قائمة فى الماضى وما زالت رابضة فى وعيهما ، جاثمة فى خيالهما وانفعالاتهما .

٢ — يعتمد الأفراد بعضهم على بعض فلا يولد انسان الا فى محتوى اعتماد على الغير — وبدون معونة ورضاعة وتغذية من الآخرين — فانه يموت ميتة تعيسة .

ان مادة وجوده ، وقوام كيانه الفكرى والجسمى ، تأتى اليه من الآخرين .

وكلما نضج واستوى على ساقه أصبح أكثر استقلالا جسميا ، واقتصاديا ولكن لن يستطيع أن يكسب عيشه ويواصل عمله الا عن طريق التعاون مع الآخرين والتنافس معهم — فله حاجات لا يمكن اشباعها الا عن طريق تبادل الخدمات والمتاع . وهو فى لهوه وجده — فى وسائل ترويحه عن نفسه أو بلوغه منجزاته — يعتمد على عنصر المشاركة مع الغير . ان فكرة أن الأفراد يولدون منفصلين معزولين ثم يقحمون فى المجتمع بفعل تدبير أو صلة مصطنعة — فقط — هذه الفكرة محض خرافة .

ان الروابط والقيود الاجتماعية طبيعية تماما ولا مناص منها ، مثل الروابط والقيود المادية سواء بسواء .

وحتى عندما يكون الفرد وحيدا فانه يفكر بلغة مشتقة من الارتباط بالغير وتدور بخلده مسائل وقضايا سبق أن تولدت ونجمت من التفاعل والمخالطة والمعاملة والموافقة والمباشرة .

صحيح أن استقلال الشخصية واستقلال الحكم شىء يعتز به ويحرص

Ibid. (٢)

عليه ولكنه استقلال لا يعنى العزلة والانفصال والتفرق وانما هو شيء يتجلى ويتضح بالقياس الى الآخرين وفى ارتباط معهم .

وعلى سبيل المثال لا يوجد انسان متميز بخصيصة البحث المستقل والتأمل المستقل والبصيرة المستقلة — أكثر من المفكر العلمى الحقيقى أو الفيلسوف الأصيل .

ولكن استقلاله هـذا يصبح شذوذا عقيما وضربا من غرابة الأطوار الذى لا نفع يرجى منه — اذا لم ينصب بحثه وتأمله وبصيرته وتفكيره على المشاكل التى تولدت من تاريخ طويل الأمد ، ومالم يقصد أن يطلع غيره على النتـائج التى انتهى اليها ويشركهم فيها بغيـة كسبهم الى صفه ، أو يستدر ما يعيه لهم من تصويبات .

وهذه الحقائق حقائق معروفة ودارجة .

بيد أن فحواها لا يسلم به تسليما محددا باتا — وقوام هذا الفحوى أن الكائن الحى الانسانى فرد بسبب عـلاقاته بالآخـرين وفى علاقاته بالآخرين .

٣ — لقد أصبح المجتمع فى الحقيقة متضامنا فى المسئولية ، فمصالحه ومناشطه — على درجة من التداخل والتشابك والترابط بحيث ان الناس أصبحوا معتمدين فيما بينهم بعضهم على بعض — على البر والتقوى أو على الاثم والعدوان — على نحو لم يسبق له مثيل من قبل .

وهذه حقيقة بديهية ، سواء أكانت حقيقة مقبولة ، أم مرذولة ، موضع تكريم وحفاوة ، أم موضع أسى وحسرة — وهذا التداخل واعتماد الناس بعضهم على بعض آخذ فى الازدياد لا الهبوط .

ومن ثم يتعين على التربية أن تدخل هذه الحقيقة فى حسابها .

---

(٣) The Educational Frontier (with J.L. Childs ; a Symposium, ed. by W.H. kilpatrick).

فعلينا أن نربى الأفراد — ليس فقط لكى يعيشوا فى عالم حيث تتكون الظروف الاجتماعية التى تتجاوز ما فى وسع أو متناول أى فرد واحد ذات أثر بالغ على أمنه وعمله ومنجزاته ، ولكن علينا أيضا أن ندخل فى حسابنا العجز التام لمبدأ الفــردية المتنافسة عن انجاب أى شىء ســوى الأذى والاعتلال والاختلال فى حالة التداخل وتبادل الاعتماد التى نعيش فى ظلها .

على أن هذه الظاهرة التى عرضنا لها — انتشرت على الصعيد العالمى فى مشارق الأرض ومغاربها (٤) فالقومية المعزولة — المتطرفة — من شأنها أن تجعل التعاون الدولى فى تداخله وتشابكه وتبادله — الذى أصــبح قائما اليوم كحقيقة ملموسة — مصدر توجس وخوف وارتياب وتربص وعداء وتأهب للحرب .

ولكى يصبح التعاون الدولى نعمـــة لا نقمة ، وخيرا مثمرا لا شرا مستطيرا ينذر بكارثة تحيق بالعالم بأسره ، فيتعين على التربية — ابتغاء بلوغ هذا المأرب — أن تراجع مفهوم القومية والمواطنة الصالحة بحيث يتناغم المفهوم الجديد ويتطابق مع المطالب الجوهرية والمقتضيات الحتمية للتفاعل الدولى والاتحاد والارتباط وتبادل المصلحة على النطاق العالمى .

٤ — لقد زاد اعتمـــاد الناس بعضهم على بعض من الناحيـــة المادية — زيادة فاقت كل حد قدر للناس أن يتنبؤوا بحدوثه ، فحياة الأفراد ، وأرزاقهم ، ووسائل كسب عيشـــــهم ، ودواعى أمنهـــم وطمأنينتهم ، وأرواحهم ، وازدهارهم ، تتأثر الآن بأحداث وأسباب تدور على مسرح الجانب الآخر من المعمورة .

والقوى المحركة لهذه الأحداث والأسباب قوى ليس فى وسعه أن يتحكم فيها أو يسيطر عليها — اللهم الا بالانغماس فى حرب بين مجموعة من الأمم ضد مجموعة أخرى .

Freedom and Culture. (٤)

ذلك أننا — فيما يبدو — نعيش فى عالم تحاول فيه الأمم أن تعالج المشاكل الناجمة من الوضع الجديد بأن تتقوقع وتتحوصل أكثر وأكثر ، وتلوذ بنفسها أكثر وأكثر ، وتغلو فى توكيد سيادتها القومية ، فى حين أن كل شيء يفعلونه فى اتجاه « الحكومة المطلقة » يفضى أكثر وأكثر الى مزيد من الاختلاط والتشابك والترابط الوثيق مع الأمم الأخرى — ولكن فى الحـرب .

ان ضرورة تحويل التعاون المادى — الى تعاون أخلاقى انسانى — جزء من المشكلة الديموقراطية .

انظر أيضا : السلوك — الثقـافة (١) ، (٣) — الأحلام (٢) — البيئة (٣) ، (٥) — الخـبرة (٧) — قانون الطبيعـة (٤) — الحياة (٢) — الأخلاق (١) — النظام .

التفـكر : **Reason :—**

١ — التفكر هو الذكاء التجريبى .

٢ — لا الوجود ولا القيمة الايجابية للعنصر غير العاقل فى الانسان يمكن التغاضى عنهما للتفسير . فكل الغرائز والنوازع والانفعالات التى تدفع الانسان الى السلوك خارج طاحونة الحاجة والتعود والمزاولة — غير عاقلة — غير منطقية .

ان أعماق وأسرار الطبيعة — لا عقلية .

ومهمة التفكير هو ألا يطفىء النيران التى تحفظ قزان الحيوية متأججا وفى حالة غليان ولا حتى ليقوم بتزويد المواد المؤججة ، وانما مهمته هو أن يتأكد من أنها تغلى وتأجج لهدف واع مقصود .

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) Characters and Events.

٣ — ان التفكر بمعنى التعقل ومن حيث هو فحسب ، فى وسعه أن يهيىء الوسائل لاحداث التغير فى الظروف والأحوال ، ولكنه بحد ذاته لا يستطيع أن يحدثه ؛ اذ لا يتأتى ذلك الا بانجاز وتنفيذ عمليات اجرائية فى واقع الوجود توجهها فكرة يختمها قياس منطقى . فعندئذ — وعندئذ فقط — نستحدث الظروف البيئية المطلوبة لانتاج موقف مستقر وموحد تكامليا .

انظر أيضا : الخبرة — (٥) — العادة (١) — الرأى العام .

التفكير : Thinking :—

١ — الفكرة لا تعالج أشياء مجردة معدمة — وانما تعالج معانيها .

٢ — ان الكائن الذى لا يستطيع أن يفكر دون تدريب لا يمكن تدريبه على التفكير ، ان المرء قد يتعين عليه أن يفكر جيدا ، لا أن يفكر فحسب .

٣ — ان التأمل النشط والامعان والمثابرة والنظر الدقيق فى أى معتقد أو شكل مفروض من أشكال المعرفة فى ضوء الأسس والبينات التى تدعمه وتسانده ، وفى ضوء النتائج المستخرجة التى يفضى اليها — تشكل التفكير التأملى (التفكر) .

٤ — يبدأ التفكير بما لا جناح علينا من تسميته بموقف ذى ثلاث شعب فى آن واحد كالمذراة المثلثة الأضلاع — فهو موقف ملتبس يعرض مشكلة ويقترح أبدالا من الحلول .

---

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

(١) How we Think.

(٢) Ibid

(٣) Ibid

(٤) How we Think

٥ — وظيفة التفكير التأملي (التفكر) هو تحويل موقف محفوف بالغموض والابهام والالتباس والشك والصراع والقلق — على نحو ما — الى موقف واضح مستقر متناغم ملتحم متماسك .

٦ — ان الحاجة الى التفكير لانجاز شيء يتجاوز التفكير أكثر قوة وصولة وفعالية من التفكير من أجل التفكير فحسب .

٧ — لن يجنى المرء الا بخسا اذا ما ربط أفكاره الى عمود المنفعة أو العادة بحبل قصير جدا .

٨ — ان الشخص الذى يفكر حقا يتعلم من فشله واخفاقه وخيبة أمله ، تماما مثلما يتعلم من نجاحه وفوزه وانتصاره سواء بسواء .

٩ — ان التفكير .. هو أبعد ما يكون عن ذلك الشيء الساكن الذى يتم فوق مقعد ذى مساند وفقا للزعم المفروض بشأنه .

والسبب فى كونه ليس كذلك أنه ليس حدثا يمضى مستقلا بذاته بالاقتصار على داخل الدماغ أو الدماغ وأعضاء الكلام ، وانما يتضمن زيادة وجوبا واستقصاء وتحسسا تنال به المادة المناسبة لموضوع التفكير والمتعلقة به وتدرك به التحليلات المادية التى تصفى بها هذه المادة وتنقى من شوائبها وتضبط وتحكم ، ثم هو يشمل القراءات التى تضع المعلومات فى متناول المفكر ، والكلمات التى يجرب بها ، والتقديرات والحسابات والتخمينات التى تعين على مساندة الفروض أو المفاهيم المبتغاة .

ومن ثم فان الأيدى والأقدام والأجهزة والأدوات المستعملة من كل

---

(٥) Ibid

(٦) Ibid

(٧) How we Think

(٨) Ibid

(٩) Essays in Experimental Logic.

نوع تعتبر جزءا من التفكير تماما مثل التغيرات التى تحدث داخل الدماغ — سواء بسواء .

١٠ — التفكير هو طريقة التعلم الذكى — التعلم الذى يستخدم العقول ويكافئها .

١١ — التفكير معادل — بمثابة عوض أو بذل عن الارجاع أو الرد الصريح الواضح للعنصر الذكى من خبرتنا ، فهو الذى يمكن الخبرة من العمل والأداء على نحو هادف غائى .

وهو الشرط اللازم لقيام أهداف وغايات لدينا . وبمجرد أن يبدأ الطفل فى أن يتوقع ويترقب ويأمل فانه يبدأ فى استعمال شىء — آنى — أى يمضى الآن كعلامة أو اشارة الى شىء آت ومقبل ولاحق ، بمعنى أنه — مهما كان نصيب هذه العملية من البساطة والسذاجة — يحكم ويقدر ويرتئى ، ذلك أنه يعد شيئا كبينة على شىء آخر ، ومن ثم — يدرك علاقة وأى تطور مستقبل — مهما كان نصيبه من الاتقان واحكام الصنعة — ليس سوى تنقيح وتهذيب وتمديد واستطالة لهذا الاجراء البسيط من الاستدلال والاستخراج . وكل ما فى وسع أحكم الحكماء أن يعقله هو أن يلاحظ ما يجرى على نحو أكثر شمولا واتساعا واحاطة ودقة ، ثم بعد ذلك يختار بعناية وتدقيق وحذر — من بين مارصد وسجل — تلك العناصر والعوامل بالذات التى تومىء الى شىء مرجح الحدوث .

وعلى هذا فان ملء رؤوسنا وحشوها — كالكشكول — بالمعلومات والبيانات والاحصاءات كما لو كان ذلك هو نهاية المطاف وكأنها بضاعة مزجاة يتسلمها ويفرغ من أمرها — هذه العملية ليست من قبيل التفكير .

---

(١٠) Democracy and Education.

(١١) Ibid

هذا الحشو لا يخلع علينا صفة المفكر ، لأننا عندئذ نحول أنفسنا الى قطعة من جهاز تسجيل — فحسب .

أما النظر فى علاقة الأحداث وارتباطها واعتبار مضمونها واحتمالاتها بالقياس الى ما هو آت — لم يحدث بعد وما هو مرجح الحدوث فى ضوء ما كان وما هو كائن ، فهذا هو التفكير .

١٢ — كل تفكير جدى ذى فحوى ومغزى يجمع بأقدار ونسب معينة وعلى حسب المنظور — بين الواقع والممكن حيث يزودنا الواقع الراهن بعناصر الاتصال والتماس والاحتكاك والرسوخ والثبات ، فى حين أن الممكن يمدنا بالمثل الأعلى الذى نتخذه محكا ومسبارا لنقدنا وتقويمنا والذى تنبثق منه جهودنا ومحاولاتنا الابتداعية الخلاقة .

١٣ — نحن نفكر بالقياس الى فئات وطبقات ودرجات ومرئيات مثلما نمارس الخبرة المحسوسة بالقياس الى أفراد .

١٤ — التأمل استجابة غير مباشرة للبيئة .

انظر أيضا : مذهب المحافظين (١) — العادات (٢) ، (٣) — الأفكار (٣) الكلمات (١) .

التقـــدم : **Progress :—**

١ — ان الرجل الصالح لا يقيس أعماله وفقا لمعياره فقط ، وانما يعنى أيضا بمراجعة معياره ، ان أسمى مراتب الوعى هو الاهتمام والشغف بالتقدم الدائم الدائب .

---

(١٢) Characters and Events

(١٣) Art as Experience.

(١٤) "The development of American Pragmatism" in the twentieth Century philosophy (a symposium) ed. by D.D. Runes).

(١) Ethics (with J.H. Tufts).

٢ — التقدم هو اعادة بناء الحاضر على نحو يضيف اكتمالا ووضوحا لمعناه ومغزاه وفحواه ، فى حين أن الانتكاس هو افلات المغزى والدلالة والتصميم والحسم من قبضة الحاضر .

والذين يتمسكون بأن التقدم لا يمكن ادراكه أو قياسه الا بالرجوع الى هدف بعيد ، أو لا يخلطون بين المعنى والحيز ، ثم بعد ذلك يعاملون الوضع الحيزى كمطلق ، كحركة مقيدة بدلا من أن تكون فى نطاق الحركة ومحددة بها .

ومالم يكن التقـدم اعادة بناء حاضر فهو لا شيء ، واذا لم يكن فى الوسع تبينه بصفات وسمات تنتمى الى حركة الانتقال والتحول فلا يمكن الحكم عليه أبدا .

٣ — ان التقدم فى المدنية لم يعن فقط الازدياد فى مدى وتعقد المشاكل التى يتعين معالجتها ، وانما أيضا جلب القلقلة وعدم الاستقرار .

ذلك أن ما يصاحبه من تكاثر الحاجات والأدوات والامكانيات يزيد من تنوع واختلاف القوى التى تتفاعل فيما بينها وتدخل فى علاقات بعضها ببعض ، ومن ثم يتعين توجيهها بذكاء ، ومن وجهة نظر المناهزة المحددة لهدف نهائى فان كفة الميزان تثقل جدا فى جانب التشاؤم .

صحيح أن ذلك يتضمن جهدا أكثر ، ومحاولة أكبر ، وبلوغ مآرب أوفر ، ومنجزات أغزر ، ولكن أيضا — وبكل تأكيد — حاجات أكثر ، وهبوطا وقنوطا وخيبة أمل أكثر .

وكلما أنجزنا وعملنا وأحرزنا — كانت النتيجة باطلا وغرورا وازعاجا . وتكديرا ، وقبض ريح .

ومن وجهة نظر نوال الخير الذى يظل باقيا ، فان ذلك يشكل حاصلا

---

(٢) Human Nature and Conduct.

(٣) Ibid

مؤكدا محددا ، ثم انجازه يقلل كمية الجهد المطلوب لبلوغ الهدف النهائى للخير كغاية أخيرة — الأمر الذى يجعل التقدم وهما غرارا .

بيد أننا نبحث عنه فى المكان الخاطىء ؛ فالحرب العالمية تفسير مرير كالعلقم لمفهوم القرن التاسع عشر الخاطىء للمأرب الأخلاقى .

وهو ضلال لا يمكن وراثته وتلقيه الا من نظرية تقليدية آبقة لغايات ثابتة مجمدة تحاول أن تسند هذا المذهب وتدعمه بمعونة ومؤازرة من النظرية « العلمية » للتطور ، على أن مذهب التقدم لم يفلس بعد .

فافلاس فكرة الخير الثابت المجمد الذى يمكن نواله وحيازته على نحو مستقر مكين قد تكون هى الوسيلة لتحويل عقل الانسان الى نظرية منيعة حصينة عن التطور — ومن ثم الالتفات الى المشاكل الحاضرة والامكانات الراهنة .

انظر أيضا : التربية (٣) — الحرية (٥) — الولاء (١) — الشباب (١) .

ث

الثقـــافة : **Culture :—**

١ — مالم تكن الثقافة طلاء سطحيا — قشرة من خشب الكابلى ملصقة فوق خشب عادى ، فانها بالتأكيد ما يأتى :

نمو الخيال فى المرونة والمجال والمدى والمشاركة الوجدانية .

٢ — ان الثقافة .. ضـــد الخام والغفل والفـــج ، وعندما يتطابق « الطبيعى » مع هذه النبوءة فان الثقافة ضد ما يسمى بالنشوء الطبيعى . ثم ان الثقـــافة أيضا شىء شخصى ، انها تهذيب وترفيه بالنسبة لتذوق الأفكار والفن والاهتمامات والميول الانسانية الواسعة .

انها القدرة الموصولة على توسيع مدى وصحة ادراك المرء لمعانيه .

٣ — حيث انه ليس فى وسعنا أن تتسول أو نقترض ثقافة دون أن نعذر بها وبأنفسنا فلا يبقى أمامنا سوى انتاج واحدة .

٤ — لكل ثقافة شخصيتها الفذة الفريدة ونمطها المميز الذى يربط أجزاءها بعضها ببعض .

٥ — ان حالة الثقافة — هى حالة تفاعل بين عناصر عديدة — أهمها القانون ، والسياسة ، والصناعة ، والتجارة ، والعلم ، والتكنولوجيا ؛

---

(١) School and Society.

(٢) Democracy and Education.

(٣) Characters and Events

(٤) Art as Experience.

(٥) Freedom and Culture.

وفنون التعبير ، والبلاغ ، والاتصال ، والتفاهم ، والأخلاق أو القيم التى يعتز الناس بها ، والطرق التى يقومونها بها ، وأخيرا — وان كان بطريقة غير مباشرة — نظام الأفكار العامة التى يستعملها الناس لتسويغ ونقد الظروف والأحوال الأساسية التى يعيشون فى ظلها ، أى فلسفتهم الاجتماعية .

٦ — ان فكرة الثقافة .. تومىء الى نتيجة قوامها أنه مهما كانت المركبات الفطرية للطبيعة البشرية ، فان ثقافة فترة ما ، وجماعة ما ، هى المقرر الحاسم البات فى نظامهم وتدابيرهم ، وهى التى تحدد أنماط السلوك التى تميز نشاط أى جماعة ، أو أسرة ، أو بطن ، أو شعب ، أو طائفة ، أو زمرة ، أو فرقة ، أو شيعة ، أو طبقة .

وليس ثمة ريب — على الأقل — فى صحة حقيقة أن حالة الثقافة تحدد مسار ومدار ونظام وتدبير الميول الفطرية — مثلما أن الطبيعة البشرية تنتج نظاما معينا أو وضعا خاصا من الظواهر الاجتماعية لكى تحقق لنفسها اشباعا ومرضاة .

والمشكلة هى فى تلمس الطريقة التى تتفاعل بها عناصر ثقافة ما بعضها مع بعض ، والطريقة التى تدفع عناصر الطبيعة البشرية الى التفاعل بعضها مع بعض تحت ظروف وأوضاع هيئت بتفاعلها مع البيئة .

فمثلا — اذا كانت ثقافتنا الأمريكية — الى حد كبير — ذات صبغة مالية — فليس ذلك بسبب أن التركيب الفطرى والأصلى للطبيعة البشرية يجنح من تلقاء نفسه للحصول على الربح المالى . وانما مرد ذلك أن ثمة ثقافة مفيدة ذات تركيب خاص تشجع وتحضر وتدفع وتوجد وتجمع الميول الفطرية على نحو مترتب عليه انتاج نمط معين من الرغبات والأغراض .

---

(٦) Ibid

٧ — أياً ما كان التركيب الفطرى للطبيعة البشرية فان مناشطها العاملة — تلك المناشط التى تستجيب للنظم والقواعد والتى هى فى نهاية الأمر تشكل نمط الأخيرة — انما يخلقها جماع المهن والحرف والاهتمامات والميول والمهارات والمعتقدات التى تتألف منها ثقافة ما .

وكلما تغيرت هذه المركبات — خصوصا كلما أصبحت أكثر تعقيدا وتشابكا على النحو الذى حدث فى تغير الحياة الأمريكية منذ أصبح لنا شكل محدد لتنظيمنا السياسى — فان مشاكل جديدة — تحل محل تلك المشاكل التى تحكمت فى تشكيل وتوزيع القوى السياسية فى تلك المراحل السابقة .

انظر أيضا : التربية (٤) ، (١٢) — الخبرة (٩) — التاريخ (٦) — التحررية (٤) .

الثورة : **Revolution :—**

١ — ان ثمن الثورة ينبغى أن يتقاضى من أولئك الذين اتخذوا هدفا لهم تجميد العادة والقبض عليها بدلا من تعديلها واعادة ملاءمتها .

انظر أيضا : مذهب المحافظين (٢) — الدين (٤) .

---

(١) Human Nature and Conduct.

ج

الجـــهل : **Ignorance :—**

١ — الجهل الحقيقى الخالص .. نافع ومفيد لأنه من المرجح أن يقترن بالتواضع وخفض الجناح وبالفضول وحب الاستطلاع وتفتح العقل ، فى حين أن القدرة على تكرار الكلام المبتذل المعاد والألفاظ الرطانية والفروض الدارجة توهم بالتعلم .

ويشيع الغرور والعجب ويختم العقل بطلاء واق ضد الأفكار الجديدة .

انظر أيضا : المدرسة (٦) .

(١) How we Think.

ح

الحاضر والماضى : **Present and Past :—**

١ — « المنشط الحاضر » ليس مقطعا حادا ضيق الحيز بنصل بتّار فى الزمان .

ان الحاضر معقــد التركيب يحتوى فى طياته حشدا من العــادات والبواعث .

انه موصول ومستديم ، انه مجــرى أداء ، ســبيل يشمل الذاكرة والملاحظة وبعد النظر ، انه دفعة الى الأمام ، ولفتة الى الوراء ، ونظرة الى الخارج .

انه ذو مغزى أخلاقى ؛ لأنه يميز تحولا فى اتجاه اتساع ووضــوح العمل ، أو فى اتجاه التفاهة والسفساف والتخبط .

٢ — ان الالمام بالماضى ومعرفته — لا مغزى له ولا أهمية الا اذا كان يعمق ويوسع المامنا وفهمنا للحاضر .

انظر أيضا : التغيير (٥) — التربية (١٥) — المستقبل (٢) ، (٤) — التاريخ (١) — الفلاسفة (٤) — التقدم (٢) .

حب الاستطلاع : **Curiosity :—**

١ — لا توجد ملكة مفردة تسمى حب « الاستطلاع » ؛ فكل عضو

---

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) Logic : The Theory of Inquiry.

(١) How we Think.

طبيعى من الاحساس ومن النشاط الحركى فى حالة ترقب وتيقظ وانتباه وتأهب يريد فرصة لكى ينشط وينطلق ، ومن ثم فهو يحتاج الى شىء معين لكى يطلقه فيعمل .

والمجموع الكلى لهذه الميول والنوازع المنطلقة الى الخارج يشكل حب الاستطلاع . وهو العنصر الأساسى فى توسيع الخبرة .

انظر أيضا : الجهل — القراءة .

الحرب : War :

١ — كالرق عند الاغريق القدماء ، أو القنانة الاقطاعية ، فالحرب والنظام الاقتصادى الراهن أنماط اجتماعية نسجت من مادة مناشط غريزية .

فالطبيعة الانسانية الفطرية تمدها بالمواد الخام ، ولكن العادة تزودها بالآلات والعدد والرسوم والتصميمات والخطط .

ان المشاكسة والمزاحمة والنضج والخيلاء وحب السلب والغنيمة والخوف والتوجس والتربص والقصف والرغبة فى التحرر من التقاليد المرعية للسلام والتملص من قيود اتفاقاته ، وحب القوة وكراهة الظلم ، والتماس الفرصة للتباهى بالفروض الجديدة ، وحب الوطن والأرض والارتباط العاطفى بالقوم والمحراب والمصطلى ، والشجاعة والولاء والتماس الفرصة لتخليد الذكر أو لجمع المال أو ايجاد عمل فى الحياة ، والتعلق وعبادة الأسلاف وآلهة السلف — كل هذه الأشياء وكثير غيرها هى التى تشكل قوة النزعة الحربية .

أما افتراض أن هناك قوة فطرية لا تتغير تولد الحرب ، فهو افتراض لا يقل سذاجة عن الافتراض الشائع بأن عدونا فى الحرب مسوق اليها

Human Nature and Conduct. (١)

فقط بالحوافز الدنيئة مما ذكرنا ، فى حين أننا نحارب بالبواعث البيئية السامية فقط .

٢ — ان الناس يسوغون الحرب نيابة عن كلمات — كانت تكون جوفاء خاوية لولم تزخر بالقوة الانفعالية — كلمات مثـل الشرف — الحرية — المدنية — الجهاد المقدس — وارادة القدر — متناسين أن أى حرب — مثلها فى ذلك كمثل كل شىء آخر — لها نتائج معينة ملموسة محسوسة على الأرض .ومالم يقم الدليل على أن الحرب هى أعظم الوسائل الاقتصادية توفيرا وتدبيرا لاحراز النتائج المبتغاة المرغوب فيها بالحـد الأدنى من النتائج غير المرغـوب فيها ، فهى علامة دالة على التبـديد والضياع ، ومن ثم ينبغى أن يصدر عليها الحكم القاضى بأنها عنف وقسوة وظلم وليس لجوءا الى القوة أو استعمالاتها .

وعندئذ تصبح ألفاظ الشرف والحرية ومستقبل الحضارة والعـدل هواجس خيالية غرارة عاطفية من نفس جنس وطراز النغمات والوصلات التى يرددها المسالم المحترف . صحيح أن قوتها الانفعالية قد تحتفظ بالناس فى قبضة يدها وتوجههم حيث تشاء ولكنها لن تلقى ضوءا على الهدف الذى ينساقون تجاهه ، ولا على الطريق الذى يسلكونه .

٣ — ان المعاهدات القاضية بحق اعلان الحرب — لها فيما يبدو — قوة ملزمة جذابة لا سبيل الى مقاومتها أو درئها . أما معاهدات السلام — فهى بكل تأكيد قصاصات من الورق .

٤ — اننى مؤمن — بدون أدنى ظل من الريب — أن تحريم الحرب

---

(٢) Characters and Events.

(٣) Ibid., II.

(٤) Are Sanctions Necessary to international organization ? (a Pamphlet)

قانونا سيخلص العالم نهائيا من نظام الحرب ، فاذا ما أصرت الأمم على القتال — فليكن لها ما تريد — تماما كما ينتحر الأفراد .

٥ — ان الحرب نمط اجتماعى تماما على غرار نظام الرق الذى ظن الأقدمون أنه حقيقة ثابتة لا تتغير .

انظر أيضا : الطبيعة الانسانية — التفاعل (٤) — السلام — القوة (٢) .

الحرية : Freedom :—

١ — الحرية هى « اطلاق القدرة من أيما شىء يكفيها » .

٢ — نحن أحرار بالدرجة التى تتصرف بها ، ونحن عالمون بالذى نحن عليه مقبلون . ان مطابقة الحرية « بحرية الارادة » تضع ظل التمام فى المكان الخاطىء .

٣ — نحن أحرار — ليس بسبب كينونتنا الراهنة ، أو وزننا الراهن ، ولكن بالدرجة التى نصبح بها مختلفين عما كنا .

٤ — ليست الحرية هبة مما يمكن منحه للناس كعطية من الخارج ، سواء من كف الاستبداد المحسن التقليدى ، أو كف الدكتاتورية فى طرزها الحديثة . وسواء أصدرت عن نظام البروليتاريا ، أم النظام الفاشى . انها شىء لا يمكن احرازه الا اذا أسهم الأفراد واشتركوا فى الظفر به — وهذه الحقيقة — لا أى جهاز سياسى معين أيا كان وأنى كان — هى جوهر التحررية الديموقراطية .

---

(٥) Problems of Men.

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) The Quest for Certainty.

(٣) Philosophy of Civilization.

(٤) Liberalism and Social Action.

٥ — فى تحليلها النهائى — الحرية هامة لأنها شرط لازم لتحقيق كلا امكانيات الفرد والتقدم الاجتماعى .

فبدون ضوء — يقضى على أى قوم بالانقراض .

وبدون الحرية — يتلاشى الضوء تدريجيا ويسود الظلام .

بدون الحرية تصبح الحقائق القديمة مبتذلة وبالية ومهلهلة ، لدرجة أنها لا تصبح حقائق ، وانما تصبح مجرد املاءات آمرة ناهية من قبـــل سلطة خارجية .

بدون الحرية يغلق باب البحث عن حقائق جديدة ويسد المدخل المفضى الى مسالك جديدة تسير الانسانية فى دورتها على نحو أكثر ثقة وطمأنينة وعــدلا .

ان الحرية التى هى تحرير الفرد ، هى الضمان النهائى والتوكيد الباث الدالاَّن .

Freedom of Thought: **حرية التفكير :**

١ — لقد افترض — غالبا — أن حرية الكلام — المنطوق أو المكتوب مستقلة عن حرية التفكير — وأن ليس فى وسعك أن تسلب الناس حرية التفكير على أى حال — حيث انها تدور فى داخل عقــولهم وأخلادهم وحيث لا يتسنى أخذها ولا توجد فكرة أكثر خطأ من هذا الزعم .. لأنه اذا كانت الأفكار عندما تنبثق وتجيش فى العقول لا تستطيع أن تجد لها منفذا ولا اتصال — فهى اما أن تذوى وتذبل ، واما أن تصــبح ملتوية مسؤودة زاخرة بالعوج والأمت .

"Academic Freedom" in Intelligence in The Modern World. (ed. by J. Ratner). (٥)

Philosophy and Civilization. (١)

٢ — فى وسعنا أن نهنىء أنفسنا على أننا نعيش حيث لا تزال حرية المناقشة وحرية النقد قيما لا تحرمنا منها قوة تصل الى حد احتكار الحياة الثقافية والروحية .

بيد أن عجز الانسان فى كثير من بقاع الأرض عن التبادل الحر للأفكار ينبغى أن يثير فينا وعيا بقوة المقارنة — بالمميزات التى مازلنا نتمتع بها وبواجبنا حيال حمايتها وصيانتها ونشرها ، وينبغى أيضا أن تجعلنا على وعى حاد فان حرية التفكير ذاتها — حرية البحث — تتعثر وتصبح كسيحة ، وأخيرا مشلولة تحت وطأة قمع وكبت الاتصال الحر والبلاغ الحر والتفاهم الحر .

على أن مثل هذا الاتصال والبلاغ والتفاهم يتضمن حق ومسئولية وضع كل فكرة وكل عقيدة على محك النقد والتفنيد والاختبار مهما بلغت حدتها .

فانه لأمر يأتى فى المرتبة الثانية من الاعتبار والأهمية — أننا جميعا نتشابه فى العقيدة ، لأن الاعتبار الأول الذى يفوق ذلك فى الأهمية هو أننا جميعا — على قدم المساواة — نبحث بحرية ونضع تحت تصرف بعضنا البعض الآخر أن ومضات أو لمحات من الحقيقة نسعى فى طلبها ويتسنى لنا أن نحصل عليها .

انظر أيضا : الديموقراطية (١) — الحرية (١٠) .

الحساب : Mathematics :

١ — الأفكار الحسابية أدوات لا غنى عنها للبحوث المادية .

ولا يكتمل وصف منهاج الأخيرة اذا لم يدخل مدخل فى حسابه قابلية تطبيق المفاهيم الحسابية على الوجود الطبيعى .

(٢) Reply in the Philosophy of John Dewey. (a Symposium, ed. by P.A. Schilpp).

(١) The Quest for Certainty.

٢ — فى نطاق العلم الحسابى فان الرموز موضوعات بذاتها لها نفس الطبيعة المنطقية كالمعادن والأحماض فى الكيميا وكالصخور والحفريات فى الجيولوجيا .

٣ — ان الحساب لغة فى أرقى مدارج التطور — ومثله كمثل اللغة — فانه قابل للتطبيق النافع المثمر — فى معاملاتنا مع العالم ، ولكنه فى نفس الوقت — ليس أكثر من أى لغة أخرى فى كونه جزءا من ذلك العالم الا كما أن الانسان نفسه جزء منها .

انظر أيضا : قانون الطبيعــة (٣) — المــادة (٣) — الطبيعــة (١) — الأشياء (٢) .

Civilization : **الحضـــارة :**

١ — لو أن هناك بيت حضارة استقر على سطح الأرض — فى أى زمان أو مكان منقسما فيما بين نفسه وضـــد نفسه — تحسب سكانه جميعا وقلوبهم شتى — فهذا البيت هو بيتنا اليوم فى زماننا المعاصر .

٢ — ان حضارتنا — على نحو غالب سائد — حضارة الأعمـــال التجارية .

٣ — تقاس الحضارة بالدرجة التى يحل بها سبيل الذكاء التعاونى محل طريقة الصراع الوحشى .

---

(٢) Problems of Men.

(٣) In the Humanist, VII.

(١) "A Critique of American Civilization", in Recent, Gains of American Civilization (a Symposium, ed. by K. Page).

(٢) Individualism, Old and New.

(٣) Liberalism and Social Action.

٤ — نحن نعيش فى حياة متشابكة مختلطة منقسمة تتنازعنا فى اتجاهات متعارضة .

وليس لدينا حتى الآن — فلسفة حديثة الا فى معنى التسلسل الزمنى فليس فى حوزتنا — حتى الآن نظام تربوى أو غيره من الأنظمة والمؤسسات الانسانية ألا وهو خليط من عناصر متضاربة . ان الفتق القائم بين طرائق ونتائج العلم الطبيعى وبين الطرائق والنتائج المسلم بها فى الأخلاق والدين — هـذا الفتق أمر خطـير — ما فى ذلك أدنى ريب — من أى زاوية نظر اليه .

فمعنى هذا الفتق أن المجتمع ليس متحدا ولا ملتحما فى أهم شئونه وفى أجدر مقتضيات التحامه بالرتق .

٥ — ان الحضارة نفسها هى حاصل طبيعة انسانية معدلة .

انظر أيضا : التربية (١) ، (١١) — الانسانية — الفرد (١) — اللغة (٢) — التعلم (٢) — الفلاسفة (٥) .

الحق : — (*) **Truth :—**

١ — ان اختيار الحق على أنه موضوعى ، والباطل على أنه ذاتى ، اجراء — على هذا الأساس — متحيز لا مسوغ له .

صحيح أنه أمر « انسانى » أن تعتبر مجرى الأحداث التى تتفق مع محاولاتنا الخاصـة وجهـدنا المبذول وينظـر اليها على أنهـا مجرى

---

(٤) "Challenge to Liberal Thought", in the Fortune, XXX (1944).

(٥) Problems of Men.

(*) بمعنى الصدق العقلى أى الصدق الضرورى فى مجال الفكر النظرى المجرد ويقابله Validity ومعناها صحة النتيجة من حيث انطباقها على الواقع .

(١) In the Creative intelligence : Essays in the pragmatic Attitude (a symposium).

الأحداث الطبيعية المنتظمة وأن توافقاتها وانقطاعها وما يعترض سـياقها — على اعتبار أنه الشذوذ غير الطبيعي ، ولكن هذا التحيز من جانب الرغبة الانسانية هو ذاته جزء مما يحدث فى الواقع من الأمر .

٢ — الصحيح يعنى الذى ثبتت صـحته بالتحقيق ولا يعنى شيئا سوى ذلك .

٣ — ان الحقائق ليست سوى فئة واحدة من الحقائق ، أى تلك التى دعوى التحقق فيها نتائجها جزء جوهرى من معناها فى حد ذاته . ووراء هذه الجزيرة من المعانى التى هى فى طبيعتها ذاتها صحيحة أو باطلة — يقع محيط المعانى التى لا علاقة للحق والباطل بها .

ففى وسعنا حقا أن نسأل عن صحة هاملت لشكسبير ، أو قصـيدة القبرة للشاعر شيلى — ولكننا فى هذا السياق قد نعنى بالصحة أو الحقيقة شيئا مختلفا تمام الاختلاف عن حقيقة علمية أو ثبت تاريخى .

٤ — ليس ثمة سوى طريق واحد مضمون يفضى الى الحقيقة ألا وهو طريق البحث الصـبور المتعاون الذى يعمل بالملاحظـة وأدوات البحث والتسجيل والرصد والتأمل الخاضع لاحكام الضبط والدقة .

انظر أيضا : الخبرة (٥) — حـرية الفكر (٢) — الفـروض (٢) — الأخلاق (٥) — العلم (١) .

الحق : Right :—

١ — الحق ليس اسما مجردا لحشد كبير من المقتضيات المحـددة الملموسة فى العمل والأداء التى يفرضها الغير علينا بالالزام ، والتى نحن

---

(٢) Reconstruction in Philosophy.

(٣) Philosophy and Civilization.

(٤) A Common Faith.

(١) Human Nature and Conduct.

مضطرون — اذا قدر لنا أن نعيش ، أن ندخلها فى حسابنا على نحو ما .

وسلطة الحق هى الحاح مطالبهم واقتضاؤها وما عليه اصرارهم .

وقد يكون هناك أساس معقول للمحاولة القائلة بأنه من الوجهة النظرية فان فكرة الحق أو الصحيح خاضعة لفكرة الخير أو الطيب حيث انها تعبير أو تفسير للطريق السديد لبلوغ الخير .

ولكنها فى الحقيقة تدل على جماع الضغوط الاجتماعية الواقعة علينا لتحملنا على أن نفكر ونرغب بطرق معينة .

ومن ثم فان الحق يمكنه أن يصبح فى الحقيقة الطريق الى الخير فقط اذا كانت العناصر التى تكون هذا الضغط المستمر الذى لا يفتر مستنيرة ناهضة ، وعندما تصبح العلاقات الاجتماعية نفسها معقولة ومقبولة .

٢ — وان مفهوم الحق بمعنى القسط — فى حالات كثيرة — مستقل وغير مرتبط من مفهوم المرضاة والخير والبر .

فعندما يقول « أب » هذا حق وصح ومن ثم يجب عليك أن تفعله ، فمن المرجو أن أداء الفعل سيفضى فعلا الى الخير والبر ، ولكن «الصحيح» أو الحق أو القسط ، كفكرة ، تدخل عنصرا خارجا تماما عن فكرة الخير أو البر .

هذا العنصر هو عنصر التحتيم والعرض والالزام .. والمواطنون فى دولة قوامة بالقسط يستجيبون — على حساب مضايقاتهم ومتاعبهم الشخصية لمطالب الدولة ويلبون فروضها — لا لكون الدولة تقسرهم على ذلك قسرا بالاكراه المادى أو الاعتساف الفعلى ، ولكن لأنهم أعضاء فى مجتمع منظم — أعضاء فى المعنى الوثيق الودى الصميمى للعضوية بحيث ان المطالب والمقتضيات والعروض لا تشكل ضغوطا خارجية تحمل عليهم

Ethics (With J.H. Tufts, revised ed.) (٢)

اصرا ، حتى عندما تتعارض مع المصلحة أو الخير الذى تستلزمه رغبة راهنة .

ان مقتضيات الصداقة ليست دائما سارة ولا مستحسنة ، بل وأحيانا ما تكون فى غاية المشقة والانهاك ولكننا لن نتردد فى القول بأن المرء الذى يأبى الوفاء بها لمجرد كونها مزعجة ليس صديقا حقا .

فاذا عممنا هذه الأمثلة فاننا ننتهى الى نتيجة قوامها أن الحق والواجب والقانون كلها تنبثق وتنشأ من العلاقات التى يدعمها الناس حيال بعضهم بعضا وأن سلطتها وقوتها الفعالة تنبجس من نفس طبيعة العلاقة التى تربط الناس بعضهم ببعض .

٣ — الحقوق الطبيعية والحريات الطبيعية لا توجد فقط الا فى مملكة الحيوان الاجتماعية الخرافية .

انظر أيضا : المساواة — الحرية (١٠) — الأنانية .

الحقيقة : **Reality :—**

١ — الحقائق — غير التجريبية — حقائق لا وجود لها ولا يعتد بها .

٢ — الحقيقة لفظ اشارى دال ، فهى كلمة تستعمل للدلالة ، عينا على كل شيء يحدث — « سبهللا » (لا مع ولا على) والأكاذيب والأحلام وحالات الجنون المطبق والمخاتلات والخرافات والنظريات كلها — الأحداث بالذات — التى هى هى — عينا والبراجماتية قانعة وراضية بأن تأخذ موقفها الى جانب العلم لأن العلم يعتبر كل مثل تلك الأحداث مادة للوصف

---

(٣) Liberalism and Social Action.

(١) The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

(٢) In the Creative Intelligence : Essays in the Pragmatic Attitude (a Symposium).

والبحث — تماما مثـل النجوم والحفريات والبعوض والملاريا والدورة الدموية والبصر — سواء بسواء .

٣ — الزمـان والذاكرة فنانان حقيقيان ؛ ذلك أنهما يعيدان صب الحقيقة وتشكيلها وفقا للهوى والرغبة والمنى .

٤ — ان الطريقة التى نسميها « العلمية » تشـكل بالنسبة للانسان الحديث .. الوسيلة الوحيدة المعول عليها لكشف حقائق الوجود وفضها .

انظر أيضا : التعريف (٢) — الموضوعات (٢) — الفلسفة (٥) .

Judgement :— **الحـــكم :**

١ — ان الحكم عندما يتكون ويصدر هو بمثابة قرار .

٢ — ان الرجل ذا الحكم الصائب فى أمور معينة بالذات هو رجل يعتبر متعلما ومتدربا — ومتمرسا — بهذا المقدار — مهما كان نصيبه من العلم والمعرفة .

واذا أفلحت مدارسنا فى اقرار هذا الاتجاه العقلى فى طلابها بحيث يفضى الى الحكم الصائب فى أى شأن من الشئون يواجه الطلاب ، فان المدارس بذلك تكون قد فعلت أكثر وأحسنت صنعا — على نحو يفوق ما تفعله عنـدما يقتصر عملها على مجرد حشو أذهان الطلاب بالكميات الهائلة المخزونة من المعلومات أو الدرجات العالية من المهارة فى الفروع المتخصصة .

انظر أيضا : النقد — التفاعل (٢) — التفكير (١١) — القيمة (٢) ، (٥) .

---

(٣) Reconstruction in Philosophy.

(٤) "Credo" in Living Philosophies (a Symposium).

(١) How we think.

(٢) Ibid.

Wisdom :— **الحكمة :**

١ — الحكمة .. هى حاضنة ومرضعة كل الفضائل .

٢ — تختلف الحكمة عن المعرفة فى كونها التطبيق العملى لما يعرف، ويعلم على التسيير الذكى لدفة شئون الحياة الانسانية .

انظر أيضا : الخير والشر (٣) .

Government :— **الحكومة :**

١ — لا يمكن أن تكون حكومة يقوم على أمرها الخبراء ولا تتيح الفرصة للكافة لكى يوجهوا الخبراء ويفصحوا عن حاجاتهم — شيئا سوى دولة استئثار تحكمها مصالح القلة .

انظر أيضا : الديمقراطية (٣) ، (٤) ، (٨) .

Life :— **الحياة :**

١ — من الوجهة التجريبية — فان أوضح فرق مميز بين الكائنات الحية والجمادات هو أن مناشط الأولى تتميز بخصيصة الحاجات ، وبالجهد المبذول الذى هو سعى نشط لاشباع الحاجات ، وكذلك بظاهرة الاشباع والتحقيق والرضا .

٢ — الحياة تمضى فى بيئة — وهى لا تمضى فيها فحسب ، ولكن بسببها بواسطة التفاعل معها . ولا يوجد مخلوق — يعيش تحت جلده — فحسب . فأجهزته الموجودة تحت البشرة هى وسائل للارتباط بما هـو

---

(١) Ethics (with J.H. Tufts).

(٢) Problems of Man.

(١) The Public and Its Problems.

(١) Experience and Nature.

(٢) Art as Experience.

خارج نطاق هيكله الجسمانى — والذى يتعين عليه — لكى يعيش — أن يلائم نفسه له بالتهايؤ والتكيف والتوفيق والدفاع — ولكن أيضا بالغزو .

وفى كل لحظة يتعرض الكائن الحى لأخطار تتهدده من محيطه ، وفى كل لحظة لزام عليه أن يستخرج شيئا من محيطه ليشبع حاجاته ، وحياة ومصير الكائن الحى مرتبطان ارتباطا وثيقا محتما بتفاعلاته وتبادلاته مع بيئته — ليس خارجيا ولكن بطريقة فى غاية الصميم .

٣ — ان الوسائل التى نكسب بها عيشنا يجب أن تتحول الى وسائل لصنع حياة تستحق العيش .

٤ — لا يوجد شكل من أشكال الحياة فى حالة استقرار دائم ، أو يمكنه أن يظل كذلك — فهو اما أن يتقدم واما أن يتأخر ، وفى نهاية مطاف طريق التقهقر يوجد الموت .

انظر أيضا : التربية (٢) — المعرفة (٥) — البيئة (٣) — المجتمع (١) — الخبرة (٢) — النمو (١) .

---

(٣) Reply in the Philosophy of John Dewey (a Symposium, ed. by P.A. Schilpp).

(٤) Problems of Men.

خ

الخبرة : **Experience :—**

١ — لا يمكن فهم طبيعة الخبرة الا بالتـنويه بأنها تتضمن عنصرا ايجابيا وعنصرا سلبيا ممتزجين على نحو غريب ذى صفة مميزة .

فمن الناحية الايجابية : الخبـرة محاولة — سعى — تجـريب — اجتهاد — معنى يصبح واضحا بنوع ثابت فى التجربة موضوع السعى والتجريب .

ومن الناحية السلبية : — الخبرة — تحمل . مكابدة . معاناة .

وعندما يمارس خبرة شىء فاننا نتصرف بمقتضاه ونفعل شيئا حياله ، ثم بعد ذلك نتحمل ونكابد أو نعانى نتائجه وما يترتب عليه من تبعات .

فنحن نفعل شيئا حيال الشىء ، ثم بعد ذلك يفعل الشىء حيالنا شيئا فى مقابل ما نفعله — هـذا هو المزيج أو الترتيب أو التركيب الغريب ذو الصفة المميزة . والعلاقة بين هاتين الناحيتين من الخبرة هى محـك اثمار أو قيمة الخبرة .

ان مجرد النشاط لا يشكل خبرة ، انه مشتت ومنحرف عن المركز ومبدد .

ان الخبرة كسعى تتضمن تغييرا ، ولكن التغيير يكون تحولا عقيما مالم تكن مرتبطة ارتباطا واعيا بموجة النتائج العائدة التى تنساب منها .

---

(١) Democracy and Education.

وعندما يستمر نشاط على نحو موصول ليلج مرحلة تحمل ومكابدة النتائج المترتبة عليه — وعندما ينعكس التغيير الحادث من العمل أو الأداء أو المنشط ويتجلى فى تغيير يحدث فينا فان مجرد التدفق والكرور والتتابع يكون محملا بالمغزى والفحوى ، عندئذ نتعلم شيئا ..

ان الحوافز القهرية والنزوات المزاجية وأطوار الهوى تجنح بنا طياشة من شيء لآخر .

وما دام ذلك يحدث فالنتيجة قبض الريح ، والكتابة على الماء ، اذ لا يحدث شيء من ذلك النمو المتجمع المتراكم الذى يشكل خبرة فى أى معنى حيوى من معانى هذا الاصطلاح ، ومن جهة أخرى فان أشياء كثيرة تحدث لنا من قبيل اللذة والألم لا ترتبط بأية خبرة سابقة من لدنا ، فلا يوجد قبل ولا بعد لمثل هذه الخبرة .

لا يوجد سريان على الحوادث السابقة للتأمل فى الماضى .

ولا ترقب له دلالة بالقياس الى تباشير المستقبل ، ومن ثم لا يوجد معنى .

وعلى هذا فاننا لا نحصل على شيء يمكن نقله كالمجموع الحسابى الى ما بعده للتنبؤ بما يرجح حدوثه من بعد .

ولا يحدث اكتساب فى القدرة لملاءمة أنفسنا وتهيئها لما هو آت — أى لا يوجد ضبط أو تحكم أو سيطرة مضافة . ومن باب الكرم والمجاملة فقط يمكن تسمية مثل هذه الخبرة — خبرة . « ان التعلم من الخبرة » هو عمل علاقة الى خلف والى أمام بينما ما نفعل حيال الأشياء وما نتمتع به أو نعانيه من الأشياء كنتيجة لذلك .

ومثل هـذه الحالات فان العمل أو الأداء يصبح سعيا ، اجتهادا ، محاولة ، تجريبا ، مع العالم لكى نكتشف كنهه ، وتصبح المعاناة والمكابدة والتحمل تعليما ، أى اكتشافا للعلاقة بين الأشياء .

٢ — حيثما توجد خبرة يوجد كائن حى .

٣ — فى المذهب التقليدى الأرثوذكسى تعتبر الخبرة أولا وقبل كل شىء مسألة معرفة .

ولكن بالنسبة للعيون التى لا تنظر خلال العوينات العتيقة — فانها تبدو يقينا كمسألة دفاع وتفاعل بين كائن حى مع بيئته المادية والاجتماعية.

٤ — ان الخبرة من الطبيعة مثلما هى فى الطبيعة .

فليست الخبرة هى التى تختبر — ولكن الطبيعة — الأحجار ، النباتات ، الحيوانات ، الصحة ، درجة الحرارة ، الكهربا ؛ وهلم جرا . فالأشياء — وهى تتفاعل بطرق معينة — خبرة ، فهى تمارس وتختبر .

فاذا ما ارتبطت بطرق أخرى معينة على شىء آخر طبيعى — ألا وهو الكائن الحى الانسانى — فانها تكون أيضا الكيفية التى تشكل الخبرة بالأشياء .

٥ — ليس فى مستطاع الخبرة أن تسلم لنا الحقائق الضرورية اللازمة — الحقائق المبرهنة بالعقل على نحو تام ؛ فنتائجها واستخراجاتها خاصة لا عامة ، ومعينة لا شاملة .

٦ — ان الخبرة — من حيث كونها خبرة — هى حيوية قوية سابحة على موجة عالية .

٧ — ان الخبرة مسألة تفاعل بين الكائن الحى والبيئة — البيئة

---

(٢) In the Creative Intelligence : Essays in the Pragmatic Attitude (a Symposium).

(٣) Ibid.

(٤) Experience and Nature.

(٥) The Quest for Certainty.

(٦) Art as Experience.

(٧) Ibid.

بأحيائها وأشيائها — الانسانية والمادية والتى تتضمن جماع التقاليد والنظم والمؤسسات مثلما تتضمن الأشياء المحلية المحيطة .

وحيث ان كل خبرة تتشكل من التفاعل بين ذات وموضوع — بين نفس وعالمها — فهى ليست فى حد ذاتها اما بحت مادية ، واما بحت عقلية مهما تغلب هذا العنصر أو ذاك .

٨ — كل خبرة مباشرة كيفية — والصفة الكيفية هى التى تجعل خبرة الحياة نفسها ذات قيمة ثمينة مباشرة .

٩ — لقد قررت أن الخبرة مسألة ، أو عملية تفاعل بين الكائنات الحية مع بيئتها ، والخبرة الانسانية هى على ما هى عليه بسبب أن الكائنات الانسانية خاضعة لتأثير الثقافة ، بما فى ذلك استعمال وسائل محددة للتفاهم المشترك والبلاغ أو الاتصال المتبادل والتى تسمى فى الاصطلاح الانثروپولوچى الكائنات الحية المعدلة ثقافيا .

انظر أيضا : التجريد (١) — الفن (٣) ، (٥) — الاتصال — الوعى (١) — حب الاستطلاع — التربية (٥) — الاستدلال (٤) — المعرفة (١) — اللغة (٢) ، (٤) — الانسان (١) — الذاكرة — الموضوعات (٢) — المدرسة (٨) — النفس (٦) — المجتمع (٢) ، (٣) .

الخداع : Deception :—

١ — لا يوجد امرؤ أسرع انخداعا وتلبية لدواعى الخداع — ممن يقع تحت تأثير انفعال قوى .

انظر أيضا : الرغبة (١) — الحقيقة (٢) .

---

(٨) Ibid.

(٩) Reply in the Philosophy of John Deway (a symposium) ed. by P.A. Schilpp.

(١) Human Nature and Conduct.

الخـــلق : **Character :—**

١ — يستطيع المرء أن يفصح عن دخيلة نفسه بنظرة أو لمحة أو ايماءة . من الممكن قراءة الخلق عن طريق أعمال الفرد وتصرفاته .

٢ — ان الخلق هو تداخل وتطرق وتوغل العادات وتفاعلها بعضها مع بعض .

ولو أن كل عادة من العادات كانت معزولة أو مغشاة بمادة عازلة — تفصلها فصلا محكما عن غيرها من العادات بحيث تعمل مستقلة عن غيرها ولا تؤثر فيها ولا تتأثر بها لما وجد خلق أو سجية — بمعنى أن المسلك يصبح فى هذه الحالة مفتقرا الى الوحدة والكلية بحيث يكون مجرد مجاورة بين رجوع لا ارتباط عنها حيال مواقف منفصلة .

انظر أيضا : الأهداف والغايات (٣) — التفاعل (١٢) — المسئولية (٣) — المدرسة (٨) — المجتمع (٤)

الخيــــار : **Liberty :—**

١ — يحتمل الخيار ويقابل بالتسامح طالما أنه — لا يهدد على أى نحو — الوضع الراهن للمجتمع .

٢ — ان الخيار ليس محض فكرة ، أو مبدأ مجردا ، وانما هو قوة — قوة فعالة لأداء أمور معينة بالذات .

٣ — هل سيتنازل الناس عن حريتهم اذا آمنوا بأنهم بهذا الصنيع سيحصلون على الرضا الذى يأتى من الاحساس بالاندماج والامتزاج فى

---

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) Ibid.

(١) Liberalism and Social Action.

(٢) "Liberal and Social control" in the social frontier, II (1935).

(٣) Freedom and Culture.

الآخرين ونوال ذلك الاحترام من الآخرين الذى هو حصيلة القوة المجمعة من التماسك والوحدة ؟

٤ — لا يوجد شيء يسمى الخيار — على العموم — أو الخيـــار كما يقال — على الاطلاق .

فاذا أراد امرؤ أن يعرف حالة الخيار — فى زمان معين — فعليه أن يتبين ما فى مقدور الناس أن يفعلوه وما ليس فى وسعهم أن يفعلوه .

وبمجرد أن يفحص المرء المسألة من وجهة نظر العمل الفعال فسرعان ما يصبح من الجلى أن طلب الخيار هو طلب للقوة اما لحيازة قوى للتصرف والأداء لم تكن مملوكة من قبل أو للاحتفاظ بقوى فى حوزة أصـــحابها أو توسيع مداها وتمديدها .

٥ — الخيار مسألة اجتماعية وليست مجرد دعوى أو مطلب يصدر عن الفرد — كشخص ذاتى .

انظر أيضا : الحرية (٦) — الحق (٣) — الأمن (٢) — الحرب (٢) .

Good and Evil :— **الخير والشر :**

١ — ان عدم مقاومة الشر الذى يأخذ شكل اللامبالاة وعدم الاكتراث هو طريقة من طرق ترويج الشر والدفع به قدما .

٢ — عندما نستعمل تفكيرنا ونجهده الى أقصى حد مستطاع .

وعندما نلقى بقوتنا الزهيدة فى الميزان المتحرك — غير المتوازن — فاننا نعرف أنه على الرغم من أن العالم ينجزنا نجزا — فان فى وسعنا مع

---

(٤) Problems of Men.

(٥) Ibid.

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) The Philosophy of John Dewey (ed. by J. Ratner).

ذلك أن نركن اليه ونثق به لأن حصتنا من الحياة ونصيبنا من العالم منوطان بأيهما خير قائم فى الوجود .

ونحن نعرف أن مثل هذا التفكير والجهد المبذول هو شرط واحد من شروط مجىء ما هو أحسن وأفضل الى الوجود .

٣ — فى علاقته بالرغبة .. فان الخير هو ما يشبع الرغبة والاشتهاء وما يحقق الحاجة أو يصل بها الى حد الاكتمال .

الحاجة التى تثير السلوك .

وفى علاقته بالتفكير — أو كفكرة عن مأرب يتعين بلوغه — فان الخير يفرض على أولئك الذين على وشك التصرف ضرورة البصيرة المنطقية أو الحكمة الخلقية .

ذلك لأن خبرة الحياة تبين أنه ليس كل اشباع للرغبة والاشتهاء يفضى الى الخير ؛ فكثير من الغايات أو المآرب تبدو خيرا عندما نكون واقعين تحت تأثير هوى جامح أو هيام حاد — فى حين أنها فى واقع الخبرة ، أو عندما نفكر فى أمرها بتروٍ وعلى مهل — تكون فعلا ضارة ومؤذية — يعنى شرا .

ومن ثم فان وظيفة النظرية الأخلاقية هى صياغة نظرية للخير كغاية أو هدف للرغبة ، وكذلك صياغة نظرية للخير للصحيح للتمييز بينه وبين الغرار أو الزائف .

انظر أيضا : المثل العليا (٣) — الحق (١) ، (٢) — التقدم (٣) .

---

(٣) Ethics (with J. H. Tufts, revised ed.).

د

الدولــة : **State:—**

١ — ان تأويل منشأ الدولة بالقــول بأن الانسان حيوان سياسى لا يزيد عن كونه سفرا حول دائرة كلامية .

٢ — الدولة هى تنظيم للشعب يتم اجرائيا على يد مأمورين أو موظفين رسميين لحماية المصالح المشتركة لأعضاء الجماعة برمتها .

٣ — تكون الدولة كما يكون مأموروها وموظفوها الرسميون . (انما السائل من لون الاناء) .

٤ — اننا نجنح الى اخضاع الذاتية للدولة بدلا من أن نعمل بمقتضى الايمان بأن الدولة فى دستورها وقوانينها وادارتها يمكن أن تكون الوسيلة لتحقيق غايات مجتمع من الأفراد الأحرار .

انظر أيضا : الحق (٢) — المدرسة (٣) .

الديموقراطية : **Democracy :—**

١ — ان الحياة الحديثة تعنى الديموقراطية ، والديموقراطية معناها

---

(١) The Public and Its Problems.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

(٤) Problems of Men.

(١) "Democracy in Education", In the Elementary School Teacher, 14 (1903).

تحرير الذكاء تلقاء الفعالية الاستقلالية وتحرير العقل كجهاز مفرد لكى يؤدى وظيفته .

ونحن ، طبعيا ، نربط الديموقراطية — ما فى ذلك أدنى ريب — بحرية الآراء ، وحرية الآراء دون قدرة على التفكير المتحرر وراءها — ليست سوى فوضى .

٢ — الديموقراطية — بالحتم — تحمل فى طياتها احتراما متزايدا للفرد كفرد — وفرصة أعظم للحرية والاستقلال والأخذ بزمام المبادرة فى تسيير دفة التفكير .

ويزامل ذلك على طول الخط اقتضاء الاعتبار الأخوى وتحمل المسئوليات الطوعية بالانبعاث الذاتى .

٣ — ان تكريس الديموقراطية وتقديسها التربية حقيقة مألوفة والتفسير السطحى لذلك هو أن الحكومة التى تستند الى حق الانتخاب العام لا يمكن أن تكون ناجحة ما لم يكن أولئك الذين ينتخبون حكامهم وأولئك الذين يطيعونهم متعلمين .

وحيث ان المجتمع الديموقراطى ينكر مبدأ السلطة الخارجية فيتعين عليه أن يجد بديلا لها فى الميل الطوعى والاهتمام الذاتى—وهذان العاملان لا يمكن خلقهما الا بالتربية .

بيد أن هناك تفسيرا أعمق وأبعد غورا .

فالديموقراطية — تتضمن ما هو أكثر من شكل الحكم ، انها أولا وقبل كل شىء نظام وأسلوب من الحياة المشتركة ومن الخبرة المقترنة بالاتحاد والاشتراك والتفاهم المشترك . ان امتداد ساحة الاشتراك

---

(٢) "Democracy and Education", in the Cyclopedia of Education (ed. by P. Monroe).

(٣) Democracy and Education.

وشمولها بالقياس الى عدد الأفراد الذين يشهمون فى اهتمام مشترك بحيث يتعين على كل منهم أن يرجع فى سلوكه الى الآخرين ويرده اليهم معتبرا مسلك الآخرين ، وواضعا رجوعهم نصب عينيه لكى يتخذ سبيله واتجاهه على هداه — هذا الامتداد مساو لتحطيم وكسر حواجز الطبقات والجنس واللون والتخوم القومية التى حالت بين الناس وبين الادراك الكامل لأثر مسلكهم على الغير والنتائج المترتبة على مناشطهم بالقياس الى الآخرين .

وهذه التفاعلات الأكثر عددا والأوفر تنوعا والأعز نفرا ، والأعمق اتصالا فى نقاط التقائها المتعددة المتنوعة تومىء الى حشد أغزر تعددا وتنوعا وتغايرا من الحوافز والدوافع التى يتعين على الفرد أن يستجيب لها ، ومن ثم فهى تضع جزاء وعوضا لقاء التباين والتغاير والتنوع فى تصرفه وعمله وأدائه — وهى — بهذه الخصيصة — تضمن تحرر قواه — التى تظل مكبوتة ومكظومة ما دامت التخصيصات — المثيرة للسلوك متحيزة وجزئية لأنها لابد وأن تقع فى نطاق من المشايعة والمحاباة يجعلها من جراء هذا الاقتصار وعدم الشمول تحجب اهتمامات كثيرة . ان توسيع دائرة الاهتمامات المشتركة وتحرير قدر أكبر من تنوع وتباين القدرات الشخصية التى يتسم بها طابع الديموقراطية — ليست — طبعا — حصيلة التدبير العامد والجهد المقصود الواعى بها على العكس — انها نتيجة لانماء وتطور طرز وأساليب الصناعة والتجارة والسفر والهجرة وتبادل الاتصـال التى تدفقت من تحكم العلم وسيطرته على الطاقة الطبيعية .

ولكن بعد مزيد من افراد الشخصية وتعيينها بمعنى وفرة الذاتيـة — من جانب — ومزيد من الاهتمامات المشتركة والتماسك الاجتماعى من جانب آخر ، فقد أصبحت المسألة تتطلب جهدا مقصودا واعيا عامدا لدعمها وتوسيع مداها .

ومن الواضح أن المجتمع الذى تتضاد فيه الطبقات المنعزلة انما هو

مجتمع مهلك ومن المحتم عليه أن يجعل الفرص الفكرية مفتوحة ومتاحة أمام الجميع على قدم المساواة وميسرة المدخل والولوج بلا عوج ولا أمت.

أما بالقياس الى مجتمع يتميز بظاهرة الطبقية فيتركز اهتمامه — بصفة خاصة وفقط — فى تعليم وتثقيف طبقاته الحاكمة وعناصره المسيطرة عليه .

أما المجتمع المتحرك المتنقل الساير الزاخر بالمسالك والشرايين والمجارى لتوزيع أى تغيير حادث فى أى مكان ، فيتعين عليه أن يضمن ويكفل تعليم وتربية كل أعضائه لكى يمسكوا بزمام المبادرة الشخصية والتهايؤ والملاءمة .

٤ — للديموقراطية معان كثيرة — ولكن — ان كان لها معنى أخلاقى فهذا المعنى رابض فى البث فى أن أسمى مهمة لكل النظم السياسية والحكومات الصناعية هو فيما تسهم به فى النمو الكامل الوافى لكل فرد من أفراد المجتمع .

٥ — أولى ثم أولى بالديموقراطية أن تبدأ فى عقر الدار — وعقر دارها هو الخبرة والمجتمع المحلى .

٦ — لقد تكلمنا كثيرا عن الديموقراطية -- والآن لأول مرة يتعين علينا أن نبذل الجهد لكى نعرف ما هى .

٧ — ان العقيدة الديموقراطية — شخصية — فى كونها تؤكد حقوق كل شخص فى فرصة تحقيق امكانياته كفرد دون ما عائق بسبب المولد ، أو مركز الأسرة ، أو القيود القانونية غير العادلة ، أو المتساوية ، أو السلطة الخارجية .

---

(٤) Reconstruction in Philosophy.

(٥) The Public and its Problem.

(٦) Characters and Events.

(٧) In the Educational Frontier (With J.L. Childs, a sumposium, ed. by W.L. Kilpatrick).

وكذلك — فقد كانت العقيدة الديموقراطية اجتماعية — فى صبغتها . ولقد أقرت بأن هذه الغاية لا يمكن أن يبلغها الأفراد الا عن طريق نمط معين من النظام السياسى والقانونى .

وتاريخيا — ركزت الظروف اهتمامها فى مبدأ الأمر علـى الناحية السلبية من هذا المبدأ — ألا وهى تقويض النظم ذات الطابع الأوتوقراطى.

ولقد أصبح من الواضح الآن أن الجانب الايجابى من المبدأ يحتاج الى انتباه ورعاية وذلك يقتضى توسيع مدى الديموقراطية لخلق النظم والمؤسسات التى يترتب علـى ايجادها — خدمة ، وتتميز امكانيات كل الأفراد — على نحو يتميز بالفعل والبنائية .

٨ — ان الديموقراطية أوسع وأشمل بكثير من شكل سياسى معين ، أو طريقة معينة لتسيير دفة الحكومة وعمل القوانين وادارة شئون الحكم عن طريق الانتخاب العام والتمثيل النيابى والموظفين العموميين المنتخبين .

انها كل أولئك طبعا — ولكنها شىء أوسع وأعمق من كل أولئك بكثير ؛ ذلك أن الناحيـة السياسية والحكومية للديموقراطية — هى أحسن وسيلة أمكن اصطناعها حتى الآن — لتحقيق الغايات والأهداف فى الميدان الواسع الشامل للعلاقات الانسانية وانماء وانضاج الشخصية الانسانية .

انها كما نقول مرارا وتكرارا — وان كنا لا نقدر كل مضامين هـذا القول — طريقة حياة — اجتماعية وفردية وركيزة الديموقراطية ومفتاحها الدليلى كطريقة حياة — يمكن أن يعبر عنها — فى رأيى — فانها حتمية اشتراك كل انسان ناضج فى تكوين وابتـداع القيم التى تنظم تعايش الناس معا — وهو أمر ضرورى جوهرى — من وجهة نظر كلا الصالح الاجتماعى العام والنمو الكامل للناس كأفراد .

"Democracy and Educational Administration in School and Society, (٨) XLV (1937).

٩ — تقضى الغـايات الديموقراطية بانتهـاج وسـائل ديموقراطية لتحقيقها .

١٠ — لقد ظللنا لمدة طويلة — نتصرف كما لو كانت ديموقراطيتنا تسرمد نفسها — ذاتيا وأوتوماتيكيا وكما لو كان أسلافنا قد نجحوا فى اقامة جهاز حل مشكلة الحركة الدائمة التلقائية فى السياسة . لقد تصرفنا كما لو كانت الديموقراطية شـيئا يحدث — بصفة رئيسية فى وشنطن والبانى — أو أى عاصمة أخرى من عواصم الولايات تحت زحمة ما حدث عندما ذهب الرجال والنساء الى صناديق الانتخاب العـام مرة واحدة فى السنة أو أكثر — وهى طريقة متطرفة — شيئا ما — للقول بأننا اعتدنا أن نفكر فى الديموقراطية كنوع من الجهاز الآلى السياسى الذى سيدور ويؤدى عمله ما دام المواطنون يخلصون — على نحو معقول — فى أداء واجباتهم السياسية — ولقد ارتفعت الأصوات فى السنوات الأخيرة — مرارا وتكرارا بأن ذلك ليس كافيا .

فالديموقراطية كطريقة للحياة — شخصية وفردية — لا تتضمن شيئا جديدا — بصفة أساسية — ولكنها عندما تطبق فانها تضع معنى عمليا جديدا فى أفكار قديمة .

فاذا ما وضعت موضـع التنفيذ فانها تعنى أن أعداء الديموقراطية ، الحاليين الأقوياء — لا يمكن ملاقاتهم بنجاح وكسر شوكتهم الا بخلق اتجاهات شخصية فى الأفـراد من النـاس وانه يجب علينا أن نتخلص من جنـوحنا الى الظن بأن الدفـاع عن الديمـوقراطيـة أمـر يمكن تلمسه فى أية وسيلة خارجية مهما كانت ، سواء أكانت عسكرية

---

(٩) Freedom and Culture.

(١٠) "Creative Democracy," in the Philosopher of the Common Man : Essays in honor of John Dewey (a Symposium, ed. by W.H. Kilpatrick).

أم مدنية — اذا عزلت هـذه أو تلك وأنبتت من الاتجاهات الشخصية للأفراد التى تغلغلت فى أعماق نفوسهم بحيث تشكل خلقا شخصيا ومسلكا — ان الديموقراطية طريقة حياة يحكمها ايمان عملى بامكانات وممكنات الطبيعة الانسانية .

ان الايمان بالفرد العادى مادة معروفة للجميع فى العقيدة الديموقراطية. بيد أن هـذا الاعتقـاد — لا أساس له يرتكز عليه ولا مغزى له ولا فحوى الا اذا كان يعنى الايمان بامكانات الطبقة الانسانية — كما تتجلى تلك الطبيعة فى كل فرد وأى فرد بصرف النظر عن جنسه ، أو لونه ، أو سلالته ، أو مولده ، أو أسرته أو ثروته المادية ، أو الثقافية .

وفى وسعنا أن نصوغ هذا الاعتقاد فى صيغة قوانين وسنن وشرائع — ولكنها تظل حبرا عـلى ورق مالم تنفذ وتترجم فى الاتجاهات التى يسلكها الناس بعضهم حيال البعض الآخر فى كل التصرفات والأحـداث والعلاقات فى حياتهم اليومية .

ان التشهير بالنازية وفضحها بالتعصب والقسوة واشـاعة العـداوة والبغضاء ، قد يبلغ حد تغذية وارضاع الرياء والنفاق — اذا كنا فى علاقاتنا الشخصية حيـال الأشخاص الآخرين ، واذا كنا فيما نأتى وما ندع من الأمور — قولا أو فعلا أو حركة نسلك بحوافز من التعصب الجنسى أو اللونى أو السلالى أو الطبقى — بل فى الحقيقة اذا كان أى حافز من حوافز سـلوكنا ينبعث من أى شيء سوى الايمـان المسـماح الكريم بامكاناتهم كأناس — وهو ايمان يحمل فى طياته ويجلب معـه الحاجة الى تهيئة الظروف المؤاتية لتمكين هذه الامكانات والقدرات من بلوغ اكتمالها وتحقيقها .

ان العقيدة الديموقراطية فى المساواة الانسانية عقيدة قوامها أن كل انسان — بصرف النظر عن كمية أو مدى موهبته الشخصية — له الحق

فى تكافؤ الفرص مع كل شىء آخر لانماء وانضاج ما فيه من مواهب وممكنات — أيا كانت .

ان العقيدة الديموقراطية فى مبدأ القيادة — عقيدة كريمة مسماحة سخية تتميز بالشمول وعموم السريان .

انها عقيدة قوامها الايمان بقدرة كل شخص على تسيير دفة حياته وقيادتها متحررا من الاكراه والعسف والضغط من قبل الآخرين — بشرط توافر الظروف الملائمة .

١١ — ليست الديموقراطية طريقا ممهدا من السهل اتخاذه أو اتباعه . بل على العكس — انها بالنسبة لتحقيقها فى الظروف والأحوال المعقدة المتشابكة لعالمنا المعاصر — طريق محفوف بالصعاب الى أقصى درجة .

بيد أنه من حقنا — اجمالا — أن نستمد شجاعتنا من حقيقة أنها قد عملت وأدت مثلما أنجزت وأفلحت ، ولكن يتعين علينا أن نضيف الى هذه الشجاعة — اذا قدر لشجاعتنا أن تتسم بطابع الذكاء بدلا من العمى .

حقيقة ان صيانة وحفظ الديموقراطية بنجاح وفلاح يتطلب أقصى ما يمكن عمله فى الافادة من أحسن الطرق والوسائل الموجودة لنوال وتحصيل معرفة علمية — تتعادل بمقدار معقول مع معرفتنا الطبيعية المادية واختراع واستعمال أشكال من الهندسة الاجتماعية تتعادل بمقدار معقول مع قدراتنا التكنولوجية فى الشئون الطبيعية المادية .

١٢ — ركيزة الديموقراطية هى الايمان بقدرات الطبيعة الانسانية والايمان بالذكاء الانسانى وبقوة وفعالية الخبرة التعاونية المشتركة المجمعة لجهود وموارد الجماعة .

انظر أيضا : الفروق — المساواة — الحرية (٩) — الذكاء (٣) — التحررية (٣) — المدرسة (٢) ، (٨) ، (٩) — التعليم (٦) .

---

(١١) Democratic Faith and Education in the Antioch Review., IV (1944).

(١٢) Problems of Men.

Religion :— **الـــدين :**

١ — كون العلم له نفس الفحوى مثل « ما فوق الطبيعة » ســواء بسواء .. وكون الديموقراطية تترجم الى نفس الاتجاه الدينى كما فعل الاقطاع .. وكون المســألة لا تزيد عن كونها عملية تغييرات طفيفة فى الألفاظ ، وتطويرا للرمزية القديمة الى ظلال جديدة من المعنى ..

فلا مشاحة فى أن مثل تلك المعتقدات تشهد بذلك الضرب من خدار الخيال وسباته الذى هو النتيجة النمطية الوحيدة النسق للعقيدة التعسفية الجازمة .

٢ — لقد صرف الدين الى ملكية عضوضة — أو اصر — لحساب جزء محدود من الطبيعة الانسانية — وحســاب جـزء محدود من الانسانية لا يجد له سبيلا لتعميم الدين سوى بفرض معتقداته التعسفية وطقوسه على الآخرين .

٣ — لم يسبق للدين فى أى مكان أو زمان أن نال تبجيلا تاما مثلما نال منا — ولم يسبق له أيضا أن انفصم من الحياة انفصاما يكاد يكون كاملا .

٤ — ان دينا بدأ كحركة هادفة لتغيير ثورى ، ثم أصــبح تقديسا ومصادفة على النظم الاقتصادية والسياسية والدولية الراسخة المقــررة — أولى به أن يفضى بأتباعه المخلصين الى التأمل فى أقوال ذلك الذى عبدوه كمؤسس له حيث قال : « الويل لكم عندما يحسن رأى جميــع الناس فيكم .. وطوبى لكم وحسن مآب عندما يسدد الناس اليكم سهام السباب والاضطهاد » .

---

(١) Religion in our Schools", in the Hibbert Journal, VI (1908).

(٢) Human Nature and Conduct.

(٣) Individualism, Old and New.

(٤) „Credo" in Living Philosophies (a Symposium).

٥ — يبدو لى أن الخطر الرئيسى الذى يتهدد الدين يكمن فى حقيقة أنه أصبح موضع كل هذا الاحترام والتبجيل — لقد أصبح — الى درجة كبيرة — تقديسا للأوضاع الاجتماعية الراهنة ، كما هى — ضربا من الصقل والتلميع فوق النظم والتقاليد والعرف السارى .

٦ — على نحو معين مقرر ، لا يوجد شىء اسمه الدين بصيغة المفرد ، وانما يوجد فقط حشد من الأديان .

٧ — ان أى دين — يدل دائما على مجموعة من المعتقدات والشعائر التى لهـا نوع من التنظيم الطقسى على نحو ما سـواء أكان فضفاضا أم ضيقا أصم .

وعلى نقيض ذلك فان الصفة من دين — دينى — لا تدل على شىء من قبيل وحـدة نوعية بالذات — سواء أكانت تنظيمية فى صـورة مؤسسات .

٨ — أى منشط يتابع فى سبيل مثل أعلى وضد معوقات تقوم فى وجهه وعلى الرغم من الأخطار التى تتهدد صاحبه بالخسارة وبحافز من الايمان بالقيمة العامة للماثلة وقوامها يعتبر منشطا دينيا فى « الكيف » .

٩ — أحيانا يؤمن فريق من الناس بأن المعتقدات الخاصة بالأمـور الدينية — رمزية كالطقوس والشعائر سواء بسواء ، وقد يمثل هـذا الرأى ضربا من التقـدم والتطور بالقياس الى الرأى المعتقـد بصحتها الموضوعية الحرفية .

---

(٥) Ibid.

(٦) A Common Faith.

(٧) Ibid.

(٨) Ibid.

(٩) A Common Faith.

ولكن هذا على النحو الذى يعرض به عادة يعانى التباسا وابهاما ، فالى أى رموز تشير العقائد ؟

هل هى رموز لأشياء تمارس فى أشكال وعلى منوال غير تلك التى تخصص عينا كديدنه بحيث ان الأشياء المرموز لها كيان مستقل بذاته ؟ أم هى رموز بمعنى أنها تقوم مقام حقيقة فوق العقل — فوق العقل لكونها ليست موضوع خبرة بصفة عامة ؟

حتى صاحب المذهب الأساسى الأصلى يقر بصفة معينة وبدرجة معينة من الرمزية ، فى المعنى الأخير ، فى موضوعات العقيدة الدينية ، ذلك أنه يرى أن موضوعات تلك العقائد بعيدة جدا عن متناول المقدرة الانسانية المحدودة بحيث ان عقائدنا ينبغى أن تختفى وراء كسوة من الاصطلاحات المجازية .

ان المفهوم القاضى بأن الايمان هو أحسن بديل متاح يحل محل المعرفة فى حالتنا الراهنة لا يزال متعلقا بأهداب فكرة الخصيصة الرمزية لمواد الايمان والعقيدة ، الا اذا كنا نعنى — بخلع طبيعة رمزية عليها — ان هذه المواد تقوم مقام شىء قابل لاثبات صحته فى الخبرة التامة والتجربة الشائعة .

فاذا قدر لنا أن نتبنى وجهة النظر الأخيرة — فسيكون من الجلى ليس فقط أن المواد الفكرية لعقيدة ما ينبغى أن تفهم على أنها رمز لقيم أخلاقية وغيرها من المثل العليا ، ولكن أيضا أن الحقائق التى يسلم بأنها تاريخية والتى تستعمل كبينة ملموسة ثابتة على المواد الفكرية ، هى نفسها رمزية .

لذلك فان هذه المواد التى تتألف منها عقيدة ما تعرض أحداثا وأشخاصا صاغها الخيال المثالى على أحسن الفروض وفى أسمى مراتبها من أصل المثل العليا الأخلاقية . ومن المقرر أن موضوعات الدين مثالية اذا قورنت

بحالتنا الراهنة ، ومنزلتنا الحالية ، بحيث يبدو أن الأمرين ضدان . فما الذى سنخسره اذا سلم أيضا أنها صاحبة دعوى أمرية ذات سلطة باتة على السلوك لمجرد كونها مثالية ؟

ان افتراض أن هذه الموضوعات المكونة للدين موجودة من قبل — فى ملكوت الهى — يبدو أنها لا تضيف شيئا الى قوتها ، فى حين أنها تضعف من حجة دعواها علينا كمثل عليا ما دامت تقيم دعواها هذه على مسائل مبهمة وموضع ريبة — من الناحية العقلية .

ومن ثم فان المسألة تتبلور فى الآتى :

هى المثل العليا التى تحركنا وتحفزنا — مثالية حقيقيا أم هى مثالية فقط اذا قورنت بمنزلتنا الحاضرة — مقارنة تضاد ؟

انظر أيضا : السلطة (٤) — العقل (١) — المدرسة (٧) .

ذ

الذاتيـــة : **Individuality :—**

١ — الذاتية ليست هبة معطاة فى الأصل ، وانما هى خصيصة تخلق تحت تأثير حياة الجماعة المشتركة .

٢ — الذاتية فى المعنى الاجتماعى والأخلاقى — شىء يصنع ويعمل . فهى تعنى المبادأة والمبادرة ، والابتداع ، وسعة الحيلة ، والتدبير فى غزارة وخصوبة وتنوع . كما تعنى تحمل المسئولية فى اختيار العقيدة والمسلك . وهذه ليست هبات أو منحا ، وانما هى منجزات تنجز ، ومآرب تبلغ ؛ وكمنجزات ومآرب فهى ليست مطلقة وانما نسبية بالقياس الى الفائدة التى تجنى منها . وهذه الفائدة تختلف باختلاف البيئة .

انظر أيضا : العمل الابتداعى (١) — الثقافة (٤) — التربية (١٥) — التحررية (٤) — الولاء (٢) — التعددية .

الذاكرة : **Memory :—**

١ — الذاكرة خبرة غير مباشرة Vicarious تتمثل فيها كل القيمة الانفعالية المخبرة الفعلية بدون مؤثراتها الانفعــالية وتقلباتها ودوراتها واضطراباتها .

انظر أيضا : الانسان (١) .

---

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) Ibid.

(١) Reconstruction in Philosophy.

Intelligence :— الذكاء :

١ — الذكاء — يصبح فى حوزتنا — بالدرجة التى نستعمله بها ونتقبل مسئولية نتائجه .

٢ — الذكاء يحول الرغبات الى خطط عمل .

٣ — فى حين أن ما نسميه ذكاء — موزع بأقدار متفاوتة ، كما نجد أن العقيدة الديموقراطية — تتميز بكفاية العمومية فى المصدر والتطبيق والسريان بحيث ان كل فرد فى مكنته أن يسهم بشىء ولديه ما يسهم به — وبحيث ان قيمة الاسهام لا يمكن تقديرها الا اذا انصبت فى التيار المجمع لذكاء الكل الذى يتألف من اسهامات الجميع .

انظر أيضا : المعرفة (٣) — التحررية (٢) — التربية الحرة — الأخطاء — الأهداف والغايات (١) — المشاكل (١) الديموقراطية (١٢) — التعقل (١) — النظرية (٣) — المدرسة (٢) — الفهم (٢) .

---

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) Ibid.

(٣) Problems of Men.

ر

الرأى العــام : **Public Opinion :—**

١ — لقد بدأنا ندرك أن الانفعالات والخيال أكثر قوة وفعالية فى تشكيل عواطف الناس وآرائهم من المعرفة والمعلومات والمنطق المتعقل .

انظر أيضا : السبيل .

الرغبـــة : **Desire :—**

١ — من المعتاد الشائع وصف الرغبات بالقياس الى موضوعاتها بحيث يكون معنى الموضوعات الأشياء التى تصور وترسم كما فى الخيال — أهدافها .

وكما يكون الموضوع نبيلا أو حقيرا ، فكذلك ظُنّ تكون الرغبة . وفى أى من الحالتين فالانفعالات تتحرك وتتجمع حول الموضوع ويبرز ذلك بشـــكل واضح المعالم جدا فى الخبرة المباشرة بحيث انه يحتكر المركز الرئيسى فى النظرية السيكولوچية التقليدية للرغبة .

فاذا نحينا جانبا عنصر خـداع الذات الفاحش ، أو كبت الظروف الخارجية ، فان الحصيلة أو النتيجة الختامية للرغبة تعتبر فى نظر هـذه النظرية مماثلة للغاية المنظورة أو الموضوع المرغوب فيه رغبة واعية .

بيد أن ذلك — ليس هو واقع الحال — كما يظهر بسرعة من تحليل عملية القصد أو التصميم العامد أو التدبير الواعى .

---

(١) Freedom and Culture.

(١) Human Nature and Conduct.

ان موضوع الرغبة ، وبلوغ الرغبة وتحقيقها ليسا متماثلين أكثر من التماثل القائم بين لافتة على الطريق وحظيرة للسيارات تشير اليها اللافتة وتحض المسافر على ولوجها .

ان الرغبة هي الدافع الحاث المتقدم السليط للكائنات الحية ، وعندما لا يواجه دفع الحياة واندفاعها ودافعها عائقا ما — فلا يوجد شيء نسميه الرغبة ، وانما يوجد نشاط حياة فحسب .

ولكن الموانع والعوائق تعرض نفسها ، ومن ثم فان النشاط يتشتت ويتفرق وينقسم .

والرغبة هى النتائج .

انها نشاط يموج بالجيشان مندفعا الى الأمام لكى يكسر ما يحجزه .

٢ — ان للرغبة تأثيرا قويا نافذ المفعول فى المعتقدات الفكرية .

٣ — الحاجة والرغبة — اللتان ينبثق منهما هدف واتجاه الطاقة — يتجاوزان حدود الراهن القائم . انهما — على نحو موصول — يفتحان الطريق الى المستقبل الذى لم يتم اكتشافه ، ولم يتم بلوغه وادراكه .

انظر أيضا : التغيير (١) — الذكاء (٢) — الخير والشر (٣) — سعة الأفق (٢) — النمو (٢) — الحق (١) — العادة (٥) — القيمة (٥) .

الرموز : **Symbols :—**

١ — الرموز .. أبدال مختزلة متكثفة تحل محل الأشياء والأحداث الحقيقية .

---

(٢) A Common Faith.

(٣) "Creative Democracy," in The Philosopher of the Common Man : Essays in Honor of John Dewey (a Symposium, ed. by W.H. Kilpatrick).

(١) Experience and Nature.

٢ — ان اختراع أو اكتشاف الرموز — هو بلا ريب حتى الآن أعظم حدث مفرد فى تاريخ الانسان .

فبدونها يستحيل التقدم الفكرى — وبها ليس ثمة حد يوضع أمام التطور العقلى — سوى الحماقة والخرق والغباوة الموروثة .

انظر أيضا : اللغة (٢) — الحساب (٢) ، (٣) — العقل (٢) — الدين (١) ، (٩) .

الروح : **Soul :—**

١ — بعض الجسوم لها أرواح تماما مثلما أن بعضها له شذا وأريج .

واعلان هذا القول هو لفت النظر الى خواص تميز هـذه الجسوم وليس كناية عن مضـمون قوة أو كيان ذاتى غير طبيعى — خفى مبهم غامض .

بيد أن الاستعمال الاصطلاحى غير المتعلق بعقيدة دينية للفظ «روح» ما زال يحتفظ بمعنى من هذه الحقائق المشار اليها آنفا .

فالتوكيد الجازم بأن شخصا معينا له روح أو لديه روح عظيمة ليس من قبيل التفوه بسخافة مبتذلة أو كلام ممتهن معـاد ينسحب بصفة عامة على كل الناس — وانما يعبر عن اعتقاد بأن ذلك الرجل — أو المرأة — الذى نشير اليه يتميز — على نحـو فائق وبدرجات بارزة — بصفات وخصائص من المشاركة والاسهام والمؤالفـة الحساسة السخية المنسقة المتناغمة فى كل مواقف الحياة .

ومن ثم فان أعمال الفن والموسيقى والشعر والرسم والنقش والنحت والمعمار لها روح فى حين أن غيرها ميتة وآلية ولا روح فيها .

انظر أيضا : الكلمات (٤) .

---

(٢) The Quest for Certainty.

(١) Experience and Nature.

س

السبب والنتيجة : **Cause and Effect :—**

١ — ان أول مفكر أعلن أن كل حدث هـو نتيجة لشيء وسبب لشيء آخر ، وأن كل وجود معين بذاته هو فى نفس الوقت خاضع لشرط وشرط ، لم يفعل شيئا أكثر من كونه صاغ فى كلمات السبيل الذى ينتهجه العامل .

٢ — ان « السبب » ليس مجرد سابق — وانما هو ذلك السابق المعين شرطا الذى اذا دُبِّر ينظم حدوث النتيجة أو الأثر ، وهـذا هو السبب فى كون الشمس — وليس الليل — هى العلة الشرطية للنهار .
انظر أيضا : الفرصة .

السبيل : **Process :—**

١ — ان العلم الطبيعى مجبر بتطوره ذاته على أن ينبذ افتراض الثبات — عدم التغير — وعلى أن يعترف أن ما هو بالنسبة له عاما وشـاملا و « عالميا » حقيقة ، انما هو سبيل فحسب . بيد أن هذه الحقيقة العلمية الحديثة لا تزال فى الفلسفة ، مثلما هى فى الرأى العام الشائع حتى وقتنا الحاضر ، مسألة فنية لا ما هى عليه بالفعل .. أى أعظم اكتشاف ثورى قدر للعالم أن يكتشفه .
انظر أيضا : البيئة (٥) — العقل (٥) — الكمال .

---

(١) Experience and Nature.

(٢) Ibid.

(١) Introduction to the 1948 edition of Reconstruction in Philosophy.

Happiness :— **السعادة :**

١ — لأن كل الناس ينشدون السعادة — فقلما يترتب على ذلك أن كل انسان يريد للجميع أن يكونوا سعداء .

٢ — هل ثمة جناح علينا اذا أسقطنا من حسابنا النظرية الهيروتية فى السعادة التى تركز اهتمامها على ظاهرة اللذة والألم واستبدلنا بها الماثلة الأوسع والأفسح أو الأكثر غموضا —للرفاهية والخير والاقبال والتوفيق باعتبارها المعيار السديد للرضا والاستصواب .

انظر أيضا : الفرد (١) .

Open-Mindedness :— **سعة الأفق :**

١ — سعة الأفق العقلى معناها سهولة أو امكان الوصول الى العقل بحيث يكون مفتوحا لافادة أى وكل اعتبار يلقى ضوءا على الموقف الذى يحتاج الى توضيح أو تجلية ، والذى يساعد فى تقرير النتائج المترتبة على التصرف بهذه الطريقة أو تلك .

٢ — سعة الأفق العقلى مختلفة جدا عن خواء الأفق العقلى ؛ فبينما هى تعنى كرم الضيافة والترحيب بكل وافد جديد من النظريات والحقائق والأفكار والمسائل الا أنها ليست نوع الكرم الذى يعلن عن نفسه بوضع لافتة فى مقدمة تقول : « ادخل — لا تبال فالبيت خال — » انها تتضمن رغبة جياشة نشطة فى الاصغاء الى أكثر من جانب واحد من القضية والى الاكتراث بالحقائق مهما يكن مصدرها ، والى العناية الكاملة الوافية

---

(١) Outline of a critical Theory of Ethics.

(٢) Ethics (with J.H. Tufts revised ed.).

(١) Democracy and Education.

(٢) How to Think.

بالممكنات ، بالبديلة والادراك والتبصير لاحتمال الخطأ حتى بالقياس الى أعز المعتقدات لدينا .

٣ — العقل المفتوح الواسع الأفق مجلبة للانزعاج والقلق اذ أن مجرد مخاضة سلبية مباحة تسمح لأى شيء بأن يلج فراغا خاويا رابضا خلف الفتحة .

فى حين أن العقل المفتوح الواسع الأفق يكون ذا فحوى ومغزى وفاعلية اذا كان علامة على فكر ممحص نشط منقب — فكر متيقظ متنبه فارز لاقط لمزيد من المعرفة والفهم .

انظر أيضا : الجهـــل .

السـلام : **Peace :—**

١ — لقد امتاز وطننا « الولايات المتحدة » بحظوة — عن سائر الأمم الأخرى — فى موقعه الجغرافى وتاريخه .

فبعدنا عن الدول الكبرى المتحاربة وحجمنا ومواردنا وقتنا فى معظم الأحوال من شرور الحبائل والتعقيدات والأحقاد والشكوك والعداوات التى قدرتها الفردية الطويلة البائسة على أوربا كما لو كانت حتما مقضيا .

ومع مثل هذه الظروف التى حبانا بها موقعنا وتاريخنا ، فكم كان يكون من العار حقا اذا لم ينبثق لدينا روح من السلام والمحبة حيال الأمم الأخرى .

وليس ثمة ريب فى أن لنا مصلحة اقتصادية فى سيادة السلام فى ربوع العالمين حيث ان الأمم الصناعية السلمية تروج بضاعتها وتحصل على أحسن « الزباين » وأسلمهم عاقبة .

---

(٣) Education and the Social Order (a Pamphlet).

(١) Characters and Events, II.

ولن أقلل من شأن أى حافز أو باعث يجنح الى السلام .

بيد أن لنا مصلحة فى سلام العالم أعمق وأوسع مما تمليه المصلحة الذاتيـــة .

فنحن مقيدون بالزام يمليه علينا تاريخ وروح وضعنا وموقفنا فى العالم وبقانون النبـــالة والشـــهامة والمروءة الواجبة الوفاء Noblesse oblige ذلك القـــانون الذى يقضى بأنه لزام عـــلى كل انسان أن يستعمل قواه وامتيازاته ليس لنفعه وحده ومتعته الذاتية فحسب ، وانما أيضا لعـــون وخدمة جيرانه ، وهذا القانون يقع على عاتقنا بكل ثقله والتزاماته وفروضه أكثر من أية أمة أخرى قدر لها أن تخرج الى حيز الوجود .

فاذا نكثنا بالعهد فقد برهنا على أننا غير جديرين بماضينا وبحظوتنا وفرصنا .

انظر أيضا : اليقين (٢) — الحرب (٣) .

السـلطة : Authority :—

١ — ان المشكلة الحقيقية الأصيلة هى العلاقة بين السلطة والحرية ؛ فالسلطة قوامها استقرار التنظيم الاجتماعى الذى يكفل منح الأفراد التوجيه والعون فى حينه . ان الحرية قوامها القوى التى بها يحدث التغير المقصود الهادف ، والقضية التى تتطلب انتباها دائما هى مسألة الاتحاد العضـــوى الوثيق بين الشيئين معا : السلطة والحرية ، الاستقرار والتغيير .

٢ — ان أى استعراض للتاريخ يكشف لنا عن أنه بينما الفلسفة الفردية كانت خاطئة فى وضع السلطة والحرية والاستقرار والتغير موضع

(١) "Authority and Social Change," in Authority and the Individual (a Symposium).

(٢) Ibid.

التضاد والتعارض والتناقض فانهـا فى نفس الوقت كانت عـلى حق له ما يسوغه فى كونها وجدت المؤسسات التنظيمية التى تتجسم فيها السلطة غريبة جدا ونائية جدا عن الحاجات الجديدة والأهداف الجديدة التى كانت تعتمل فى نفس الناس — بحيث ان المؤسسات الممثلة للسلطة كانت فى الحقيقة ظالمة جائرة ، والأشخاص والطبقات الذين مارسوا القوة المشتقة من حيازة السلطة كانوا معادين للصفات الجديدة التحولية المتغيرة — صفات المبادرة والابتداع والاختراع الاجتماعى والمكافلة والسعى والوعى التى ينبثق منها التغيير .

على أن القوة التى كانوا يمارسونها كانت مضاعفة الظلم والتعويق لأنها لم تكن مجرد قوة مادية ، وانما كانت قوة تطغى عـلى الخيـال والانفعالات والأهداف وتمسك بزمامها وتطبق عليها بكلاباتها مستندة فى كل ذلك الى مبدأ السلطة بصفتها منتمية اليها وصادرة عنها .

وتحت ذلك كله ودونه لم يكن الأمـر مسـألة صراع بين التنظيم الاجتماعى والأفراد ، بين السلطة والحرية ، وانما بين العناصر المحافظة فى تركيب الأفراد ووجداناتهم ذاتها ؛ عناصر كانت لها قوتها وفعاليتها وسيادتها المشتقة من التصور الذاتى الرابض فى العادات والتقاليد التى طال تكرارها ورسوخها وتوارثها ، وبين العناصر التحولية التحررية التجديدية القائمة فى تركيب الأفراد أنفسهم .

ومن ثم فقد كانت معركة يدور رحى الصراع فيها على حيازة القوة والسلطة — بين القديم من جهة والجديد من جهة أخرى ، بين القـوى المعنية بالتشبث بالمحافظة على القيم التى خلفها الماضى وبين القوى التقدمية الهادفة لافساح الطـريق أمام معتقدات جديدة وأنماط مستحدثة للعيش الانسانى والروابط الانسانية .

ثم انها كانت أيضا نضالا بين جماعات وطبقات من الأفراد — بين أولئك

المحظوظين الذين كانوا يتمتعون بالمزايا والنعم المحصلة من حيازة القوة وما يلحق بها من حقوق وسلطات وبين أولئك الذين وجـدوا أنفسـهم محرومين من القوى والمتع والنعم التى كانوا يرون أنفسهم أهـلا لها ، وأصحاب حق يخولهم الحصول عليها .

ان ضرورة الملاءمة بين القديم والجديد ، وتناغم وموازنة الاستقرار الذى يتأتى من المحافظة على الراسخ المقرر ، مع التحول والتغير والتقدم الذى ينبثق من الحاجات الجديدة والطاقات المستحدثة والمحاولات والجهود المبذولة من قبل الأفراد — هذه الضرورة تتولد ذاتيا ، أو هى جزء متكامل من نسيج الحياة الذاتية .

٣ — اننا نحتاج الى سلطة — بحيث تكون — على خلاف الأنماط والأشكال القديمة التى كانت تعمل فى نطاقها — قادرة على توجيه وتثمير التغير والافادة منه ، ثم اننا نحتاج الى نوع من الحرية الفردية .. التى هى عامة ومشتركة وشاملة ، والتى يظاهرها ويساندها ويوجهها تنظيم اجتماعى يستند الى سلطة اجتماعية بيدها الأمر والضبط والحكم .

٤ — ان الحاجة الى السلطة بعض حاجات الانسان الدائمة ، لأنها الحاجة الى مبادىء تتميز بصفة كلا الاستقرار الكافى والمرونة الكافية فى آن ، لكى تحسن توجيه سبل الحياة بما يصاحبها من خلخلة وقلقلة وتبدلات وتقلبات وصروف الدهر .

ان التحرريين كثيرا ما أضـعفوا مركزهم ، وأساءوا الى قضـيتهم ، وأوهنوا حجتهم ، بافتراضهم الذى يبلغ مرتبة التوكيد والتسليم ، بأن السلطة فى حد ذاتها ، وبكل شكل من أشكالها وطراز من طرزها ، هى العدو اللدود . وهم بهذا الافتراض يسلمون أنفسهم لقمة سائغة الى أيدى

---

(٣) Ibid.

(٤) Problems of Men.

أولئك الذين يصرون على حتمية قيام سلطة خارجية تعسفية — سواء أكانت قوة ميتافيزيقية أم سياسية أم مزيجا من الاثنتين .

والمشكلة الأساسية القائمة فى وجه العصور الحديثة هى مسألة ، اذا ما كانت ، وعلى أى نحو ، تستطيع الطريقة العلمية — التى هى طريقة الذكاء فى العمل التجريبى — أن تزود الناس بالسلطة التى كانوا فى العصور السابقة يتلمسونها فى تعيينات تعسفية مجمدة ثابتة .

ان الصراع الناشب بين العلم والدين — هو مرحلة واحدة وجانب واحد — من هذا الصراع .

انظر أيضا : العقيدة (٢) — الديموقراطية (٣) ، (٧) — الحرية (٥) — القيادة — الحق (١) — المدرسة (٢) .

السلوك : **Conduct :—**

١ — كل سلوك هو تفاعل بين عناصر الطبيعة الانسانية والبيئة — الطبيعية والاجتماعية .

انظر أيضا : الأهداف والغايات (٣) — الخلق (٢) — الأطفال (٢) — المثل العليا (٢) ، (٥) — المجتمع (٤) — الحكمة (٢) .

---

(١) Human Nature And Conduct.

ش

الشــــباب : **Youth :—**

١ — ان انماء وانضـــاج الاتجاهات — فى الشباب — والميول اللازمة لاستمرار وتقدم حياة مجتمع ما — على نحو موصول لا يمكن أن تحدث بالنقل المباشر للمعتقدات والمفاهيم والانفعالات والمعرفة . وانما تحدث عن طريق « وسيط » البيئة .

٢ — عندما تكون العادات مرنة لينة ، والشباب ينال حظه من التربية كشباب وليس كرجال قبل الأوان — فلن تشيخ أمه أو يدركها الهرم .

انظر أيضا : التربية (٧) ، (٨) — التعليم (٥) .

الشــــغف : **Interest :—**

١ — عنـــدما يبذل جهد مقصود لجعل الأشياء موضع اهتمام وشغف فالسبب فى ذلك أن الاهتمام أو الشغف نفسه — مفقود .

٢ — الاهتمام طبيعى والاعتمـــاد عليـــه تربويا — أمر مشروع — بالدرجة التى يتضمن بهـــا النشاط موضـــوع الاهتمام أو الشغف نموا أو تطورا أو انتهاضا .

---

(١) The School and Society.

(٢) Human Nature and Conduct.

(١) "Interest as Related to will" in the Second Supplement to the Herbart Year Book for 1895.

(٢) Interest and Effort in Education.

ولـكن الاهتمام أو الشغف يفقد شرعيته بالدرجة التى يكون بها اما عرضا ، واما سببا لتعويق النمو ، واما بالقبض على التطور أو الانتهاض فى منشط ما .

انظر أيضا : الديموقراطية (٣) — طرق التعليم (١) — السلام — المجتمع (٢) — التعليم (٤) ، (٥) .

الشغل : **Work :—**

١ — من « الطبيعى » للنشاط أن يكون مقبولا وسارا ؛ ذلك أنه يجنح الى تلمس التحقيق وبلوغ التمام . ثم ان ايجاد المنفث هو فى ذاته سار ومرض لأنه علاقة دالة على الانجاز الجزئى .

فاذا كان النشاط للانتاج قد أصبح على هذه الدرجة من المرارة وعدم الاساغة بحيث يتحتم حمل الناس عليه بطرق مصطنعة وتحضيضهم عليه بوسائل مفتعلة ، لكى يؤدوه ، فهذه الحقيقة العلمية تبرق بأوفى برهان . على أن الظروف والأحوال التى يتم العمل فى ظلها تعوق «وتغترس» مركب المناشط ، بدلا من أن تدفع بها قدما وتسيرها وتنجحها ، انها تصيب الميول الطبيعية بالالتهاب والقروح والكبت بدلا من أن تفضى بها الى الخصب والأثمار ، عندئذ يصبح الشغل — كدا وكدحا — أثرا من بقايا اللعنة الأولى التى تكره الانسان على أن يعمل ما يؤثر الا يعمله اذا استطاع الى ذلك سبيلا ، حصيلة لتلك الخطيئة والجريرة التى طردت الانسان من جنة الخلد حيث كانت رغبته تشبع بلا نصب ولا عمل ولا كد يضطره الى كسب عيشه بعرق الجبين . ويترتب على ذلك بطبيعة الحال أن استعادة الفردوس المفقود يعنى جمع الأرباح على نحو يمكن الانسان من أن يعيش على عائدها دون عمل أو كد أو كدح .

---

(١) Human Nature and Conduct.

ولنكرر أن هناك كثيرا من الحقيقة — فى هذه الصورة ولكنها ليست حقيقة تتعلق بالطبيعة الانسانية الأصلية والنشاط ، وانما تتعلق بالشكل الذى اتخذته النوازع والحوافز الانسانية تحت تأثير بيئة اجتماعية معينــــة .

فاذا كان هنـــاك صعوبات فى طريق التغــير الاجتماعى — وهو أمر لا ريب فيـه على سبيل الجزم — فهـذه الصعوبات لا تكمن فى نفور أو اشمئزاز أو مقت نظرى من جانب الطبيعة الانسانية للعمل النافع الذى يتسم بطـابع الخـدمة ، وانما تكمل فى الظروف التاريخية التى وضعت فواصل مميزة بين عمل العامل الذى يعمل بأجر ، وبين عمل الفنان والمقامر والرياضى والجندى والمدير والمفكر المتأمل .

٢ — لقد اتسم « الشغل » بطابع المشـقة والضنى وارتبط بمفهوم اللعنة الأصلية ، ولقد أدى تحت ضغوط الاكراه والعسف ووقر الحاجة . فى حين أن النشاط الفـكرى يرتبط بالفراغ والراحة والخلو « من العمل » وبسبب كون النشاط العملى كريها ومنفرا ، فان أكثر ما يمكن منه وضع على عاتق العبيد والأرقاء ، ومن ثم فان الوصمة الاجتماعية التى وصمت هذه الطبقة بالعار امتدت الى العمل الذى يؤدونه .

انظر أيضا : المثل العليا (١) — العمـل — الفراغ — الآلة (١) — الانتاج والاستهلاك (٢) — المدرسة (١) .

الشـــك : Doubt :—

١ — ان الرجل الخام برم بالشك ولا يطيق صبرا على الانتظار والحيرة والبلبـال ، وانما يسارع بصبر نافد لكى يتحاشاه ويغلق الباب دونه على

---

(١) The Quest for Certainty.

(٢) The Quest for Certainty.

نفسه . فى حين أن العقل المنظم المدرب يهش ويبش فى وجه المسائل المحيرة والمعضلات المحفوفة بالشك ، ويعتز بها ويراعيها ويلاطفها حتى يجد مخرجا أو حلا أو برهانا يثبتها أو ينفيها على محك الفحص والاختبار .

٢ — اننا نبحث فقط ونكون الفروض التى سيؤيدها البحث المستقبل أو يدحضها .

ولكن مثل هذه الشكوك هى عرض ملازم للايمان والثقة فى منهاج الذكاء ، وهى من علامات اليقين وليست من علامات الارتياب الخرافى العقيم الكالح .

٣ — ان الحالات الشخصية للشك التى تنتاب المرء والتى لا يستحضرها ويستدعيها وضع وجودى راهن وليست نسبية له — هى حالات مرضية — وعندما تبلغ حد التطرف فانها تشكل نوعا من جنون الارتياب .

انظر أيضا : البحث (١) — العقل (٥) — التفكر (٥) .

---

(٢) A Common Faith.

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

مقدما — ومن قبل — كيف سيتصرف الآخرون — وهذه المعرفة العقلية هى بداية الحكم الذى نصدره على العمل .

فنحن نعرف منهم أن هناك ضميرا .

ثمة اجتماع على شكل هيئة مجتمعة فى داخل صدورنا تناقش وتقدم وتقدر الأعمال المقترحة والتصرفات التى تم انجازها .

فى حين أن المجتمع الخارجى يصبح ساحة ومحكمة داخلية ، دست حكم للاتهامات والتقديرات والتبرئة والعذر .

ومن ثم فان أفكارنا بشأن أعمالنا مشبعة بالأفكار القائمة لدى الآخرين عنها والتى يؤثرونها على غيرها ، هى أفكار قد عبر عنها — ليس فقط — مجاهرة فى تعليم صريح — ولكن وهو الأكثر فعالية ونفاذا — كرد فعل حيال تصرفاتنا وأعمالنا .

ط

الطاعة : **Obedience**

١ — لقد قدم الآباء والأمهات والقسيسون والرؤساء ومالكو زمام الرقابة الاجتماعية — اللازم من الغايات والأهداف — الغايات والأهداف التى كانت غريبة وأجنبية بالقياس الى أولئك الذين فرضت عليهم من الناشئة والأهلين والناس العاديين — فقليل منهم من أدى وأقام الأمر ، أما الأغلبية من الكافة فقد أطاعوا — بطريقة سالكة متداولة وعلى مضض .

وكلنا نعرف أن الأطفال الطيبين هم أولئك الذين يتسببون فى أقل ازعاج ممكن للكبار — وحيث ان معظم الأطفال يتسببون فعلا فى احداث قدر كبير من الازعاج ، فلابد وأن يكونوا ذوى شقوة وخبث بالطبيعة وبصفة عامة فان الناس الطيبين الصالحين كانوا أولئك الذين انصاعوا وامتثلوا وأذعنوا لما أمروا به . ولقد اعتبر عدم الانصياع والامتثال والاذعان علامة على وجود خلل فى طبيعتهم .

أنظر أيضا : النظام (٢) .

الطائفة الاجتماعية : (*) **Community :—**

١ — يعيش الناس فى شركة اجتماعية بمقتضى الأشياء التى يشتركون

---

(١) Human Nature and Conduct.

(*) لهذه الكلمة عند ديوى مداول اشتراكى قوامه عموم المصدر وعموم التطبيق وعموم السريان ، ومن ثم فهى شركة اجتماعية سواء أكان مجتمعا محليا صغيرا أم وطنا اكبر ام مجتمعا دوليا .

(١) Democracy and Education.

فيها ، والاتصـــال هو السبيل الذى يمثلهم من حيازة الأشياء المشتركة لعمومية المصدر وعمومية التطبيق والسريان .

وما يتعين عليهم أن يكون لديهم على نحـــو مشترك جمـــاعى لكى يشكلوا شركة اجتماعية أو طائفة لها خصائصها ومقوماتها هو الآتى :

وحدة الأهداف والقصائد والآمال والتطلعات والمعرفة — والتفاهم المشترك والتفكير المتشابه على حد تعبير علماء الاجتماع .

مثل هذه الأشياء لا يمكن نقلها نقلا ماديا من فرد لآخر بالمناولة كما ينقل الطوب ، ولا يمكن الاشتراك فيهـــا على النحو الذى يشترك فيه عدد من الأشخاص فى فطيرة بتقسيمها الى قطع محسوسة ماديا .

ان الاتصال الذى يكفل الاشتراك فى تفاهم عام هو الاتصال الذى يضمن ميولا ونزعات انفعالية وفكرية متماثلة — مثل طرق الاستجابة للتوقعات والمطالب .

٢ — حالما تعتمد الطائفة الاجتماعية — الى أى درجة كبيرة — على ما يتجاوز حدودها وما يتجاوز جيلها المباشر — فيتعين عليها أن تعتمد على الوكالة الراسخة المقررة للمدارس لكى تضمن النقل الكافى لكل تراثهـــا .

انظر أيضا : الضـــمير : الديموقراطيـــة (٥) — التربيـــة (٥) — الانسانية — العدالة — الفلسفة (٦) — الدولة (٤) .

الطبيعة (*) : Nature :—

١ — ليست الطبيعـــة نظاما لا سبيل الى تغيـــيره وتعديله — بحيث

(٢) Ibid.

(*) يقصر ديوى كلمة طبيعة على الـــوجود الخـــارجى العقلى الثابت ، ويقابله الوجود الفعلى المتغير — ومن ثم فان المذهب الطبيعى عنده يشتق من هذا الفهم ، على خلاف الفلسفة اليونانية .

(١) The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

تفك نفسها فى جــلال ومهابة من وشيعة (بكرة) القانون تحت سيطرة القوى المتألهة .

وانما هى مجموعة أو عرمة من التغييرات غير المحدودة — والقوانين ليست قواعد وتدابير حــكومية تفيد التغيير ، وانما هى قواعد ملائمة من أجزاء مختارة من التغير اتبعت طوال فترة طويلة أو قصيرة من الزمان ، ثم بعــد ذلك سجلت فى أشــكال وصيغ احصــائية ســائغة ميسورة فى الاستعمال الحسابى .

٢ — بيت الانســان هو الطبيعة ، فأهدافه وغاياته ومآربه يتوقف بلوغها وتنفيذها على الظروف والأحــوال الطبيعية ، واذا انفصلت عن مثل هذه الظروف والأحوال الطبيعية فانها تصبح أحلاما جوفاء ، واغراقا عقيما فى الوهم .

٣ — ليس عنــد الطبيعيــة تفضيل تؤثر به الأشياء الصالحة على الطالحة ، وانما تنتج طواحينها وتخرج أى نوع من الحنطة أو الطحنــة بلا مبالاة ولا اكتراث — لا مع ولا علىَ .

٤ — ان الوضع الانسانى واقع بصفة كلية فى داخل الطبيعة . وهو يعكس سمات الطبيعة وخصائصها وبراهين بينة لا تقبل الجدل أن فى الطبيعــة نفسها ترتبط الصــفات والعــلاقات والملامح الفردية المميزة والتناســقات المطردة المتشــابهة والنهايات والفاعليــات والطوارىء غير المنتظرة واللزوميات — ارتباطا وثيقا لا انفصام له .

٥ — الطبيعة قادرة على أن تجعل نفسها مفهومة ... وللطبيعة نسق

---

(٢) Democracy and Education.

(٣) Experience and Nature.

(٤) Ibid.

(٥) The Quest for Certainty.

بيّن مفهوم فى حوزتها بالدرجة التى تحقق بها نفسها عن طريق عملياتنا واجراءاتنا العلانية المجاهرة الامكانات الموجودة فى محتواها .

أنظر أيضا : الخبرة (٤) — المعرفة (٦) — قانون الطبيعة (١) — النظام — القوة (٢) .

الطبيعة الانسانية : Human Nature :—

١ — قد تتغير الظروف والأحوال — ولكن الطبيعة الانسانية تظل كما هى من عصر لعصر. ان الوراثة أكثر فعالية وقوة من البيئةوالفطرة الانسانية — ليست فى متناول البيئةالانسانية ؛ اذ ليس فى وسعها أن تمسها .

٢ — كل شىء يتميز بالخصيصة الانسانية يكتسب بالتعلم وليس فطريا ، على الرغم من أنه لا يمكن اكتسابه وتعلمه بدون التركيبات الفطرية التى تميز الانسان عن غيره من الحيوانات .

٣ — أى فكرة قاضية بأن الأداء البشرى مطابق لأداء الكائنات غير الحية أو أداء الحيوانات « الدنيا » فكرة سخيفة ساذجة ، تدحضها حقيقة أن السلوك فى الكائنات الانسانية منظم على نحو معين ، وبدرجة أنه يترتب عليه كل ما نسميه الحضارة والثقافة والقانون والفنون الرفيعة والصناعية واللغة والأخلاق والنظم والشرائع والعلم ذاته .

وبثمرات هذا السلوك نعرفها .

ومن ثم فان العمليات والسبل العضوية تفقه على أنها الوسائل الأصلية الضرورية المنظمة لسلوك مزود بالهدف والمغزى ، وزاخر بالتعلق أو التأثر الوجدانى أو الوداد ، ومتذكر للماضى وفطن الى المستقبل .

---

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) The Public and Its Problems.

(٣) Philosophy and Civilization.

٤ — هل النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة — حصيلة حتمية ولتاج للطبيعة الانسانية ؟

أو — بصفة أكثر عمومية — هل تركيب الطبيعة الانسانية ذاته يبين أن بعض النظم والتدابير الاجتماعية المعينة أرجح فلاحا ونجاحا ، فى حين أن البعض الآخر مصيره الى الفشل والاخفاق والبوار ؟.

هل الحرب — مثلا — أمر لاسبيل الى تلافيه بسبب حقائق الطبيعة الانسانية ؟ .

هل المصلحة الذاتية والأثرة والاستئثار متغلغلة فى نخاع الطبيعة الانسانية بحيث ان أية محاولة لارساء قواعد الجهد والعمل والصناعة على أى أساس غير أساس الصراع التنافسى من أجل الكسب الشخصى والاقتنائية الصائلة مقضى عليها بالفشل — ضربة لازب ؟ .

٥ — ان النظرية القائلة بأن الطبيعة الانسانية غير قابلة للتغيير — هى أكثر القوانين والمبادىء الممكنة تشاؤما وكآبة وكسادا .

فاذا قدر لهذه النظرية أن تمضى الى غايتها المنطقية كان معناها حتمية من القضاء والقدر الجبرى من الميلاد تفوق أكثر المذاهب الدينية تزمتا وتيبسا وصرامة ، اذ — وفقا لهذه النظرية — فان الأشخاص هم ما هم عند الميلاد ولا سبيل الى احداث أى شىء حيال ذلك ، وليس فى الامكان عمل أى تعديل يتجاوز نوع التدريب الذى يحدثه البهلوان فى الجهاز العضلى المزود به أصلا .

فاذا ولد شخص بميول اجرامية ، فلا مناص من أن يصبح شخصا نهابا مفترسا مفعما بمناشط من السلب والخطف على حساب الآخرين .. وهلم

---

(٤) "Human Nature," in the Encyclopedia of the Social Sciences, VII.

(٥) Problems of Men.

جرا . ولا يســاورنى ارتياب فى وجود الفروق والاختلافات فى المواهب الفطرية والمعطيات الطبيعية .

ولكن موضع تســاؤلى واستهجانى هو فكرة أنها تحدد مصير الأفراد وتختم عليهم وتجمــدهم فى مجرى ثابت لا يحيــدون عنه ولا يملكون حياله دفعا .

صحيح أنه من الصعب أن تصنع كيس دراهم حريريا من أذن خنزير . ولكن الشكل المعين الذى — على سبيل المثــال — تمضى فيه موهبة طبيعية موسيقية — يتوقف على التأثير الاجتماعى الذى تخضع له .

٦ — الانسانى هو كما يفعل الانسان .

أنظر أيضا : التغــير — الحضــارة (٥) — مــذهب المحافظين (٤) — الدين (٢) — الحــرب (١) — العمــل — الثقافة (٣) — الديموقراطيــة (١٢) — الحرية (٦) — القــانون (٢) — الأخلاق (٤) — العلم الأخلاقى .

طرق التعليم : **Methods of Instruction :—**

١ — ان مسألة الطريقة من الممكن أن ترد — فى نهاية الأمر — الى مسألة نظام أو انضاج أو انماء قوى الطفل واهتماماته .

٢ — ان طرق التعليم الراهنــة زاخرة بالبينات الدالة على الاعتقاد بأن العقول تنفر من التعليم وتناوئه — أى انها تناوىء ممارسة وظيفتها . ونحن لخفق فى أن نرى أن مثل هــذا النفور والمناوأة هو فى الواقع اتهام دامغ بالادانة لطرق تعليمنا — وعلامة على أننا نقدم مادة لا حاجة بالعقل

---

(٦) Ibid.

(١) My Pedagogic Creed.

(٢) Schools of To-Morrow (with Evelyn Dewey).

اليها فى مرحلتــه الراهنة من النمو ، أو أننا نقدمهــا بطرق — على نحو معين — لكى نسربل بها حاجتنا الحقيقية .

انظر أيضا : المدرسة (٢) .

الطريقة العلمية : Scientific Method :—

١ — نحن نستعمل الطريقة العلمية فى توجيه الطاقات المادية الطبيعية ، ولكن ليس الطاقات الانسانية .

٢ — الطريقــة العلمية ... ليست ســوى الاستعمال المنظم الشامل والمضبوط بدقة والافادة من الملاحظةالمتنبهة الواعية غير المتحيزة والتجريب فى جمع وترتيب وتبويب واختبار البيئة .

٣ — حيث ان الطرق العلمية ببساطة — تبدى الذكاء الحر ، وهو يعمل ويؤدى وظيفته الاجرائية على أفضل نحو متاح فى وقت ما ، فالتبديد الثقــافى والبوار والتخبط والتشويه الذى ينتج من الاخفــاق والفشل فى اســتعمال تلك الطرق فى كل الميــادين بالقيــاس الى كل المشاكل — تفوق الحصر .

٤ — ان التشبث بالقياس العددى عندما لا يكون هناك داع ملازم أصيل تفرضه النتيجة المطلوبة ، علامة على احترام طريقة اقامة الشــعيرة العلمية وملازمة طقوسها على حساب جوهرها .

انظر أيضا : السلطة (٤) — المنهــاج التجريبى — الموضوعات (٢) — الحقيقة (٤) — التسامح (٣) .

---

(١) Individualism, Old and New.

(٢) "Antinaturalism in Extremis," in Naturalism and the Human Spirit (a Symposium, ed. by Y.H. Krikorian).

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

(٤) Ibid.

ع

العــادة : **Habit :—**

١ — العادات الرتيبــة المطردة النسق — عادات آليــة لا تحتاج الى تفكير ، والعادات « المرذولة » هى عادات مبتورة من النهى لدرجة أنهــا تتنافر مع نتائج التصميم الواعى والتدبير الحاسم .

ومن الواضح أن اكتساب العــادات راجع الى مرونة أصيلة فطرية فى طبائعنا الى قدرتنــا على تنويع وتغيير رجوعنا واســتجاباتنا الى أن نجد وسيلة مناسبة وفعالة للتصرف .

والعــادات الرتيبة ، والعــادات التى تملك زمامنا بدلا من أن نملك زمامها ، هى عادات تقضىعلى المرونة والسلاسة والطواعية . انها شاهد على اغلاق الباب فى وجه القوة على التغيير .

٢ — ليس من الميسور على الناس أن يخلعوا عادات تفكيرهم القديمة وينبذوها نبذ النواة — وليس فى وسعهم أبدا أن يخلعوها جميعا بمرة .

٣ — العــادات ظروف شرطية للكفاية الفكرية . انها تعمل بسبيلين بالقياس الى العقل . فلا ريب أنها تحدد تخوم الفكر وتقيد مداره ومداه . انهــا غمامات تحجب عيون العقــل وتحصرها فى نطاق رؤية الطريق

---

(١) Democracy and Education.

(٢) Reconstruction in Philosophy.

(٣) Human Nature and Conduct.

القدامى .. انها تحول بين التفكير وبين أن يشرد أو يضل ، بحيث لا يحلق في مجال أكثر تنوعا وأوفر بهاء وبهجة ولكنه لا يلائم الواقع .

وخارج نطاق العادات — فان التفكير يتلمس طريقه عيانا متسكعا متعثرا في عمه وتخليط وتخبط . ولكن على الرغم من ذلك كله فان العادة عندما تصبح نسقا مطردا رتيبا فانها تغلق الباب في وجه التفكير وتصده لدرجة أن الحاجة الى التفكير تكاد تنعدم أو تصبح غير ممكنة .

ان طريق أسير العادة المطردة النسق هو أخدود لا يستطيع الخروج من وهدته — أخدود تطبق جوانبه على أسير العادة وتحتوشه في نطاقها بحيث تحدد مساره على طول الخط فلا يفكر في طريقه ولا في نهاية مطافه ، وانما يمضي مع الأخدود لا يلوى على شيء .

وكل عمليات تشكيل العادات تتضمن بداية تخصص فكرى ، بحيث اذا اطرد نسقه ومضى دون مراجعة أو فحص أو اختيار فانه ينتهى الى مسلك آلى يتسم بطابع انعدام التفكر .

٤ — العادة طاقة منظمة في مسالك أو مجار معينة .

٥ — اننا لا نستطيع أن نعتبر العادة صفة مباشرة . فهذه فكرة تدخل في باب السحر . بيد أننا في وسعنا أن نعتبر العادة طريقة غير مباشرة بتعديل الظروف وبالاختيار والتصحيح الذكى للموضوعات التى تشغل بالنا والتى تؤثر في تحقيق واكتمال رغباتنا .

٦ — فبينما نقر أن كلمة عادة قد استعملت في معنى أوسع بعض الشيء مما هو مألوف ودارج — الا أننا يجب علينا أن نجنح ضد ظاهرة جنوح علم النفس الى قصر معناها على التكرار .

---

(٤) Ibid.

(٥) Ibid.

(٦) Human Nature and Conduct.

ان الميل الى تكرار تصرفات هو عارض كعــادات كثيرة ، وليس لكل العادات بأجمعها . فالمرء الذى اعتاد أن يسلم زمامه للغضب قد ينصح عن عادته بهجوم قاتل على شخص لحقته منه اهانة .

بيــد أن هــذا التصرف مرده الى عادة متأصلة فيه ، على الرغم من أنه لا يصدر عنه الا مرة واحدة فى حياته .

فجوهر العــادة قابلية مكتسبة تصبح بمثابة ميل أو استعداد مهيىء لأساليب أو طرز من الاستجابة ، وليس لمجرد تصرفات معينة — الا اذا كانت هذه التصرفات المعينة فى ظروف خاصة تعبر عن طريقة سلوك .

انظر أيضا : الخلق (٢) — المنهــج التجــريبى (٢) — الضــمير — المعرفة (٧) — التربية (١٣) ، (١٥) — المسئولية (٢) .

العـــالم : **World :--**

١ — نحن نعيش فى عالم ، هو خليط باهر مؤثر ولا يعاند ولا يقاوم — من الطــاقات والاكتفاءات والتمام المحــكم والنظام والتواتر والتكرار ، بحيث يجعل من الممكن التنبؤ والضبط ، والتفرد والشــذوذ ، والالتباس والغموض والابهــام ، والاحتمالات غير المؤكدة والممكنات المحتمـلة ، والعمليات والسبل الماضية الى نتائج وخواتيم لم تتحقق أو تعين بعد .

٢ — لقد بلغنا عن طريق العلم درجة من قوة التنبؤ والضبط والتحكم ، وبالآلات والعدد والأجهزة وما يصاحبها من منهاج فنى جعلنا به العالم أكثر تلبية لحاجاتنا وملاذا وسكنا أكثر أمنا وطمأنينة .

ولقد كومنا القناطير المقنطرة من الثروات ووســائل الراحة وكدسناها وجعلنا منها سدا بين أنفسنا وبين مخاطر العالم ومخاوفه ، ولقد جعلنا من

---

(١) Experience and Nature.

(٢) Ibid.

(٣) Logic : the Theory of Inquiry.

اللهو والتسلية حرفة ومهنـــة كوسيلة للهروب والنسيان ، ولكن مع ذلك كله ، وبعــد ذلك كله ، فان الصــفة المخطرة الأساسية للعالم لم تتعدل تعديلا جوهريا ، فضلا عن كونها تمحى أو تزال من الوجود .

يوجد طبعا عالم طبيعي فى حالة وجود مستقل عن الكائن الحى ، بيد أن هذا العالم الطبيعى لا يشكل بيئة الا عندما يدخل بصفة مباشرة وغير مباشرة فى وظائف الحياة .

انظر أيضا : الخبرة (٧) — قانون الطبيعــة (٣) — الحســاب (٣) — العقل (٥) — النفس (٤) — الكون (٢) .

العتـــة : **Insanity :—**

١ — من الممـــكن أن يكون المرء معتوها دون أن يعرف أنه معتوه ، وفى وسع المرء أن يعرف الجنون دون أن يكون مخبولا أو مختل العقل .

وفى الحقيقة — أن انعدام الخبرة المباشرة — فى هذا الصدد هى الشرط الذى لا غنى عنه لدراسة العته .

انظر أيضا : القوة (١) — الواقع (٢) .

العـــدل : **Justice :—**

١ — ان العدل حق مخول يعود على المرء بصفته منتميا لجماعة ما — وليس خلافا لذلك .

فعضو العشيرة أو القبيلة أو البطن أو الأسرة أو مجتمع القرية له حق مخول وصاحب دعوى فى حين أن الغريب لا دعامة له ولا سند ولا ادعاء .

---

(١) Experience and Nature.

(١) Ethics (with J.H. Tufts).

ان الغريب أو الأجنبى قد يعامل بظرف وكرم — كضيف — ولكنه لا يستطيع أن يطالب « بالعدل » على يد أى جماعة سوى جماعته .
انظر أيضا : الحرب (٢) .

العقل : Mind :—

١ — لم يظل العقل مشاهدا سلبيا للكون ، وانما أنتج ولا يزال ينتج — نتائج معينة .

وهذه النتائج موضوعية ، ومن الممكن درسها وبحثها ككل الحقائق التاريخية الموضوعية ، وهى حقائق باقية ، وهى أكثر العلامات ثباتا ويقينا وشمولا وعمومية ، فهى التى تومىء لنا الى الطريقة التى يعمل بها عقلنا .

بيد أن هذه المظاهر الموضوعية للعقل — فى ميدان الذكاء — هى ظواهر كاللغة والعلم ، وفى ميدان الارادة هى نظم اجتماعية وسياسية ، وفى ميدان الشعور هى فن ، وفى ميدان الذات برمتها ككل موحد هى دين .

٢— لست على وعى بأن أى منشط « عقلى » صرف مزعوم أو نتيجة ، لا يمكن وصفها وصفا موضوعيا بالألفاظ الموضوعية للنشاط العضوى المعدل والموجه بالمعانى الرمزية أو اللغة فى معناها الوسيع .

٣ — يدل العقل على نظام المعانى برمته كما تتجسد فى منجزات وأعمال الحياة العضوية ، والوعى فى كائن حى ناطق بلغة ، يدل على دراية وادراك أو تمييز للمعانى ، فهو ادراك واحساس بالأحداث الواقعية الفعلية سواء الماضية والمعاصرة والمقبلة فى معانيها — بمعنى الحيازة الحقيقية للأفكار .

على أن الجزء الأكبر من العقل متضمن فقط فى أى أداء وعيى أو

---

(١) Psychology.

(٢) How we Think.

(٣) Experience and Nature.

تفرس ، ذلك أن مجال العقل — أى مجال المعانى الاجرائية الأدائية — أوسع بكثير جدا من مجال الوعى ، فالعقل سياقى وثابت ودائم ، فى حين أن الوعى بؤرى وقلب ودوار ومتعد .

وبعبارة أخرى العقل تركيبى أساسى ، جوهرى ، ثابت ، شق مقدم دائم وشق خلفى دائم ، فى حين أن الوعى الادراكى عملية سبيلية ، سلسلة من الآتى والحاضر .

والعقل اشراق دائم ، والوعى اشراق منقطع — سلسلة من الومضات واللمحات التى تتفاوت شدة وحدة وقوة . فالوعى — على هذا — يعترض طريق — عرضى — للرسائل الصادرة باستمرار — كجهاز استقبال آلى — يختار عددا قليلا محدودا من الاهتزازات التى يزخر بها الهواء ويحيلها الى أصوات مسموعة .

٤ — ان العقل الذى فتح أبوابه للخبرة ، ونضج بوساطة نظامها ، يدرك ضآلة ومواطن عجزه وقصوره ، وهو يعلم أن رغباته ومسلماته واقراراته ليست مقاييس نهائية للكون ، سواء فى المعرفة أو فى السلوك . ومن ثم — فهى فى نهاية الأمر — وقتية وزائلة ، ولكنه يعرف أيضا أن نصيبه المحدود الصغير من الاضطلاع بالقوة والانجاز ليس حلما يتعين نسيانه كلية ، وانما يتضمن اتحادا واندغاما بالكون ، لكى يحافظ عليهما .

ان الاعتياد ، وهو التفكير والكفاح الذى يلهمه ، هذه أيضا من فعل الكون — وهى — على نحو ما مهما كان ضئيلا — تدفع بالكون قدما . ثمة احساس عف بأهميتنا ـ قوامه الخشية من أنه ليس القياس المعيارى الذى نقيس به الكل — يتطابق وينسجم مع الاعتقاد بأننا وجهودنا وضروب كفاحنا فى غاية الأهمية والمغزى ، ليس من أجلها فقط ولكن فى الكل .

Experience and Nature. (٤)

٥ — لم يعد العقل مجرد مشاهد يطل على العالم من الخارج ويجد ذروة رضاه فى متعة التأمل المكتفى بذاته . فالعقل فى داخل العالم كجزء متكامل ملتحم فى سبيل العالم الماضى قدما على نحو موصول . وهو يتميز كعقل بحقيقة أنه أينما يوجد — تحدث التغييرات بطريقة موجهة بحيث ان حركة — فى معنى اتجاه واحد محدد من الغامض والمجهول والمضبب والمشكوك فيه ، الى الواضح والمعلوم والمؤكد والمستقر والبين — تحدث .

٦ — العقل شيء أكثر من الوعى ؛ لأنه الركيزة الباقية الأصلية — على الرغم من أنها متغيرة — التى يشكل الوعى مقدمتها الأمامية .

والعقل يتغير ببطء عن طريق التعليم أو الرعاية المشتركة ، المزدوجة للاهتمام والظرف القائم .

والوعى دائما فى حالة تعثر سريع ؛ لأنه يحدد المكان الذى يلتقى فيه ويتفاعل المزاج أو الميل الذى تم تشكيله مع الموقف أو الوضع المباشر .

فهو الملاءمة المستمرة واعادة الملاءمة المستمرة للذات والعالم فى الخبرة .

٧ — « العقول » توجد ، وتؤدى عملية التعرف .

انظر أيضا : الصيانة والحفظ (٣) — الاستدلال (٢) — التفاعل (١) — المعرفة (١) ، (٦) ، (٧) — سعة الأفق (١) ، (٣) — الفلسفة (٧) — المسئولية (٣) — علم النفس الاجتماعى .

The Quest for Certainty. (٥)

Art and Experience. (٦)

Knowing and The Known (with A.F. Bentley). (٧)

العـــلاقة : Relation :—

١ — ان الاسهام المميز للانسان الذى تفرد به عن سائر المخلوقات هو الوعى بالعلاقات الموجودة فى الطبيعة .

٢ — « العلاقة » لفظ محفوف بالالتباس .

ففى الحديث الفلسفى يستعمل للدلالة على ارتباط انتظم ، وتعـين فى التفكير .

ثم بعـد ذلك يعنى شيئا غير مباشر — شيئا فكريا بحتا — بل حتى منطقيـا . ولكن « العـلاقة » فى استعمالها الاصطلاحى تدل على شىء مباشر وناشط ، شىء ديناميكى وفعال وقادر .

فهى تركز الانتباه على طريقة ارتباط الأشياء بعضها ببعض فى مقامها ، ووجهتها ، وتصـادمها ، والتحامها ، وفى تحققها ، وكبتها ، وتقدمهـا ، وتأخرها ، واثارتها ، وكفها بقياس بعضها الى بعض .

انظر أيضا : العلاقات الدولية — القانون (٢) — قانون الطبيعة (٤) — التفكير (١١) .

العـــلاقات الدولية : International Relations :—

١ — ان الوضع الراهن بين الأمم فى علاقاتها بعضها ببعض — بلغ حدا — يغرى حتى أولئـك الذين هم أبعـد النـاس عادة عن السخرية والاسـتهزاء — أن يقولوا انه لا توجـد علاقـة ألبتـة بين الأخلاق والعلاقات الدولية .

٢ — حتى ترتبط الأمم معـا بقانون نظام اجتماعى — فلا يمكن أن توجد أية التزامات أخلاقية — حقيقية فيما بينهم .

(١) Art as Experience.

(٢) Ibid.

(١) Characters and Events.

(٢) Ibid II.

Science :—   العـــلم :

١ — انه فقط الســاخر البالى الذى يؤمن بصلاح البشر ، والنذير الشهوان الذى نضب معينه ، وصاحب الاعتقاد المتعصب التعسفى ، أولئك فقط هم الذين يفسرون التغير المستمر للعلم كدليل ينهض على أنه ، حيث ان كل افادة متتابعة خاطئة بالتوالى على مسار التطور ، فان السجل برمته خاطىء وعبث وباطل وان الحقيقة الراهنة ليست سوى الخطأ أو الباطل الذى يثبت بطلانه بعد .

٢ — لقــد أفضى العلم بالنــاس الى أن ينظروا فى المستقبل بدلا من المـــاضى .

٣ — ما تقدم عظيم أحرزه العلم الا وصدر عن جرأة جديدة فى الخيال .

٤ — عندى أن العلم يدل فى فحواه — على وجود طرق منظمة للبحث بحيث انها عندما تطبق على سلسلة من الحقائق تمكننا من أن نفهمها على نحو أحسن وأفضل ، وأن تتحكم فيهـــا ، ونضبطها بطريقة أكثر ذكاء ، وأقل اعتباطا ومصادفة ، وبقسط أضـــأل من النمطية والرتابة واطراد النسق الروتينى .

٥ — لو كان ثمة تعارض بين العلم والفن ، لكان لزاما على أن أنحاز الى جانب أولئك الذين يؤكدون أن التربيـــة فن . ولكن هذا التعارض لا وجود له ، وان كان ثمة فارق مميز .

بيد أننا يجب علينا ألا تغرر بنا الكلمات وتضللنا الألفاظ ، فالهندسة — فى واقعها العلمى — فن ، ولكنها فن يضمن ويوحد ويؤلف بين مزيد

(١) Esseys in Experimental Logic.

(٢) Democracy and Education.

(٣) The Quest for Certainty.

(٤) Sources of a Science Education.

(٥) Ibid.

ومزيد من العلم فى كيانه — على نحو موصول تقدمى ، مزيد من الرياضيات والفيزياء والكيميا ؛ فهو نوع من الفن بهذه الخصيصة التى هى عليه بالذات بفضل محتوى من المادة العلمية التى توجهها وترشدها كعملية عملية . ثمة مجال فسيح للمشروعات الابتكارية الجريئة للأفراد الذين هم فوق العادة . ولكن تفوقهم لا يكمن فى حقيقة أنهم يولون ظهورهم للعلم ويضربون به عرض الحائط ، وانما فى حقيقة أنهم يحدثون تكاملات جديدة فى المادة العلمية ويحولونها الى استعمالات وفوائد لم تكن مألوفة ولا شائعة ولا متنبأ بها من قبل .

٦ — لأن العلم يبدأ بأسئلة تثيرها وبحوث وفحوص يجريها فهو بهذه الخصيصة — مهلك ومميت لكل النظم الاجتماعية والبرامج المجمدة ذات الغايات الثابتة والنهايات المغلقة .

٧ — ما دمنا نعبد العلم ونوجس خيفة من الفلسفة فلن يكون لدينا علم عظيم .

٨ — ان العلم لا يتألف من أى مجموعة معينة من الحقائق العلمية ، كمادة معرفية ، وانما قوامه — منهاج — منهاج من العقائد المتغيرة بسبيل من البحث الفاحص والتمحيص التجريبى .

٩ — الاتجاه العلمى ... يتأصل جذريا فى المشاكل التى تعرض والمسائل التى تثار من قبل الظروف والأحوال التى يفرضها الواقع .

أما الاتجاه غير العلمى فهو ذلك الاتجاه الذى يعرض عن مثل تلك المشاكل ويهرب منها أو يتستر عليها ويخفيها بدلا من أن يواجهها .

---

(٦) Individualism, Old and New.

(٧) Philosophy and Civilization.

(٨) A Common Faith.

(٩) "Unity of Science as a Social Problem" in the Industrial Encyclopedia of unified Science, Vol. I, No. 1. (1938).

ومن الوجهـــة الايمانية فهو الارادة والرغبة فى البحث والاختيار والتمييز الفطن وادراك الفرق واستخراج النتائج فقط على أساس البينة بعد بذل الجهد والكد لجمع كل البينات والبراهين الموجودة المتاحة .

انظر أيضا : السبيل — التجريد (٢) — الحقيقة (٢) — السلطة (٤) — الدين (١) — العروض (٣) — المجتمع (٥) — المعرفة (١) ، (٩) — القمة (١) — قانون الطبيعة (٣) — العالم (٢) — المنطق (١) — المادة (٢) ، (٣) — الفلسفة (٧) .

علم النفس : **Psychology :—**

١ — علم النفس هو محاولة لتفصيل أداء أجهزة الفرد باعتباره الأداة والعضو الذى يؤدى العمل الاجتماعى وظيفته عن طريقه .

٢ — علم النفس الشـــائع الدارج هـــو حشـــد من الاصطلاحات الرطينية وكتلة من الوحل والخزعبلات والخرافات التى تستحق أن تحتل مكانها الملائم فى أكثر الأيام ازدهارا لأدعياء الطب من الدجالين والسحرة .

أنظر أيضا : المساواة — العادة (٦) — المعرفة (١) — النفس (١) .

علم النفس الاجتماعى : **Social Psychology :—**

١ — مشكلة علم النفس الاجتماعى ليست فى كيف ، أو ما يشـــكل العقل الفردى أو العقل الجماعى ، الجماعات الاجتماعية والعادات ، وانما فى كيف نشكل ونغذى العادات المختلفة والنظم والتدابير الراسخة القائمة المتفاعلة — العقول المختلفة .

---

(١) The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

(٢) The Public and Its Problems.

(١) Human Nature and Conduct.

العلم الأخلاقى : Moral Science :—

١ — الأخلاق هى أكثر الموضوعات — انسانية واحسانا ورحمة . انها أمس شىء بالطبيعة الانسانية وأوثقها صلة بها .

انها — على نحو لا يمكن استئصاله — تجربة اختبارية وليست لاهوتية ، ولا ميتافيزيقية ولاحسابية .

وحيث ان الأخلاق تعنى بالطبيعة الانسانية بصفة مباشرة فان كل شىء يمكن معرفته عن العقل الانسانى والجسم فى الفسيولوجى والطب والانثروبولوجى والسيكولوجى يعتبر من صميم البحث الأخلاقى .

والطبيعة الانسانية توجد وتعمل فى البيئة ، وعندما نقول فى بيئة — فهى ليست « فى » كما تكون العملة فى صندوق ، ولكنها كالنبات فى ضوء الشمس والتربة ؛ فهى على هذا — منها — موصولة ومستمرة مع طاقاتها ، ومعتمدة على معونتها ، وليس فى وسعها أن تنمو وتربو الا اذا أفادت منها . وهى تمتص تدريجيا وتعيد بناء ما تمتصه من خامها وغشيمها — لكى تخلق منها بيئة متحضرة متمدينة لطيفة أنيسة ، بهيجة .

ومن ثم فان الفيزياء ، والكيميا ، والتاريخ ، والاحصاء ، والهندسة ، والتعليم ، جزء من المعرفة الأخلاقيـة المنظمة المنسقة ما دامت تمكننا من فهم الظروف والأحوال والوسائل والفاعليات التى بها يعيش الانسان ، والتى بسببها يكون خططه وينفذها .

فالعلم الأخلاقى ليس شيئا له دائرة اختصاص منفصلة معزولة . وانما هو معرفة طبيعية مادية بيولوجية تاريخية ، موضوعة فى محتوى انسانى بحيث تضىء وتشع وتنير السبيل وتوجه مناشط الناس .

انظر أيضا : الأخلاق .

---

(١) Human Nature and Conduct.

العمـل : Labor :—

١ — العمل يعنى ضربا من ضروب الشغل أو الكد الذى تكون نتيجة انجازه المباشرة لها قيمة فقط كوسيلة للمقايضة على شىء آخر أو للتبادل لقاء شىء آخر ، وهو اصطلاح اقتصادى بحيث انه يطبق على ذلك الضرب من العمل أو الجهـد حيث يدفع أجر لقاء النـاتج أو الحصيلة — والمال المدفوع يستعمل للحصول على أشياء ذات قيم أكثر مباشرة .

انظر أيضا : الاقتصاد — الانتاج والاستهلاك (١) ، (٢) .

العمل الابتداعى : Creative Work :—

١ — كل فرد — بطريقـة ما ، وعلى نحو ما — مبتكر وابتداعى فى كيانه ذاته — وهذا هو معنى فردية الفرد كشخصية فذة . وما نحتاج اليه بشدة هو التخلص من كل ما يخنق ويصعق انبثاقها وتجليها .

وعندما يزال الوقر الظالم والمصطنع — فسيجد كل فرد فرصته للعمل الايجابى البناء فى مجال ما .

وليس مدى أو ميدان عمله هو الشىء الهام — بقدر ما هو كيف العمل وعمقه وشموله .

٢ — ان النشاط الابتداعى الخلاق هو حاجتنا الكبرى ولكن النقد — النقد الذاتى — هو الطريق المفضى لاطلاقه .

انظر أيضا : التفكير (١٢) .

---

(١) Interest and Effort in Education.

(١) Construction and Criticism.

(٢) Ibid.

العنف : **Force :—**

١ — ان الاعتماد على العنف — عاجـلا أو آجلا — يستدعى ملاقاة العنف بالعنف من الطرف الآخر .

انظر أيضا : القيمة (١) — الحرب (٢) .

(١) Problems of Men.

ف

الفـرد : **Individual :—**

١ — أيما فرد — هو — طبيعيا — مزيج غير منتظم من لجاجة شرسة في الاصرار على مصـلحته الخاصـة ، الى جانب حساسية شديدة عميقة التأثر حيال سـعادة الآخرين — وشتى الأفراد يختلفون كثيرا فيما بينهم في نصيب ونسبة وقوة وشدة كل من الاتجاهين على حدة .

٢ — ان قضية الحضارة الحديثة منوطة — صعودا وهبوطا ، صمودا ونكوصا بقـدر الفرد على الخـدمة والأداء باعتباره وكيلا عنها وحاملا لتراثهـا .

٣ — المجتمع — هو أفراد يتفاعلون فيعلاقاتهم — والفرد — معزولا عن علاقات اجتماعية — خرافة أمر أو هول فظيع .

انظر أيضا : السلطة (٢) — الديموقراطية (٢) ، (٣) ، (٧) — التربيـة (١) ، (٦) — التفاعل(٢) — التحررية (٢) — الحرية(٥)— الدين (٢) — الأمين (٢) — الدولة (٤) .

---

(١) Ethics (with J.H. Tufts).

(٢) The influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

(٣) In the Educational Frontier (with J.L. Childs, a symposium, ed. by W.H. Kilpatrick).

الفروض* : **Hypotheses :—**

١ — الفروض تكون مثمرة عندما توحى بها الحاجة الحقيقية وعندما تساندها وتدعمها المعرفة المحصلة قبلا ، وتوضع على محك التجربة بالقياس الى نتائج العمليات التى تستدعيها ، والا تبدد الخيال وتشتت فى نزوات وأوهام وتبخر تصعيدا الى السحب .

٢ — انه لأمر قبيح الصيت أن الفرض لا يتعين أن يكون صحيحا لكى يؤتى آكله فى سير البحث .

٣ — ان القيمة الأولية للفروض والنظريات رابضة فى قوتها على توجيه الملاحظة فى كشف حقائق جديدة ثم رصدها وملاحظتها وفى قوتها على تنظيم الحقائق على نحو يدفع قدما بحل مشكلة ما . وما يتطلبه العالم من فروضه هو آنها تثمر وتفيد فى توجيه ملاحظاته وتفكيره وتدبير أموره .

ان مجابهة حقيقة ملحوظة لا تنطابق مع فرض قائم هى من ثم موضع ترحيب تماما ، مثل التى تنطابق لأنها تمكن العالم من ادخال تعديلات فى فكرته تجعلها أكثر فعالية فى سير البحث مستقبلا .

بينما الكذوب اذا ما ووجه بشىء يتعارض مع ما يقوله فهناك مائة بالمائة من الالغاء والابطال لمافاه به بدون أية فرصة مطلقا ، لأنه تطوير اضافى بسبب المجابهة السلبية الدافعة التى حدثت ، أما فى العلم ، فان اكتشاف استثناء أو شذوذ عن القاعدة — لحقيقة تعارض نظرية قائمة فى الشكل الذى صيغت به من قبل — يعتبر وسيلة ايجابية من وسائل التقدم .

(*) وهى القضايا التى تبدأ بكلمة «اذا» وهى هامة فى منطق ديوى لانها بمثابة التعميم الافتراضى الموجه لاكتشاف حقائق جديدة .

(١) The Quest for Certainty.

(٢) Logic : The Theory of Inquiry.

(٣) Reply in The Philosophy of John Dewey (a Symposium, ed. by A.P. Scillp).

وهى ليست موضع ترحيب فحسب عندما تكتشف وانما هى أمر يسعى فى طلبه — سعيا حثيثا .

انظر أيضا : الاعتقاد (١) — الشك (٢) — المنهاج التجريبى — الأفكار (٤) — المشاكل .

الفروق : Differences :—

١ — ان التعاون باعطاء الفروق والاختلافات فرصة للافصاح عن نفسها استنادا الى الايمان بأن التعبير عن الاختلاف ليس فقط حقا للغير ، وانما هو أيضا وسيلة لاخصاب واثراء خبرة حياة المرء نفسه — أمر وليد ذات طريقة الحياة الديموقراطية الشخصية — وملازم لها ولاصق بها .

انظر أيضا : التعدد .

الفلاسفة : Philosophers :—

١ — حيث ان الفيلسوف تلقى مشكلة من عالم الواقع ودنيا الأحداث، فعليه اذن أن يقدم حسابه لهذا العالم نفسه للمراجعة والمحاسبة ، وتصفية الحسابات .

٢ — انها لقضية قديمة تجرى مجرى الأمثال أن الفلاسفة مثلهم فى ذلك كمثل علماء اللاهوت وأصحاب النظريات الاجتماعية — على يقين من أن العادات الشخصية والمصالح الذاتية تشكل مذاهب ومبادىء معارضيهم تماما مثلما هم على يقين من أن معتقداتهم لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وانها عامة وشاملة «على الاطلاق» وموضوعية فى الكيف .

"Creative Democracy", in The Philosopher of The Common Man : (١) Essays in Honor of John Deway (a Symposium) ed. by W.H. Kilpatrick).

The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays. (١)

Essays in Experimental Logic. (٢)

٣ — تكسب الفلسفة دعواها وتبل من سقمها عندما تكف عن أن تكون وسيلة تصطنع لمعالجة مشاكل الفلاسفة وقضاياهم وتصبح منهاجا يزرعه الفلاسفة لمعالجة مشاكل الناس .

٤ — الفلاسفة جزء من التاريخ فى قبضة حركته — قد يكونون خالقين — لدرجة ما — لمستقبله — ولكنهم أيضا — يقينا من صنع ماضيه .

٥ — ان الفيلسوف الذى ينتمى تفكيره الى المصادرة الحديثة فى سماتها التكنولوجية والصناعية الغالبة عليها — لا يمكنه أن يتجاهل أيا من الحركات (الماضية) فاذا تجاهل التقاليد والتراث أصبحت أفكاره خاوية وخافتة وضئيلة نحيلة .

ولكنها أمور جديرة بالاستخدام والافادة منها — لا مجرد وضعها موضع التبجيل أو تحديد كسوتها بخلع ألفاظ جديدة عليها .

انظر أيضا : المثل العليا (٢) — الفلسفة — التعدد — الامكان (٢) .

الفلسفة : Philosophy :—

١ — لا جناح على الفلسفة — بل أولى بها أن تخطىء وهى منغمسة فى خضم الأحداث والصراعات الحية والقضايا المعاصرة لها فتسهم فيها اسهاما ايجابيا وتدلى فيها بدلوها بدلا من أن تلوذ ببرج عاجى أو حصن منيع أو منسك يضع بينها وبين الحياة والأحياء سدا .

٢ — لا تملك النظرية الفلسفية مصباح علاء الدين السحرى لكى

---

(٣) In the Creative Intelligence : Essays in the Pragmatic Attitude (a Symposium.)

(٤) Philosophy and Civilization.

(٥) In Whither Mankind (ed. by C.A. Beard).

(١) In The Essays — Philosophical and Psychological in Honor of William James (a Symposium).

(٢) Democracy and Education.

تستحضر به حسب الطلب وعنــد الطلب — الى الوجود المباشر — القيم التى تبينها وتنشئها فكريا .

٣ — عنــدما يكون مفهوما أن التفــكير الفلسفى لاحق وموصول بالمجرى الواقعى للأحــداث فان وظيفته هى توجيه هذه الأحداث حيال قضية مناحة موفقة — عندئذ تعرض المشاكل نفسها لوفرة وسخاء .

بيد أن الفلســفة لن تحل هذه المشاكل ؛ فالفلسفة خيال وتأمل وامعان فكر وروية وتخيل — وهذه الوظائف — منفصــلة عن العمل والتصرف والاجراء والأداء — لا تعدل شيئا ، ومن ثم لا تحسم شيئا .

ولكن فى عالم معقــد جموح مارق فان العمل الذى لا يغذيه الخيال والتأمل والبصيرة — فمن المرجح أن تزداد فيه الحيرة والتخليط والبلبلة والصراع أكثر من تجلية الأمور وتقويمها على الصراط السوى .

٤ — ستضيع الفلسفة فى أمريكا بين مضغة تاريخية انتهت من طول الاجترار الى تفل من (ألياف يابسة) أو بين دفوع جدلية لمساندة قضايا خاسرة (خاسرة بالنسبة للعلم الطبيعى) أو بين شكليات أكاديمية منهجية مجدة ، الا اذا استطاعت على نحو ما أن تستحضر فى الوعى والاملاء حاجة أمريكا الخاصة بها وما تتضمنه من مبدأ ذاتى للعمل الناجح الموفق .

٥ — ان ما كانته الفلسفة — لا وعيا — دون أن تعرفه أو تقصده ومداورته ومخافته ، ومن وراء ستار — ينبغى ، من ثم ، أن يكون مجاهرة وصراحة وعامــدا .

فاذا سلمنا بأن الفلسفة — تحت ستار الاهتمام بالحقيقة النهائية ، المطلقة — انما شغلت نفسها بالقيم النفسية المطمورة فى التقاليد الاجتماعية ،

(٣) In The Creative Intelligence : Essays in The Pragmatic attitude (a symposium).

(٤) Ibid.

(٥) Reconstruction in Philosophy.

وبأنها انبثقت من تصادم غايات وأهـداف اجتماعية ، ومن صراع بين نظم موروثة مع اتجاهات معاصرة لا تتفق معها ، اذا سلمنا بذلك فسيتضح لنا أن مهمة فلسفة المستقبل هى بلورة أفكار النـاس وتجليها بالقياس الى النزاع والكفاح والجهاد الاجتماعى والأخلاقى الراهن فى زمانا المعاصر . وعلى هذا فان هدفها يصبح — وبقدر ما يكون ذلك ممكنا الى أقصى حد مستطاع -- انسانيا ، أداة ووسيلة لمعالجة هذه الصراعات .

٦ — ان الوظيفة المميزةللفلسفةومشاكلها ومادتها الخاصة بها تنبجس من الضغوط والتوترات والـكظوم الماثلة فى حياة الجماعة التى تنجم منها فلسفة معينة لها خصائصها وملامحها المميزة ، وبناء على ذلك فان مشاكلها الخاصة تختلف باختلاف التغيرات الحازمة فى الحياة الانسانية ، والتى هى دائما مستمرة ، والتى هى فى بعض الأوقات تشكل أزمة ونقطة تحول فى التاريخ الانسانى .

وفى ميـدان الفلسفة اليوم — لا يوجـد كثيرون ممن يبدون ثقتهم بقدرتها على معالجة القضايا الجدية الراهنة على نحو كاف واف .

ويتجلى فقدان الثقـة فى الاهتمام بالوسـائل والطرائق واستيعاب أنظمة الماضى ودرسها « بالتدرج » .

وكلا هذين الاهتمامين لهما ما يسوغهما على نحو ما ، بيد أنه بالقياس الى الاهتمام الأول فان طريقـة اعادة البناء ليست فى أن ينصب الاهتمام على الشكل على حسـاب المحتوى الجوهرى كما هـو الشأن فى حالة الطرائق التى لا تسـتعمل الا لتطـوير وتجـويد مزيد من المهـارات الشكلية البحتة . أما بالقيـاس الى الاهتمام الثانى فالطريقة ليست بالتبحر واللوذعيـة الأكاديمية فى دراسة الماضى الذى لا يلقى ضوءا على القضايا والمسائل التى تقلق بال الجنس البشرى الآن .

---

(٦) Introduction to the 1948 edition of Reconstruction in Philosophy.

وليس ثمة مبالغـة فى القول بأنه ما دام الاهتمـام بهـذين الأمرين المذكورين آنفـا هو الغالب فان انسحاب الفلسـفة من مسرح الأحداث الحاضر — والذى أصبح من العـلامات البارزة بشكل آخذ فى الازدياد فى الفلسفة — هو فى حد ذاته لعلامة على مدى التخبط والقلق وعـدم الاستقرار والحيرة التى تميز النواحى الأخرى لحياة الانسان . بل وفى وسعنا — حقا — أن نذهب الى أبعد من ذلك ونقـول ان مثل ذلك الانسحاب هو مظهر واحد من أعراض عيوب ونقص وعجز تلك النظـم الماضية بالذات التى جعلتها قليلة القيمة والنفع بالنسبة لشئون الحاضر المضطربة — ألا وهى الرغبة فى تلمس ركيزة ثابتة ودعامة راسخة بحيث تهيىء للناس ملاذا آمنا ومرفأ مضمونا .

ان المشاكل التى ينبغى أن تعالجها فلسفة مرتبطـة بالحاضر هى تلك المشاكل الناجمة من التغيرات المستمرة بسرعة آخذة فى الازدياد على نحو موصول ، والتى تشمل مدى انسانيا جغرافيا آخذا فى الازدياد ، والتى يزداد عمقها عمقا ونفاذها نفاذا بشكل لم يسبق له مثيل من قبل .

٧ — الفلسفة الحديثة على اعتبار أن هذا الاصطلاح يفهم منه أن تلك الفلسفة التى تأثرت ببزوغ العلم الطبيعى الحديث تحتوى فى باطنها قسما داخليا — فلقد حاولت أن تجمع من يقبل نتائج البحث العلمى فيما يتعلق بالعالم الطبيعى ، ومن يقبل التعليم والمذاهب والعقائد المختلفة عن طبيعة العقـل والمعرفة التى نشـأت قبـل أن يوجـد أى شىء يسمى البحث التجريبى المنظم .

وبين الاثنين يوجد تناقض وليد ذاته ، فلا سبيل الى تلاقيهما .

٨ — الفلسفة ليست طريقا خاصا يؤدى الى شىء أجنبى وغريب عن

(٧) The Quest for Certainty.

(٨) Construction and Criticism.

العقائد العادية والمعرفة والسلوك واللذة والألم ، وانما هى — بالأحرى — نقد واستعراض فاحص لهـذه الأشياء البادية الدارجة المألوفة بالذات . وهـذا النقد لا يختلف عن غيره من النقود الا فى كونه يحاول أن يذهب الى أبعد منها ، وأن يتابع الفحص منهجيا .

لقد فكر الناس قبل أن يكون هناك منطق (فى مفهومه الاصطلاحى) وحكموا على الأمور بالصواب والخطأ ، والخير والشر ، قبل أن يكون هناك علم للأخلاق .

وقبل أن يوجد على الاطلاق ما يسمى الميتافيزيقيا كان الناس ملمين بالفروق بين الحضيض الواقعى وغير الحقيقى اللاواقعى فى الخبرة ، وكانوا على دراية بحقيقة أن السبل والعمليات سواء أكانت خاصة بالطبقة المادية أم بالطبقة الانسانية ، لها نتائج ، وأن النتائج المتوقعة والمرغوب فيهـا غالبا ما لا تحدث ؛ لأن عملية ما ، أو سـبيلا ما ، اعترض طريق مجرى من الأحداث على نحو ما .

بيـد أن هناك تخبطا وصراعا وابهـاما وغموضا والتباسا وتناقضا فى خبرتنا بالموضوعات المألوفة الدارجة ، وفى معتقداتنا وتوقعاتنا وتطلعاتنا ومآربنا المرتبطة بها .

وبمجرد ما يحاول امرؤ أن يورد التحديد البات ، ويشيع الوضوح والابانة ، ويدخل النظـام والتنسيق على أى مدى واسع يتميز بالشمول والاحاطة — فانه عندئذ يضع قدمه على أول الدرب المفضى الى الفلسفة .

٩ — انه لأمر دال على موات الخيـال الذى يدعـو للرثاء — أن يفترض أن الفلسفة سـتظل تدور أبد الآبدين فى فلك المشكلات والنظم التى خلفها لنا تراث ألفى عام من التاريخ الأوروبى .

---

(٩) "From Absolutism to Experimentalism" in Contemporary American Philosophy. II (a Symposium, ed. by G.P. Adams and W.P. Montague).

ثمة مهمة رئيسية لأولئك الذين يدعون أنفسهم فلاسفة بأن يبذلوا قصاراهم فى تقديم العون للتخلص من الركام وسقط المتاع «الكراكيب» العديمة النفع التى تسد الطريق أمام تفكيرنا ، ويحاولوا أن يمهدوا ويفتحوا الطرق المفضية الى المستقبل .

١٠ — الفلسفة ، كالفن ، تتحرك فى وسيط « بيئة » العقل المتخيل .

١١ — ما زال أمام الفلسفة عمل تنجزه — ففى وسعها أن تكسب لنفسها دورا بأن يتحول تجاه النظر فى السبب فى كون الانسان أصبح الآن غريبا جدا عن الانسان وفى وسعها أن تمضى تلقاء استنباط وتصميم فروض شاملة سخية مسماحة — بحيث اذا استعملت كخطط وتدابير للعمل ، تعطى توجيها فكريا للناس الذين يتلمسون السبل لجعل العالم — عالما أكثر قيمة ومغزى وأكثر بساطة وايلافا ومودة وسكنا وسكينة — فى الواقع من أمره .

فليس ثمة ناحية من نواحى الحياة ، التربوية والاقتصادية والسياسية والدينية ليس فى وسع البحث أن يعاون ويؤازر فى ميلاد ذلك العالم الذى قال عنه ماثيو ارنولد بحق انه لم يولد بعد .

وليس فى مقدور الفلسفة أن تتوق الى أداء أفضل وأقوم سبيلا من أن يقوم بدور القابلة فى هذا الصدد — وهو الدور الذى عينه لها سقراط منذ ألف وخمسمائة عام .

انظر أيضا : الحضارة (٤) — المادة (٢) — الموضوعات (٢) — الفلاسفة — العلم (٧) .

الفن : Art :—

١ — ان أعمال الفن هى الوسائل الوحيدة للبلاغ الكامل غير المعوق بين الانسان والانسان الذى من الممكن أن يحدث فى عالم زاخر بالفتوق

(١٠) Art as Experience.

(١١) Problems of Men.

(١) Art as Experience.

والسدود والقبول التى تقيد اشتراكية الخبرة وتسد منافذ الاتصال المشترك للجماعة الانسانية .

٢ — لكون أعمال الفن تعبيرية — فهى لغة . أو بالأحرى فهى عدة لغات . ذلك لأن لكل فن وسيلة ووسيطا ، وهذا الوسيط يتناسب بصفة خاصة مع كل نوع من أنواع الاتصال والبلاغ والتعبير .

ومن ثم فان كل وسيط — يعبر عن شيء — بلغته على نحو لا يمكن الافصاح عنه بنفس الجودة والاكتمال — بأى لسان آخر .

٣ — ان الفنون التى تهم الشخص العادى فى المتوسط — اليوم والتى تعتبر فى غاية الحيوية بالنسبة اليه هى الأشياء التى لا نأخذها على أنها فنون : مثل السينما وموسيقى الجاز والمجلة الفكاهية ، ويلحق بهذه أيضا — فى الأغلب الأعم ما يملأ أعمدة الصحف من أخبار الغرام — وما يشوبها من فضائح وقبائح ، وأحداث الجرائم واللصوص وقطاع الطرق وغزوات الأفاكين .

وحيث ان ما نسميه فنا — يقبع فى المتحف والمعرض — فليس ثمة مفر من أن يلبى حافزا لا سبيل الى تلافيه يدفعه الى تلمس الخبرات الممتعة فى ذاتها — حينما تتوافر له فى بيئته اليومية ، وحينما تكون فى متناول يده ، تلك ضربة لازب .

ان كثيرا من الأشخاص الذين يحتجون على المفهوم المتحفى للفن — ما زالوا يشتركون فى نفس الخطأ الذى نشأ عنه المفهوم . ذلك أن الفكرة الشائعة مردها الى فصل الفن عن الأشياء والمشاهد والأحداث القائمة فى الخبرة العادية للناس التى يفاخر كثير من أصحاب النظريات والناقدين بأنهم يرونها ويمسكون بها بل ويتقنون صنعتها .

---

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.

٤ — لابد وأن تكون هنـــاك أسباب تاريخية للمفهوم الانفصالى للفنون الجميلة ، فمتاحفنـــا الراهنة ، ومعارضنا الفنية — التى تتدفق اليها كل أعمال الفن الرفيع ثم تحفظ هنـــاك وتصان — توضح بأجلى بيان بعض الأسباب التى أفضت الى عزل الفن بدلا من أن يكون خـــادما وتابعا وملازما للمعبد والســـاحة الشعبية وغيرهما من مجـــالات الحياة المشتركة .

واذا أردنا كتابة تاريخ تعليمى للفن الحـــديث ففى وسعنا أن نفعل بالقيـــاس الى تكوين المؤسسات والنظم الحـــديثة للمتاحف والمعارض الفنية — باعتبارها المصدر والمرجع الوحيد لكتابة ذلك التاريخ .

ولا جناح علىّ فى هـــذا السياق أن أشير الى عدد قليل من الحقائق البـــارزة .

فمعظم المتاحف الأوروبية — الى جانب أشياء أخرى — لا تزيد عن كونها آثاراً تذكارية للحركات القوميـــة والتوسع الاستعمارى . فلابد أن يكون لكل عاصمة أو قصـــبة متحفهـــا الخاص بها للوحات الفنية والتماثيل المنحوتة الخ .. الخ والتى تستهدف — جزئيا — استعراض عظمة ماضيها الفنى ، وجزئيـــا استعراض الغنائم والأسلاب التى نهبها ملوكهـــا وجمعوها من غزوهم للأمم الأخرى . ومن أمثلة ذلك أكداس الغنائم والأسلاب التى جمعها نابليون المعروضة فى متحف اللوفر وهى تشـــهد بالعلاقة بين الانفصال الحـــديث للفن وبين القومية والأمجاد العسكرية .

٥ — ان أى عمل من أعمال الفن مهما كان قديما أو كلاسيكيا هو فعلا — وليس مجرد احتمال أو ممكن — عمل فنى فقط عنـــدما يعيش

---

(٤) Art as Experience.

(٥) Ibid.

فى خبرة فردية على نحو ما . فهذا العمل سواء أكان قطعة من المهرق أو الرخام أو الخيش — فانه يظل محتفظا بذاتيته طوال العصور ولكنه فى نفس الوقت — كعمل فنى — يخلق خلقا ثانيا فى كل مرة يحس به احساسا جماليا كخبرة .

٦ — ثمة صراع يكابده الفنانون أنفسهم ويتميز بكونه صراعا ذا صبغة تعليمية بالقياس الى طبيعة الخبرة المستحيلة الابتداعية وهو أمر يتعلق بطبيعة التعارض بين الرؤية الباطنية والرؤية الخارجية .

فهناك مرحلة تبدو فيها الرؤية الباطنية أكثر خصوبة وغنى ورقة من من أى تغيير أو مظهر أو افراز خارجى ؛ ذلك أن للرؤية الباطنية فوحة لها دغدغة أو رعدة شاملة محيطة تلف كيان الفنان برمته ، وذات مضامين غير موجودة فى موضوع الرؤية الخارجية .

وهذه الفوحة الباطنية أكثر عمقا وأبعد غورا وأعمق ادراكا وفهما مما فى وسع الموضوع الخارجى أن ينقله ، ثم بعد ذلك يأتى رد فعل بحيث تبدو مادة الرؤية الباطنية كما لو كانت شبيهة بالطيف اذا ما قورنت بصلابة وقوة ومقدرة المشهد الماثل . فموضوع الرؤية الخارجية قادر على أن يثير احساسا ملموسا مدبج العبارة « يقول » شيئا وجيزا وقويا ، فى حين أن الرؤية الباطنية تفصح عنه على نحو مهم فى شعور منتشر يشيع فى أرجاء الاحساس بدلا من أن يكون عضويا .

ومن ثم فان الفنان مسوق الى تسليم نفسه بتواضع ووداعة الى نظام الرؤية الموضوعية .

ولكن الرؤية الباطنية لا تنبذ نبذ النواة ، وانما تظل بمثابة الوسيلة التى تضبط الرؤية الخارجية وتتخذ لها تركيبا ووضعا فى الوقت الذى تمتص الرؤية الخارجية فى باطنها وتندغم فى طياتها .

---

(٦) Ibid.

والتفاعل بين منوالى الرؤية هو الخيال .

وعندما يأخذ الخيال شكلا وهيئة ، تتم ولادة العمل الفنى .

٧ — اننا لا نستطيع أن ننفذ الى لب العمل الفنى ونستجلى كنهه استجلاء تاما الا اذا مررنا أنفسنا فى سبلنا الحيوية — لأنها السبل والعمليات التى مر بها الفنان فى انتاجه للعمل الفنى . وانها لميزة يتمتع بها الناقد فى كونه يشارك ويسهم فى ترويج وترقية هذا السبيل الناشط .

انظر أيضا : الثقافة (٢) — المنطق (١) — الفعل (١) — الامكان (٢) ، (٣) — العلم (٥) — الروح .

الفهم : **Understanding :—**

١ — ان الكائن الذى لا يستطيع أن يفهم مطلقا — هو على الأقل فى حمى من سوء الفهم .

٢ — كل امتداد للذكاء كطريقة عمل ومنهاج أداء يوسع دائرة الفهم المشترك .

وقد لا يضمن الفهم الاتفاق التام ، ولكنه يعطى الأساس الوحيد للاتفاق الباقى .

وعلى أية حال فحيث يوجد اختلاف فانه سيفضى الى الاتفاق على الاختلاف والى التسامح المتبادل والمشاركة الوجدانية ، والتعاطف ريثما تتوافر المعرفة الكافية الوافية والسبل الأفضل للحكم على الأمور .

٣ — ما الذى يعود على المرء بالنفع اذا كان يفعل هذا الشىء

---

(٧) Art as Experience.

(١) How we think.

(٢) In The Educational Frontier (a symposium ed. by W.H. Kilpatrick).

(٣) Education To day (ed. by J. Ratner).

أو ذاك أو غيرهما — مبينا — ما لم تكن عنده فكرة واضحة عن السبب فى كونه يفعلها ؟

٤ — يتعين أن يكون الفهم فى حـــدود كيف تعمل الأشياء ؟ وكيف نعمل الأشياء ؟ فالفهم — بطبيعتـــه ذاتها مرتبط بالعمل وبالأداء تماما ، كما أن المعلومات بطبيعة ذاتها — منفصلة عن العمل أو مرتبطة به فقط هنا وهناك بالمصادفة .

٥ — ان الفهم ليس حرا فى اصـــدار الحكم فى أى معنى تعسفى للحرية . فلكى ندرك المعرفة وننالهـــا ينبغى لنا أن نحكم أو نفهم بطرق محتمة لابد منها ، والا فلن نتـــال معرفة الموضوعات وانما نحصل فقط على أوهام ومزاعم شخصية .

انظر أيضا : الاعتقـــاد (٤) — المجتمع (١) — الانســـان (٢) — سعة الأفق (٣) — العلم (٤) .

---

(٤) Problems of Men.

(٥) Ibid.

ق

القانون : **Law :—**

١ — من الحقائق العمليــة — المسلمة الآن ... أن الانسان هو صانع القوانين بدلا من أن يكون صنيعة لها .

٢ — ان القانون من أكثر النظم البشرية محافظة على القديم بيد أن القانون يتغير — عن طريق الأثر التراكمى للتشريع والقرارات القانونية ، أحيانا ببطء وتراخ ، وأحيانا بسرعة واندفاع .

والتغييرات الحادثة فى العــلاقات الانسانية الناجمة من التغييرات الحادثة فى النظم القانونيــة والصناعية ينتابها رد فعل فيعدل الطرق التى تفصح بها الطبيعة الانسانية عن نفسها — وهذه العملية تحدث بدورها مزيدا جــديدا من التغييرات فى النظم والمؤسســات على نحو موصول — وهذه السلسلة تمضى — الى مالا نهاية .

انظر أيضا : الحكم — المثل العليا (١) — العلاقات الدولية (٢) .

قانون الطبيعة : **Law of Nature :—**

١ — ان الفكرة القائلة بأن القوانين تحكم ، والقوى تملك ، راسب متخلف من عبارة الطبيعة .

---

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) Problems ofMen.

(١) The influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

انها حصيلة تفسير الطبيعة بالقياس الى السياسة لكى تلف وتدور ، ثم بعد ذلك تفسير السياسة فى ضـوء العقوبات المزعومة للطبيعة .

٢ — ان فكرة القـانون تتغير ، فهى لم تعـد شيئا يحكم الأشياء والأحداث من فوق — من عَل — وانما هى التعبير عن نظامها نفسه .

٣ — ان فكرة السـيادة الشاملة لحكم القـانون — القائم على الخواص الثابتـة المتولدة ذاتيا فى الأشياء ويتميز بطبيعـة معينة بحيث يكون قادرا على الصـياغة الحسـابية المضبوطة — هذه الفكرة كانت فكرة سامية .

لقد زحزحت الى غير رجعة فكرة عالم — صاحب الكلمة الأخيرة فيه قوى لا يمكن تعليلها أو سلطات خفية مبهمة . عالم تقحم فيه نفسها على الدوام . ولقد أرست المثل الأعلى للاطراد والتناسق والوحدة ليحل محل العرضى والفجائى والمشتت وزودت النـاس بالالهام والتوجيه فى البحث عن عناصر الاطراد والتناسق والثبات حيث لم يكن يختبر ويمارس سوى الاختلاف الشاذ غير القياس فحسب .

ثم امتـد المثل الأعلى من عالم الجماد الى عالم الأحياء ، ومن ثم الى الشئون الاجتماعيـة ولا جناح علينا من القول منصفين — انه أصبح من الايمان الرئيسى فى عقيدة العلماء .

٤ — القوانين ذات خصيصة استيعابية — وليدة ذاتها — كما يتجلى فى حقيقة أنه يمكن تثبيت اما الحالة واما السرعة بالارادة .

وتسميتها اسـتيعابية ليس معنـاه القول بأنها « عقلية » تعسفية فحسب ، وانما المقصود القول بأن القوانين علاقات تفكر وتستوعب — وليست تلاحظ .

(٢) Essays in Experimental Logic.

(٣) The quest for Certainty.

(٤) Ibid.

والمادة التى تتألف منهـا المدركات التى تشكل القوانين — ليست مادة تعسفية لأنها تتقرر بوساطة تفاعلات ما هو موجود .

٥ — ان هدف العلم هو القانون .

وأيما قانون يصبح كافيا وافيا — بالدرجة التى يأخذ شكل — ان لم يكن معادلة فعلى الأقل صيغة قاعدية ذات ثبات ، ذات علاقة ، ذات نظام ونسق .

ومن الجلى أن أى قانون — سواء أتقرر فى صيغة نظام أم فى صيغة معادلة — يحمل ، فى حـد ذاته ومن حيث هو ، ليس حقيقة ذات طابع فردى ، وانما يحمل علاقة معينة وارتباطا خاصا بظروف وأحوال .

انظر أيضا : الطبيعة (١) .

القدر : Fate :—

١ — ما أقدر الانسـان — لو أنه يمارس فقط الشجاعة المطلوبة والذكاء والجهد اللازم لتشكيل مصيره .

ان الظروف المادية لا تشكل حواجز لا تقهر ، أو عوائق لا يمكن التغلب عليها .

القراءة : Reading :—

١ — كون شخص يستطيع أن يتعلم القراءة تعليما كافيا وافيا ، ومع ذلك لا يتكون عنده ذوق أو تذوق لقراءة الأدب الجيد ، أو لا تثار فيه استطلاعات مشغوفة تفضى به الى تطبيق قدرته على القراءة لكى يستكشف ويجوب آفاقا وميـادين خارج ما جرى العرف على تسـميته بالمـادة

---

(٥) Problems of Men.

(١) Reconstruction in Philosophy.

(١) The Sources of a Science Education.

الصالحة للقراءة — هذا كله — بلا ريب — من حقائق التجربة التى تنضح بالأسى وتثير الشجون .

ان تعلم القراءة قد ينتج عبيد كتب والف أسفار ، أطفال — كالفيران يلتهمون كل شيء ولكن على حساب انماء قدراتهم ومهاراتهم الاجتماعية والاجرائية .

ومن ثم فان مسألة ما يتعلم المرء أنيقرأه مسألة مرتبطة ارتباطا معقدا بمسألة كيف يتعلم أن يقرأ .

ومن سوء الحظ ، تدل التجربة على أن الطرائق المستعملة لاحداث واتناج — بأسرع ما يمكن وبأقدر ما يمكن — مهارات القراءة (أو الكتابة أو العد) فى معناها الضيق بمعنى القدرة على التعرف والنطق ورص الكلمات — هذه الطرائق لا تعنى فى نفس الوقت بتكوين الاتجاهات المصاحبة التى تقرر الفوائد والاستعمالات التى تستغل فيها القراءة لكى تؤتى أكلها .

القوة : **Power :—**

١ — ان الحماقة الطاغية التى تبتلى بها الآلهة أولئك الذين يتقرر تعذيبهم وهلاكهم ، هى بالضبط نفس الاغراء الذى يقوى من يملك قوة حربية استراتيجية معاصرة لكى يجعل هذه القوة دائما فى حوزته .

٢ — لقد زادت سيطرة القوة الانسانية على الطاقات والقوى المادية للطبيعة زيادة فاحشة .

وفى المائلة الأخلاقية فان سيطرة الانسان على الطبيعة المادية ينبغى أن تستخدم لكى تقلل وتمحو تدريجيا وعلى نحو موصول سيطرة الانسان على أخيه الانسان .

---

(١) Characters and Events

(٢) Freedom and Culture.

فبأى الوسائل سنحول دون استخدامها لاصطناع أجهزة جديدة أكثر مكرا ونكرا ودهاء وخبثا وعنتا لاخضاع الناس لغيرهم من الناس ؟

فى هذا السؤال تكمن كلتا قضية الحرب أو السلام بين الأمم وقضية مستقبل العلاقات الاقتصادية لسنين وأجيال مقبلة ، فاما أن تسهما فى اقرار الحرية الانسانية ، واما أن تقضيا عليهما قضاء مبرما يفضى الى العبودية والذل . وليس ثمة ريب فى أن زيادة القوة — التى لم تكن تراود الأحلام منذ قرن مضى — والتى لا سبيل الى وضع حد لاستمرار زيادتها ما دام البحث العلمى ماضيا فى طريقه — ليس ثمة أدنى ريب فى أن هذه الحقيقة قد أصبحت أمرا واقعا . أما الشىء الذى مازال غير مؤكد فهو ما سنفعله بهذه القوة .

٣ — ان حيازة القوة الفعالة هى دائما مسألة توزيع القوة الموجودة وقت حيازتها .

ولعل تشبيها من المجال المادى يتكفل بتوضيح ما أعنى ؛ فالماء ينحدر بشدة من أعلى ، والتيارات الكهربية تتدفق بسبب اختلاف الطاقات والقوى .

فاذا كانت الأرض مسطحة فالماء يكون راكدا .

واذا كانت على مستوى البحر فثمة موج مندفع متلاطم ، والسبب فى ذلك أن هناك قوة أخرى تفعل فعلها — وهى الرياح التى يتقرر مصيرها فى نهاية الأمر بالاختلافات والفروق الموجودة فى توزيع درجة الحرارة فى الأماكن المختلفة ولا يوجد شىء — مادى — كمظهر للطاقة أو القوة النافذة المفعول الصادرة من شىء الا فى ارتباط وعلاقة مع طاقة صادرة عن أشياء أخرى كمظهر لها ولا يمكن أن يكون هناك شىء مثل حرية أو قوة فعالة لفرد أو جماعة أو طبقة الا فى علاقات وارتباطات مع

Problems of Men. (٣)

الحريات والقوى الفعالة لأفراد آخرين وجماعات أخرى وطبقات أخرى .

ومن ثم فان المطالبة بالاحتفاظ بالقــوى التى هى فعــلا موجودة من قبل فى يد جماعة معينــة معناها — أن أفرادا — آخرين وجماعات أخرى ستظل تملك فقــط القــدرات والمناشط التى هى فعلا موجودة لديها من قبل .

والمطالبة بالمزيد من الســلطة والقوة عن نقطة معينة ، معناها المطالبة بالتغيير فى توزيع القوى ، أى بالحد والتقليل من القوة فى مكان آخر . وعلى هذا فانك لا تستطيع أن تناقش أو تقيس حرية فرد ، أو جماعة من الأفراد دون أن تثير ســؤال تأثير ذلك فى حرية الآخرين — أكثر ممــا تستطيع قياس منسوب المــاء فى أعاليه دون قياس اختلاف المناسيب والمستويات .

انظر أيضا : السلطة (٢) — الشئون الانســانية — المعرفة (٦) — الخيار (٤) — الآلة (٣) — الانسان (٢) .

القيادة : Leadership :—

١ — لقد عانى العــالم وكابد من القــادة والسلطات أكثر بكثير مما عانى وكابد من الجماهير والكافة .

انظر أيضا : الديموقراطية (١٠) .

القيــمة : Value :—

١ — لقد فات العلم المادى — مؤقتا فقط — وسبق العلم النفسى بأشواط كبيرة — لقد سيطرنا على المادة بأجهزتها وأدواتها بشكل كاف يتيح لنا انتاج خيرات ممكنة ولكننا لم نكسب معرفة بالظروف والأحوال

---

(١) The Public and Its Problems.

(١) The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

التى بوســاطتها تصبح القيم الممكنة حقيقــة واقعة فى الحياة ، ومن ثم فما زلنا تحت رحمــة العادة والمصــادفة — كيفما اتفق — وعلى ذلك تحت رحمة القوة .

٢ — لفظ « القيمة » له معنيان مختلفان تمام الاختلاف فهو من جهة يدل على موقف الاعتزاز بشىء وايثاره على اعتبار أنه ثمين ونفيس من أجل ذاته — فى جوهره بحد ذاته .

وهــذا اسم لخبرة كاملة أو تامة . فتقدير قيمة الشىء فى هذا المعنى — يفيد التذوق والاعتداد بالشىء واعتباره من أن لفظ قيمة من جهــة أخرى — يعنى التقويم بمعنى عمل عقلى مميز — قوامه المقارنة والحكم . وهذا يحدث عنــدما تكون الخبرة المباشرة الكاملة مفتقرا اليها وينجم سؤال : أى من الممكنات المتعددة فى موقف ما هى الجديرة بالتفضيل ابتغاء الوصول الى التحقيق الكامل أو الخبرة الحيوية .

٣ — ان القيم مزعزعة مقلقلة كأشكال السحب سواء بسواء .

٤ — لا توجد قيمة الا اذا كان هناك اشباع وحظوة ، ولكن لابد من الوفاء بشروط معينة لتحويل الاشباع أو الحظوة الى قيمة .

فالقيم قد ترتبط ارتباطا — وليد ذاته — بالهوى أو الرغبة أو الميل ومع ذلك فليس بكل هوى أو رغبة أو ميل وانما بضروب الهوى والميل والرغبة التى هى موضع استصواب وموافقة واستحسان .

٥ — عندى أن المتع ، وموضوعات الرغبات والاشتهاء حالة ظهورها

---

(٢) Democracy and Education.

(٣) Experience and Nature.

(٤) The Quest for Certainty

(٥) A Reply in The Philosophy of John Dewey (a symposium) ed. by P.A. Schilpp).

ليست قيما وانما هى مادة مشكلة — فيها نظر — لبناء وخلق وابتداع القيم — اذا شئت .

٦ — ان القيم التى هى « خارجية » أو « طارئة » أو أدائية يمكن تقدير قيمتها منطقيا لأنهـا ليست سوى وسائل ، وليست غايات فى أى معنى حقيقى .

وكوسائل فان فاعليتهـا يمكن تقريرها وتحديدها بوسائل تتحمل الفحص العلمى . ولكن « الغـايات » التى تخدمها (الغايات التى هى حقيقة غايات) هى مجرد مسائل لما يتصادف أن تحبه أو تكرهه — بدون تعقل — أى من الجماعات أو الطبقات أو الشيع أو الأحزاب أو الأجناس وهلم جرا .

انظر أيضا : النقـد — الثقـافة (١) — الديموقراطيـة (٨) — العقيـدة (١) — الله — العمـل — الفلسـفة (٢) — الامـكان (٢) — الـدين (٨) — المسـئولية (٤) — المجتمع (٣) .

(٦) Problems of Men.

ك

الكلام : **Speech :—**

١ — أشكال الكلام هى أعظم ناقلاتنا ، السيارات الميسرة الحركة والدوران والجرى التى بهـا تنقل المعانى من الخبرات — التى لم نعد نشغل أنفسنا بها — الى أولئـك الذين ما زالوا — بعد — فى منطقة الظلام والتشكك .

٢ — لا وجـود للغـة الا عنـدما ينصت اليها مثلما يتحدث بها . فالمستمع شريك لا غنى عنـه فى هـذه العمليـة المؤلفـة من المتحدث — وموضوع القول — ومن يتحدث اليه .

انظر أيضا : اللغة .

الكلمات : **Words :—**

١ — الكلمات أداة للتفكير عن المعنى الذى تعبر عنه .

٢ — الكلمات ... التى هى معـد الأفكار — تحسب بكل سهولة وراحة — على أنها الأفكار .

٣ — قد تعنى كلمة شـيئا ما فيما يتعلق بنظام دينى ، وتعنى نفس الكلمة شيئا آخر فى التجارة ، وشيئا ثالثا فى القانون ، وهلم جرا .

---

(١) How we think.

(٢) Experience and Nature.

(١) How we think.

(٢) Democracy and Education.

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

وهذه الحقيقة هى برج بابل الحقيقى للاتصال والبلاغ .

٤ — نحن نقول ان الكلمات وسائل لايصال الأفكار ونقلها . ولكن بالقياس الى بعض الموضوعات ... فان الكلمات التى فى حوزتنا لها من الخصائص — أحمال — بحيث تحول دون نقل الأفكار وايصالها . ذلك أنها محملة ومشبعة بضروب من التداعى وألوان من الترابط مشتقة من ماض سحيق فى القدم بحيث انها بدلا من أن تكون أدوات طيعة للتفكير فان أفكارنا تصبح أدوات خاضعة طيعة فى خدمة الكلمات . خذ مثلا معنى كلمات مثل : الروح ، العقل ، النفس ، الوحدة ، أو حتى الجسم ... انها لا تزيد عن كونها خلاصة مختزلة لمحاولات الانسان وجهوده طوال القرون لتفسير خبرته .

وهذه المحاولات والجهود انبثقت بادىء ذى بدء من حالة القرد الشبيه بالانسان .

والتفسيرات والتأويلات التى تضمنتها هذه الكلمات التى انحدرت الينا هى حصيلة الرغبة والأمل ونتاج ظروف عضوية وطوارىء ألمت بالانسان ، وثمرة الجهل ، وغلة السلطة التى باشرها السحرة والكهنة ، مثلما هى ثمرة ونتاج وحصيلة الملاحظة الحاذقة والحكم السليم .

انظر أيضا : اللغة (٤) — الحرب (٢) .

الكمال : **Perfection :—**

١ — ليس الكمال — كهدف نهائى — ولكنه السبيل الموصول لمناهزته بعملية دائمة دائبة من التنقية والانضاج والتصفية . والانضاج هو هدف الحياة .

---

(٤) In Intelligence in the Modern World (ed. by J. Katner).

(١) Reconstruction in Philosophy.

والرجل الطالح هـو الرجل الذى — مهما كان قد بلغ نصيبه من الصـلاح — يبـدأ فى الحؤول والتسفل — فيصبح أقل اصلاحا ؛ أى يصبح شخصا بورا . فى حين أن الرجل الصالح هو الرجل الذى — مهما كان قد بلغ نصـيبه من الفســاد الأخلاقى — يمضى قدما تلقاء بلوغ الصلاح ؛ أى يصبح أحسن وأقوم سبيلا .

ومثل هذا المفهوم يجعل المرء قاسيا فىالحكم على نفسه مقسطا وعادلا ورحيما فى الحكم على الآخرين .

انظر أيضا : الامكان (٤) .

الكون : **Universe :—**

١ — ان تمثل الكون بهيئة كمالية وتسويغه بوجه عام على الاطلاق — اعتراف بالعجز عن التحكم فى مجرى الأمور التى تعنينا بصفة خاصة .

٢ — ان النفس متجهة دائما تلقاء شيء ما يتجاوز حدودها ، ومن ثم فان وحدتها تتوقف على فـكرة تكامل المشاهد والأحداث المتنقلة المتغيرة للعالم فى تلك الكلية التخيلية التى نسميها الكون .

٣ — هيئة التوحيد تعمم بحيث تتجاوز الحدود التى تحـدث فيها بمعنى حسم مواقف معينـة ذات طابع مشـكل ملتغز ، ثم بعد ذلك من المفروض أن المعرفة تتكون من نوال وبلوغ وحدة نهائية تامة الشمول والاحاطة معادلة للكون ككل مطلق .

انظر أيضا : المصادفة — العقل (٤) .

---

(١) The influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

(٢) A Common Faith.

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

ل

اللغـة : **Language :—**

١ — اللغة تشمل أكثر بكثير من الـكلام الشفوى ، والمكتوب ، والايماءات ، والصور ، والنصب التـذكارية ، والأطيـاف البصرية ، وحركات الأصابع — فأى شىء يستخدم استخداما وعيا كرمز أو علاقة هو — منطقيا — لغة .

٢ — كل اللغة وكل الرموز هى أدوات وعدد لخبرة غير مباشرة . وفى اللغة الاصطلاحية ، فان الخبرة المحصلة عن طريقها نفكر . وهى على هذا على نقيض الخبرة المباشرة الفورية — التى نمارسها ونشترك فيها اشتراكا حيويا بصفة أولية بدلا من طريق توسط الوسـائل الممثلة التى تقوم مقامها ؛ فالخبرة المباشرة محدودة جدا .

ولولا توسط الوسـائل — بالوكالة — لكى تمثل الأمور الغائبـة والبعيـدة وتنوب عنها — لكانت خبرتنـا تظل — تقريبا على مستوى خبرة العجماوات .

فكل خطوة من الوحشية الى المدنية تتوقف على اختراع الوسائل التى توسع مدى الخبرة المباشرة الصرف .

---

(١) How we think.

(٢) Democracy and Education.

٣ — ان اللغة لا توجد الا عندما يستمع اليها ويتحدث بها . فالسامع شريك لا غنى عنه .

٤ — وان اللغـة عاجزة جـدا عن محاذاة السطح المدبج المرقش للطبيعة ، بيد أن الكلمات كأدوات وصلة عملية هى الوكلاء القادرة على بلورة التنوع أو التعدد الذى يفوق الوصف ولا ينطبق عليه والقـائم فى الوجود الطبيعى وهو يؤدى وظيفته فى الخبرة الانسانية — والى رتب ونظم ودرجات وطبقات يمكن حصرها وتطويعها .

وليس فقط من المستحيل وجـوب نسخ اللغـة للتنوع اللانهائى للصفات والسمات الأحادية الموجودة — وانما أيضا هو أمر غير مرغوب فيه كليا ولا ضرورة له ، انه يتعين على اللغة أن تفعل ذلك .

فالصفة الفذة القديمة النظر لصـفة ما أو كيف ، رابضة ، فى الخبرة ذاتها — فهى قائمة هنالك وعلى نحو كاف بحيث لا تتطلب اعادة نسخ وازدواجا مكررا فى اللغـة . لأن اللغة تؤدى غرضها العلمى أو الفكرى ما دامت تدلنا على كيفية اصابة هذه الصفات والسمات فى الخبرة .

وكلما كانت الدلالة أكثر تعميما وانبساطا — كانت أفضل وأحسن .

انظر أيضا : الفن (٢) — الأطفـال (٢) — التفـاعل (٢) — الحساب (٣) — العقل (١) — الكلام (٢) .

---

(٣) Art as Experience.

(٤) Ibid.

م

المـادة : **Matter :—**

١ — ان فكرة المادة — كما هي موجودة فعلا فى تجارب العلم — لا تمت الى مادة الماديين بصلة .

٢ — أنا عاجز عن تبيين أى معنى تحمله المادة « والمادية » للفلسفة ، فللمادة معناها المحدد والقابل للتخصيص والتحويل فى العلم المادى وهى تدل على شيء قادر على أن يعبر عنـه فى رموز حسابية تتميز عن تلك الرموز المفسرة والمحددة للطاقة .

وليس من الممكن تعميم المعنى المحدد « للمادة » فى المحتوى من العلم المادى — والى وجهـة نظر فلسـفية — وأقوى اليقين — على سبيل الجزم — فان المادية وجهة نظر فلسفية .

٣ — ليس « للمادة » فى العلم الحـديث أى من الخواص الحقيرة الوطنيـة الوضيعة الهامدة الجامدة التى كانت تخلع عليهـا فى الفلسفة الاغريقية الكلاسيكية وفلسفة القرون الوسطى — وهى خواص كانت بمثابة قاعدة لوضـعها موضع التعارض الشـديد مع كل ما هو سـام ونبيل وعال ...

---

(١) Experience and Nature.

(٢) Reply in the Philosophy of John Dewey (a symposium ed. by P.A. Schilpp) .

(٣) "Antinaturalism in Extremis", in Naturalism and the Human Spirit (a symposium, ed. by Y.H. Krikorian).

ومن العسير أن نجد مسافة أبعد بين أى اصطلاحين أكثر من تلك المسافة التى تفصل بين « المادة » — كما شاعت فى مفهومها الاغريقى وفى مدلولها فى القرون الوسطى ، وبين المغزى الاصطلاحى — المعبر عنه تعبيرا سديدا فى الرموز الحسابية والذى تنطوى عليه الكلمة فى العلم اليوم .

المال : **Money :—**

١ — نحن لا نأكل المال ، ولا نلبسه ، ولا نتزوجه ، ولا نستمع الى أنغام موسيقية صادرة منه . وبعبارة أخرى فان الكسب المالى — فى حد ذاته — هو دائما أدائى بحت . وانه لمن طبيعية هذه الأداة أو الوسيلة أن تكون فعالة بنسبة الحجم .

٢ — اذا تحدثنا بلغة الانثروبولوجية فاننا نعيش فى ثقافة مال ، فماديتنا وتكريس أنفسنا للحصول على المال والاستمتاع بطيبات الحياة والتسلية ليست أمورا قائمة بذاتها ومن حيث هى . وانما هى نتاج وحصيلة لحقيقة أننا نعيش فى ثقافة مال ، والحقيقة أن تدابير حياتنا ووسائلها وتكنولوجيتنا يتحكم فيها عامل الاهتمام بالمكسب المادى الفردى الخاص .

٣ — ان المال الذى ينفق على التربية والتعليم هو استثمار اجتماعى — استثمار فى أوجه الرفاهية والأخلاق والاقتصاد والفكر المقبلة للدولة .

انظر أيضا : الثقافة (٣) — العمل — الأخلاق (١) .

المثل العليا : **Ideals :—**

١ — المثل العليا يستمسك بها لكى تتبع بمثابة معايير يعمل بها ،

---

(١) Human Nature and Conduct.

(٢) Individual, Old and New.

(٣) "Crisis in Education", in the American Teacher, XVII, (1933).

(١) Educational Essays (ed. by J.J. Findlay).

وقوانين لتوجيـــه السلوك ، فاذا أخفقت فى ذلك — لا بسبب عوامل عفوية أو مصادفة — وانما فى حد ذاتها بالقياس الىطبيعتها الجوهرية — فانها تزيد طينة الجمود والهمود بلة .

٢ — اذا استطاع الفلاســفة أن يمدوا يد العون فى أن يوضـــحوا — لعالم مقلقل مضطرب — أن المثل العليا موصولة بالأحداث الطبيعية مستمرة معها وأنها لا تمثل سوى ممكناتها ، وأن الممكنات المحققة المدركة تشكل وســائل لمسلك قد يكفل بلوغها فى الحقيقــة — اذا استطاع الفلاسفة ذلك فانهم يقوون ويدعمون الاحســـاس بالتلبية الاجتماعيـــة والشعور بالمسئولية .

٣ — كل ماثلة ... ترسم فى تصميم أكثر أمانا وأفسح مجــالا وأوفر تماما يفصح عن خــير أو نفع سبقت ممارسته واختباره بطريقة مزعزعة أو عفوية أو عابرة .

٤ — المثل الأعلى هــو ذاته نتاج التبرم بالظروف والســخط على الأحوال .

٥ — حيث ان الغــايات المثالية ترتبط ارتباطا عرضيا وطيفا جــدا بالظروف المباشرة والملحة التى تتطلب انتباها — بعد أن تنال حظها من الهلضمة وشقشقة اللسان فتمرع فى الأفواه — فمن الطبيعى أن الناس يكرسون أنفسهم لخدمة الغــايات المثالية والخضوع لها باللسان فقط .

اذا كانعصفور فى اليد يساوىعصفورين رابضين فى أيكة مجاورة ، فان أمرا واقعا فى اليد يساوى بالقياس الى توجيه السلوك مثلا عليا كثيرة بعيدة جدا لدرجة أنها لا ترى ومنيعة يصعب الوصول اليها .

---

(٢) Essays in Experimental Logic.

(٣) Human Nature and Conduct.

(٤) Ibid.

(٥) The Quest for Certainty.

ان الناس يرفعون علم المثل الأعلى ثم بعد ذلك يتقدمون فى الاتجاه الذى توحى به الظروف القائمة الملموسة والتى يتوقعون منها الجزاء والمنفعة .

٦ — ليس كل من يصيحون منادين : المثل العليا — المثل العليا — بداخلين مملكة المثل الأعلى ، فلن يدخلها الا أولئك الذين يعرفون ويحترمون الطرق المفضية الى تلك المملكة .

٧ — تتغير المثل العليا ابان تطبيقها على الأحوال والظروف القائمة . وهذا السبيل يتحمل ويكابد ويمضى قدما مع حياة الانسانية فما ينجزه امرؤ أو جماعة يصبح ركيزة ونقطة بداية لمن يأتون من بعدهم .

انظر أيضا : الايمان (٢) — الله — الآلة (٢) — الامكان (٢) — الدين (٢) ، (٩) — النظرية (٤) — التفكير (١٢) .

المثير والاستجابة : **Stimulus and Response :—**

١ — ان التفرقة بين الاحساس والحركة على أساس أن الاحساس مثير والحركة استجابة — كل على حدة — ليست تفرقة يمكن اعتبارها وصفية لأى شىء وسع أحداثا نفسية .

٢ — كل مثير يدفع بالنشاط ويوجهه — بيد أنه لا يثيره أو يحركه فحسب ، وانما يوجه خيال الموضوع أو بالعكس ، والاستجابة ليست مجرد رجع أو رد فعل من قبيل الاحتجاج ضد كونها أقلقت أو عكر صفوها — انها كما تدل الكلمة .. اجابة .

---

(٦) Characters and Events.

(٧) A Common Faith.

(١) "The Reflex Arc Concept in Psychology", in the Psychological Review, III (1896).

(٢) Democracy and Education.

فهى تلاقى الباعث وتطابقه وتضاهيه ، فثمة ملاءمة بين المثير والاستجابة بعضهما حيال بعض ؛ فالضوء — مثلا مثير أو حافز للعين لكى ترى شيئا ، وعمل العين هو أن ترى .

فاذا كانت العينان مفتوحتين وهناك ضوء فالرؤية تحدث ، والمثير هنا ليس الا ظرفا أو شرطا لتحقيق الأداء الوظيفى السليم للعضو ، وليس مقاطعة خارجية معترضة .

انظر أيضا : الديموقراطية (٣) — السعادة (١) ، (٦) .

المجتمع : Society :—

١ — ان التربية بالنسبة للحياة الاجتماعية كالتغذية والتناسل والتكاثر بالنسبة للحياة الفسيولوجية سواء بسواء .

٢ — المجتمع كلمة واحدة — ولكنها أشياء كثيرة لاحد لها ولا حصر . فهى تشمل كل الطرائق والوسائل التى يشارك الناس خبراتهم بوساطتها فى تعايشهم وترابطهم واقامتهم لمصالح مشتركة وأهداف وغايات مبتغاة .

٣ — المجتمع هو سبيل من الترابط والمعاشرة والمشاركة والتقارن — بطرق معينة بحيث ان الأفكار والانفعالات والقيم تنتقل وتنفذ فى عمومية مشتركة — مصدرا وسريانا وتطبيقا .

٤ — المجتمع اما أن يكون اسما مجردا ، واما اسم جمع اجمالى ؛ ففى معناه المحسوس المعين ، ثمة مجتمعات ، واتحادات ورابطات وجماعات ذوات أنواع وأشكال ضخمة ، العدد ، ولها روابط وعلاقات ومصالح ونظم مختلفة .

---

(١) Democracy and Education .

(٢ و٣) Reconstruction in Philosophy.

(٤) The Public and Its Problems.

وقد تكون عصابات أو فرقا اجرامية ، أو نوادى رياضية ، أو اجتماعية أو مقاصف للطعام والشراب والطرب ، أو منظمات علمية أو مهنية أو أحزابا سياسية ، أو اتحادات نقابات فى داخلها ، أو أسراً ، أو طوائف أو مللا دينية أو شركات تضامن تجارية وهلم جرا ... الى مالا سبيل الى حصره .

وقد تتألف هذه الاتحادات المجمعة على النطاق المحلى أو القومى أو على الصعيد الدولى بحيث تتجاوز حدود الوطن أو الدولة .

وحيث انه لا يوجد شىء مفرد يمكن أن يسمى « المجتمع » الا فى تداخلاتها وتراكباتها والتحاماتها واندماجها بعضها فى بعض على نحو مطلق ، فلا يوجدتضمن تفريطى تام عديمالكيفية ملازم للفظ «مجتمع» .

على أن بعض المجتمعات — اجمالا — موضع استصواب واستحسان ، والبعض الآخر موضع زراية واستنكار ، ومرد ذلك الى نتائجها وآثارها ونتائجها الأبعد على الآخرين من غير أصحابها .

وكل المجتمعات — مثلها فى ذلك مثل كل الأمور الانسانية — مختلطة فى « الكيف » ؛ بمعنى أن « المجتمع » شىء يتعين استصوابه وتقويمه والحكم عليه حكما ناقدا ومميزا . وعلى هذا فان عملية المؤالفة الاجتماعية بكيفية اجتماعية — على نحو ما — أيا كانت — أى التعديل المنعكس والملاءمة الخاصة بالحاجات والعقائد والعمل بسبب المشاركة فى أداء موحد — أمر لا مناص منه ولا سبيل الى تلافيه . وهى سمة مميزة فى تشكيل وتكوين الأشخاص الطائشين والمتهورين والضالين والمتعصبين وضيقى الأفق والداعرين والمجرمين ، مثلما هى فى تشكيل الباحثين القادرين النابغين وجهابذة العلم والفنانين المبدعين والجيران الطيبين الخيرين .

٥ — ان المجتمع لكى يحل مشاكله الخاصة به ويطب لأسقامه بالدواء الناجع يحتاج الى استخدام العلم والتكنولوچيا لأهداف اجتماعية ، بدلا من مجرد مآرب خاصة . وهذه الحاجة لمجتمع يكون فيه البحث التجريبى والتخطيط لغايات اجتماعية فى حالة التحام عضوى فى مقوماته ، هى أيضا الحاجة الى تربية جديدة .

انظر أيضا : الديموقراطيـة (٣) — الخيـار (١) — التربية (٩) — الحق (٢) — التفاعل (٢) ، (٣) — المدرسة (٤) ، (٥) .

المخ : Brain :—

١ — ان المخ أولا هـو عضو أو جهـاز متميز بنوع معـين من السلوك — ليس هو معرفة العالم .

انظر أيضا : البيئة (٥) — الانسان (٣) — الذات (٤) — التفكر (٩) .

المدرسـة : School :—

١ — منـذ بضع سـنوات كنت أجوس خلال حوانيت الادارات المدرسية فى المدينـة ، علنى أجـد قمطرات ومقاعد موافقة تماما من كل وجهات النظر — الفنية والصحية والتربوية — لحاجات الأطفال .

ولقد وجـدنا صعوبة بالغة فى العثور على بغيتنا ، وأخيرا فاه أحد أصحاب الحوانيت — الذى كان أكثر ذكاء من بقيـة التجار — بهذه الملاحظة — أخشى ألا يكون لدينا ما تريد . انك تريد شيئا يتيح للأطفال أن يعملوا عليه ، فى حين أن كل ما لدينا مقاعد للانصات .

---

(٥) The Educational Frontier (a symposium, ed. by W.H. Kilpatrick).

(١) In The Creative Intelligence : Essays in the Pragmatic Attitude (a symposium).

(١) School and Society.

هـذه الملاحظة توجز قصة التربية التقليدية . كلها مصوغة ومدبرة للاستماع — للانصات — للاستقبال — للتلقى لأن مجرد الاقتصار على دراسة المواد من كتاب ليست سوى نوع آخر من الاستماع — انه علامة مميزة لاعتماد عقل على عقل آخر .

فموقف الاستماع معناه — نسبيا — السلبية والامتصاص والتلقى — وان هناك مواد جاهزة — معدة من قبل — قائمة وراهنة هنالك — أعدها المهيمنون على المدرسة — المدير ومجلس التعليم والمعلم وانه يتعين على الطفل أن يستوعب أكبر قدر منها فى أقل زمن ممكن وفى هذا الوضع — فلا يتوافر للطفل فى قاعة الدرس التقليدية الا أقل قدر متاح — زمانا ومكانا — ليعمل .

فالورشة والمعمل والمختبر والمواد والأدوات والمهمات والعدد والآلات التى تيسر للطالب أن ينشىء ويبنى ويخلق ويبحث — على نحو ايجابى ناشط بل حتى المساحة اللازمة للعمل — هذه كلها — الى حد كبير وفى معظم الحالات — تعانى نقصا وعجزا وافتقارا .

بل ان الأمور التى ترتبط بهذه السبل والعمليات ليس لها مكان أو كيان معترف به على نحو بات حاسم مؤكد فى التربية .

٢ — عندى أن الحاجة الماسة للمدرسة اليوم أساسها الاعتراف المحدود الناصر لمبدأ حرية الذكاء .

وهذا القصور — فى رأيى — يبدو أنه يؤثر فى كلا عنصرى المدرسة : المعلم والطالب ؛ اذ بالنسبة الى الاثنين تخلفت المدرسة عن الحركة الاجتماعية المعاصرة العامة ، وكثير من دواعى السخط والتبرم وأسباب الصراع والاخفاق وخيبة الأمل مردها جميعا الى التباين والتناقض بين نظام المدرسة غير الديموقراطى نسبيا بتأثيره وفعاليته فى عقل كلا المعلم

"Democracy in Education", in the Elementary School Teacher, IV(1903) (٢)

والطالب ، وبين امتداد وشمول ونمو المبدأ الديموقراطى فى الحياة خارج أبواب المدرسة ...

فحتى ينظم جهـاز التعليم العام على نحو يتيح لكل معلم ضربا من السبيل التمثيلى النيابى النظامى الذى يمكن المعلم أو المعلمة أن تسجل حكمها على الشئون التربوية الهامة مع ضمان وتوكيد أن هـذا الحكم — سيكون له مثاليته وأثره — على نحو ما — فى جهاز التعليم ونظامه — حتى يتم ذلك بأوفى ضمانات وحضانات فان الاقرار بأن النظام الراهن — من وجهة النظر الداخلية — ليس ديموقراطيا — يبدو أن له ما يسوغه .

فاما أننا نواجه هنا حالة قصور ذاتى وتجمد للمبدأ الديموقراطى واما أننـا نجد فى هذه الحقيقـة تناقضا واضحا وهوة بينة بين مسلك المدارس وتسيير دفتهـا وبين مسلك الحياة الاجتماعية وتسيير دفتها — وهو تناقض بلغ حـدا كبيرا بحيث يتطلب جهدا موصولا وملحا للاصلاح ووضع الأمور فى نصابها حالا ومباشرة .

وانى لأعلم أنه سيقال ان هذه الحالة — فى الواقع من الأمر — شر ، الا أنها شر لابد منه ، وانه بدونها ستسود الفوضى والتخبط والتشويش ، وان مثل هـذه النظم والتدابير والقواعد الراهنـة هى المصاحبات التى لا مناص منها لأى نظام تعليمى متدرج يقوم على التتابع والتسلسل .

ومما يقال ان المعلم المتوسط ليست عنده الكفاية للاسهام بأى قسط فى وضع المقرر الدراسى ، أو للأخـذ بزمام المبـادرة فى ادخال طرق مستحدثة للتعليم أو النظام .

أليست هذه هى نفس نوع الحجة التى حاول بها المحاولون — منذ كان للعالم وجود — وفى كل نواحى الحياة — ضد تقدم الديمقراطية ؟ ما الذى تعنيه الديمقراطية سوى حتمية مشـاركة الفرد فى تقرير ظروف وأحوال وأهداف عمله ، وانه — اجمالا وبصفة عامة — عن طريق التناغم

الحر المتبادل والتفاعل التعاونى للأفراد المختلفين ، فان آمر الدنيا يستقيم وعمل العالم يحسن أداؤه — على نحو أفضل وأقوم سبيلا مما لو انفرد بتخطيطه وتدبيره وتوجيهه قلة من الأفراد مهما كان حظهم من الحكمة وسداد الرأى ، ومهما توافر لديهم من حسن النية ؟

كيف لنا أن نسوغ ايماننا بالمبدأ الديمقراطى فى كل نواحى الحياة الأخرى ثم نضطهده فى التطبيق عندما تتعرض لشئون التربية ؟

وعلاوة على ذلك فان هذه الحجة تبرهن على الكثير جدا ، وكلما زاد التوكيد بأن هيئة المعلمين الراهنة ليست صالحة لأن يكون لها صوت فى البت فى تقرير الشئون التربوية الهامة ، وكلما كثر التنويه بعدم أهليتهم ولياقتهم لممارسة المبادأة الفكرية والمبادرة العقلية وللاضطلاع بمسئولية العمل الانشائى البنائى الايجابى ... كلما زاد هذا التوكيد وكثر هذا التنويه ، بدا عدم صلاحيتهم وعدم أهليتهم ولياقتهم فى المقدرة على الوفاء بالعبء الذى هو أكثر صعوبة ودقة — ألا وهو مهمة هداية الأرواح وتوجيه النفوس وقيادتها .

فاذا كانت هذه الهيئة غير صالحة وغير لائقة ، فكيف نثق بأن نعهد اليها بأمانة تنفيذ توصيات واملاءات أحكم الحاكمين من الخبراء والجهابذة؟

اذا كان المعلمون عاجزين عن الاضطلاع بالمسئولية الفكرية التى تصاحب تقرير الطرق التى يتعين عليهم استعمالها فى التعليم ، فكيف يتسنى لهم أن يستخدموا الطرق والأساليب عندما تملى عليهم املاء من الغير ، الا على نحو آلى هوائى مزاجى وهدف أخرق ؟

فلأكرر القول بأن حجة المجادلين — تبرهن على الكثير جدا وبالاضافة الى ذلك ، اذا كانت هيئة المعلمين على هذا القدر من الغباوة والفجاجة والقصور وعدم المسئولية — كما تزعم الحجة ، فيقينا — المشكلة الأولى هى مشكلة تحسينهم ورفع مستواهم وانصافهم .

ليس ثمة سبيل الى ابناء هذه اللياقة والكفاية للمشاركة والاسهام الا بالمشاركة والاسهام فى عمل مسئول .

أما الحجة القائلة بأنه يجب علينا أن ننتظر حتى يكون الرجال والنساء قادرين تماما على الاضطلاع بالمسئوليات الفكرية والاجتماعية — فهى حجة كان من الممكن أن تحكم على كل خطوة اتخذت فى الاتجاه الديمقراطى بالبوار والاخفاق والهزيمة .

ان سيادة ورواج وسائل التحكم والاملاء الخارجى وسوق الناس سوقا كما يراد لهم ، من شأنها أن تجنح أوتوماتيكيا الى استدامة نفس الظروف والأحوال من الفجاجة والقصور وعدم الكفاية وفقدان الاهتمام وقلة الاكتراث والعجز عن اتخاذ مواقف حاسمة أو شغل مناصب تتطلب مبادرة ومبادأة — التى تشكل الأسباب المسوغة لحكم الاستبداد والاملاء والتسلط .

٣ — الى درجة لا تتميز بها أية مؤسسة نظامية أخرى — فيما عدا الدولة ذاتها — فللمدرسة قوة قادرة على تعديل النظام الاجتماعى .

٤ — ان ما يتعلم فى المدرسة — هو فى أحسن فروضه — لا يشكل الا جزءا يسيرا من التربية ، وهو جزء سطحى قشرى نسبيا ، ومع ذلك فان ما يتعلم فى المدرسة ، يحدث فروقا وتمييزات مصطنعة فى المجتمع ويباعد بين الأشخاص ويضع بينهم فواصل صناعية ، وبناء على ذلك فاننا نبالغ فى تقدير قيمة تعليم المدرسة اذا قورن بما يحصل ويكتسب فى مضمار الحياة العادى .

٥ — اننا نرسل الأطفال الى المدرسة — على زعم أن يتعلموا بطريقة

---

(٣) Moral Principles in Education (a Monograph, ed. by H. Suzallo).

(٤) Schools of To Morrow (with Evelyn Dewey).

(٥) Ibid.

منظمة منسقة المهن والحرف التى تشكل العيش — ولكن — الى حد كبير جدا — فان المدارس تضرب صفحا — فى طرق تعليمها ومادة دراستها — عن الأساس الاجتماعى للعيش . فبدلا من أن تركز العمل فى المحسوس والملموس ، فى الجانب الانسانى من الأمور فانها تضع اهتمامها فى المجرد — ومن ثم يكون العمل اكاديميا لا اجتماعيا ، وبناء على ذلك لا يصبح العمل مرتبطا بجماعة من الناس كلهم ينهمكون فى مهن ويشغلون أنفسهم بها وانما يصبح معزولا منبتا ، أنانيا ، فرديا ، وهو أمر يقوم على مفهوم للمجتمع لم يعد مطابقا للحقائق .

٦ — تعليمنا لا يربى — اذا كنا نقصد بالتربية عادة مدربة من البحث المميز الفاحص ، والاعتقاد المميز الفاحص ، والقدرة على الغوص تحت سطح طافى الاكتشاف ، وتبين الأسباب والظروف التى تحدد محيط شكل السطح والقوى التى تخلق موجاتها وتياراتها وما تجرفه .

اننا نقرر بأنفسنا وبغيرنا لأننا ليس عندنا تلك الوقاية الباطنية ضد الارجاف والاثارة والانفعال الجامح وسهولة التصديق والآراء المصفحة الدارجة المنمطة التى جرى عليها العرف الشائع — وتلك الوقاية الباطنية المضادة لا يمكن أن توجد الا فى عقل مدرب .

وهذه الحقيقة هى صاحبة القول الفصل فى تقرير النقد الأساسى الذى يتعين توجيهه ضد نظمنا التعليمية السارية ، ضد ما يزيف كنظام للتربية .

فهذا النظام الذى نسميه تربية لا يقتصر فقط على كونه لا يفعل شيئا يذكر فى حقل الذكاء المميز الفاحص حصنا منيعا يقى المرء مغبة الوقوع فريسة لغزو الغش والتدليس ، وانما يفعل الكثير لانماء الحساسية والقابلية السريعة لاكرام وفادتها .

---

(٦) Characters and Events, II.

ويبدو أن هنـاك سببين رئيسيين لذلك السـخف : السبب الأول هو ظاهرة التشبث فى مادة التعلم بدراسات تقليدية لا تمت الى الظروف والأحوال الراهنة بسبب — وهذه المواد التقليدية ، وان اكانت ذات قيمة وجدوى فى زمان سابق ، الا أنها بعيدة جدا عن مشاكل وقضايا وارتباطات الحياة الحاضرة ، بحيث ان ابقاءها حتى اذا كان كافيا وافيا لا يزود الدارس بأى مصدر أو نبع لبصيرة نافذة مميزة ولا بأية وقاية تقيه مغبة الغفـلة وسهولة الانخداع فى مواجهة طوارىء اليوم .

فمن وجهة نظر هذا المعيار للتربية فان جـزءا كبيرا من مادة التعليم الشائعة الاستعمال غير ذات موضوع — ما فى ذلك أدنى ريب .

أما السبب الثانى ، أو بالأحرى الطريقة الثانية التى يغذى بها التعليم عادة عقلية غير مميزة وتجعل المرء فى حالة تلبية لدواعى الغفلة والانخداع — فهى طريقة ايجابية ، قوامها التحاشى المنظم الذى يكاديكون عامدا مقصودا لروح النقد فى معالجة التاريخ والسياسة والاقتصاد .

ثمة اعتقاد ضمنى بأن هذا التحاشى هو الطريقة الوحيدة التى تكفل انتاج مواطنين صالحين .

وكلما مجد المرء تاريخ وطنه ونظمه القومية — بلا فحص ولا تمييز — فى زعم رجال التعليم ، رجحت كفة الاحتمال بأن ناتج المدرسة سيكون وطنيا مخلصا ، ومواطنا صالحا زاخرا بالولاء ، ومسلحا بأقوى عتاد .

والنتيجة الحتمية لذلك هو أن الطلاب يخرجون الى الحياة الواقعية وجعبتهم زاخرة بسذاجة مكتسبة ومصطنعة .

أما المفاهيم التى يقدر لهم أن يكونوها عن حقائق صراعات الحياة ومشاكلها فهذه يلتقطونها مصادفة وعرضا وبدون الحصانات والمناعات المصاحبة للمعرفة الذكية الفاحصة للحقائق وللمناقشة التى لا تحيز فيها ولا تعصب .

فلا غرو اذا أنهم يصبحون لقمة سائغة لـكل ناعق ، وفريسة سهلة للخداع فى مضمار الحياة ، أو يصبح اتجاههم فى الحياة مجرد أسـلوب موات لديمومية التشويش والتخبط والجهل والتعصب وسهولة التصديق الراهنـة .

ما الذى سيحدث اذا تذرع المعلمون بالشجاعة الكافية وتحرروا بحيث يصرون على أن التربية تعنى خلق عقل مميز — عقل يؤثر ألا يخدع نفسه أو يغرر به غيره ؟

من الواضح أنه يتعين عليهم عندئذ أن يغرسـوا عادة تعليق الحكم والارتياب المؤقت والمطالبة بالبينة والشغف باقامة الدليل والاسـتشهاد بالملاحظة بدلا من الالتجاء الى العاطفة والركون الى الانفعال ، وايثـار المناقشة بدلا من التحيز ، والبحث بدلا من التسليم بالدارج أو تمجيـد العرف والشائع . عندما يحدث ذلك فستصبح المدارس مراكز الطليعة الخطيرة لحضارة انسانية كريمة خيرة ، ولكنها أيضا ستبدأ فى أن تكون العرف والشائع . عنـدما يحدث ذلك فستصبح المـدارس مراكز الطليعة ألذ الأماكن وأشهاها بدرجة فائقة .

٧ — كما أن المدارس اضطرت استجابة للظروف والأحوال الواقعية أن تكون غير طائفية فى الدين ومن ثم اضطرت الى تحاشى القضايا الهامة حول علاقات العلم المعاصر والمعرفة التاريخية ومقامها بالقياس الى العقائد الدينية التقليدية ، فكذلك جنحت لأن تصبح بلا لون (سادة) — لكونها حيادية — فى معظم المسائل الجوهرية الاجتماعية الراهنة .

والنتيجة العملية هى ضرب من الرضا العديم التمييز ، وايثار العـافية حيال الظروف والأحوال الحقيقية فى الواقع من الأمر ، بيد أن الشر يغوص الى أعمق من انتاج شرم بين النظرية والتطبيق وخلق عدم واقعيـة مقابلة فى النظرية .

In the Educational Frontier (a Symposium ed. by W.H. Kilpatrick). (٧)

ان مشروعاتنا التربوية تترك بدون اتجـــاه موحد ، وبدون الغيرة والحماسة اللتين تتولدان عندما ترتبط المناشـــط التربوية ارتباطا عضويا بهدف اجتماعى غالب وعقيدة جياشة .

ذلك أن هذه المشروعات عندما تفتقر الى توصية يدفعها بمثل عليـــا اجتماعية محدودة واضحة المعالم ، فانها تصبح ضحية جماعات خاصة ذات نفوذ ضاغط ، وتصبح تحت رحمة مصالح خاصة مثار منازعة ومناقشـــة ولعبة يتلهى بها أصحاب البدع « الموضات » الفكرية العابرة ، ودمى تلعب بها الشخصيات المتسلطة من أصحاب الحول والطول ممن يبهرون الناس — ولو لوقت محدد — بأفكارهم الخاصة التى لا تجدى فتيـــلا ، وأدوات سلبية لتقاليد آبقة ممسوخة ، وهذه المشروعات تمد الطلاب بالوسائل الفنية المعينة على تحقيق هذه الأغراض التى هى من صنع الظروف الخارجية — وفى نهاية المطاف لا تؤتى أكلها فى تـــكوين الرغبات والميول والأغراض الأساسية التى تقرر وتحدد المناشط الخاصة .

٨ — حتى فى قاعة الدرس بدأنا نتعلم أن التعليم الذى ينمى الذكاء وينضج الخلق لا يحدث عندما يكون الكتاب المقرر فقط هو صاحب الكلمة العليا ، وعندما يكون المعلم فقط هو صاحب القول الفصل الذى لا معقب لحكمه ، وبدأنا ندرك أن الفرد لا يصبح مربّى الا اذا توافرت له الفرصة ليسهم بشىء من خبرته مهما كان نصيبه من الخبرة القبلية نحيلا ضـــئيلا فيما سلف من حياته ، واننا أخـــيرا بدأنا نفهـــم أن التثقيف والتوعية والاستنارة منوطة بالأخذ والعطاء وبتبادل الخبرة والأفكار .

ان ادراك هذا المبدأ فى قاعة الدرس — فيما يبدو لى — هو تعبير بالغ الدلالة على أهمية الديموقراطية ومغزاها كسبيل تربوى لا يتسنى

Problems of Men. (٨)

للأفراد بدونه — أن يملكوا زمام أنفسهم أو يحققوا ذواتهم تحقيقا كاملا، ولا أن يسهموا بما فى وسعهم أن يسهموا به اذا كانت لديهم مقدرة على الاسهام فى الصالح العام للآخرين ورفاهية المجموع الذين هم جزء منه .

٩ — كل المؤسسات والنظم الانسانية تربوية — بمعنى أنهــا تعمل وتؤدى وظائفها ومناشطها لــكى تكون الاتجــاهات والميول والنزعات والقدرات وضروب العجز التى تشكل الشخصيات الحية الســاعية التى نعيش فى ظلها .

وهذا المبدأ ينطبق — أكثر ما ينطبق وبقوة خاصــة نافذة — على المدرسة ، ذلك أن الشغل الشاغل الرئيسى للأسرة والمدرسة هو أن تؤثر تأثيرا مباشرا نافذ المفعول فى تشكيل ونمو الاتجاهات والميول والنزعات الانفعالية والفكرية والخلقية .

ومن ثم فانه ســواء أكان السبيل يجرى فى نسق ديموقراطى بصــفة غالبة — أم فى نسق غير ديموقراطى — تصبح مسألة ذات أهمية جوهرية فائقة ، ليس فقط بالقياس الى التربية ذاتها ، ولكن أيضا بالقياس الى النتيجة النهائيــة على مصالح ومناشط مجتمع التزم بطريقة الحياة الديموقراطيــة كمنهاج حيــــاة .

وعلى هــذا فاذا كان المضمون العــام لما قلتــه عن الماثلة والطريقــة الديموقراطية قد ناهز كبد الحقيقة ، وينبغى القول بأن المبدأ الديموقراطى يقضى بأن من حق كل معلم — على سبيل الحتم — أن يتوافر لديه سبيل منظم وعضوى يستطيع بوساطته — بصفة مباشرة أو عن طريق ممثلين يتم اختيارهم ديموقراطيا — أن يشارك فى تشكيل وتحديد الأهداف الرئيسية الضابطة والوســائل المنتهجة والمواد الخاصة بالمدرسة التى هو جزء منها ملتحم بمقوماتها .

---

(٩) Ibid.

انظر أيضا : المجتمع (٢) — النظـام (١) — التربيـة (٤) ، (١٢) — الحرية (٥) — النمو (٢) — الحكم (٢) — المعرفة (٢) — التعليم (١) ، (٢) — النظرية (٢) .

مذهب المحافظين : — Conservatism :

١ — فلنقر بحجة المحـافظ . اذا بدأنا مرة فى التفكير فليس فى وسع أحد أن يضمن الناتج أو الحصيلة — فيما عدا أن كثيرا من الأشياء والغايات والمؤسسات والنظم سيكون مصيرها الى التهلكة بالتأكيد .

فكل مفكر يعرض جزءا من عالم مسـتقر بحسب الظـاهر — لخطر الخلخلة — ولا يوجد أحـد فى وسعه أن يتنبأ تنبؤا كاملا بما سينبثق فى مـكانه .

٢ — فى عالم التغير الطبيعى — لم يتعلم الناس ضبط التغير والتحكم فى توجيهه بوساطة الاختراع المنظم المحـكم التدبير للوسائل الفعالة — والا عندما كفوا عن شغل أنفسهم بالمبادىء الشاهقة المرتبة منطقيا ووجهوا اهتمامهم جديا شطر خضم التغييرات المحسوسة الملموسة الملاحظة .

وحتى ننجز ثورة مماثلة فى الشئون الاجتماعية والخلقية فان سياستنا ستظل تقوم بدور المتفرج السـلبى العقيم على تنـاوب وتعاقب المآسى والمهازل الاجتماعية معوضين عجزها بتحويل أزيزها وهسيسها وصفيرها الى نظام من القوانين العامة الثابتة والشرائع المجمدة التى يخيل الينا وقتئذ أن العرض يمثلها .

٣ — ان عقول النـــاس لا تزال — على نحـو يبعث الأسى ويثير

(١) Characters and Events.

(٢) Ibid

(٣) Liberalism and Social Action.

الشجون — فى قبضة عادات عتيقة تنتابها الذكريات القديمة المعمورة بالجن والأرواح الشريرة .

٤ — ان توكيد أن الطبيعة الانسانية لا يمكن تغييرها — يسمع عندما تلح مطـارق الالحاح منـادية بالتغييرات الاجتماعية الهادفة للاصلاحات وتحسين الأحوال الراهنة .

وهى دائما تسمع عندما تكون التغييرات المقترحة لتعديل النظم أو الظروف والأحوال — مضادة بشكل حاد لما هو موجود وقائم .

ولو أن المحافظ كان حكيما وحصيفا لأقام حجـة فى معارضة التغيير — فى معظم الحالات — لا على عدم قابلية الطبيعة الانسانية للتغيير وانما على عامل القصور الذاتى القائم فى عادات الناس وطرقها المسنونة ، وعلى عنصر المقاومة الذى تصطنعـه العادات المحصلة فى وجه التغيير — بعد أن تكون تلك العادات قد طال رسوخها .

من الصعب أن تعلم كلبا عجـوزا حيـلا جـديدة ، ومن الأصعب — بلا ريب — أن نعلم المجتمع اتخاذ عادات تتعـارض مع تلك العادات التى سادت طويلا وطال رسوخها .

ان حجة المحافظين التى تستند الى مثل هذا المنطق أكثر ذكاء وحصافة . ومن ثم فانهـا تضطر أولئك الذين يبغون التغيير ليس فقـط الى مراعاة تخفيف سرعة خطوهم ، ولـكن أيضـا الى تبين كيف يدخلون التغييرات المنشودة بحد أدنى من احداث الصدمات والخلخلة .

انظر أيضا : السلطة (٢) .

المذهب الطبيعى : — Naturalism

١ — ان الطريقة الطبيعيـة ، اذا نبعت بثبات واستقامة تحطم كثيرا

(٤) Problems of Men.

(١) Experience and Nature.

من الأشياء التى كانت ذات يوم موضع اعزاز ، ولكنها تحطمها بكشف ما فيها من عدم ثبات وتقلب وتناقض مع طبيعة الأشياء — وهو عيب صاحبها دائما — وتحرمها من أى فاعلية فى أى شىء سوى السلوى العاطفية .

بيد أن مآلها الرئيسى ومغزاها وفحواها ليست تدميرية — فالطبيعة التجريبية منسفة تنقية وغربلة .

٢ — لا يزال أمام الطبيعة الفلسفية عمل تؤديه فى ميدان لم تفعل فيه شيئا من قبل سوى أن مسته مسا خفيفا .

فألفاظ مثل « العقل » ، « الموضوع » ، « الذات » ، « الشخص » ، « الفرد » هذا اذا أغفلنا ذكر « القيمة » ، هى أكثر من كونها محملة فى استعمالها الدارج بصبغة ذات دلالة ومغزى وأهمية امتصتها من معتقدات ذات صفة ميتافيزيقية من وراء الطبيعة .

ولا تكاد توجد كلمة تستخدم فى التحليل والوصف السيكولوجى والاجتماعى الا وهى تعكس هذا التأثير .

المساواة : Equality :—

١ — ان الايمان بالمساواة عنصر من عناصر العقيدة الديموقراطية على أن ذلك لا يعنى الاعتقاد بالمساواة فى المواهب الطبيعية ، والذين نادوا بفكرة المساواة لم يدر بخلدهم أنهم كانوا يعلنون مذهبا أو عقيدة سيكولوجية ، وانما كانوا يعلنون مبدأ أو عقيدة قانونية وسياسية .

فمن حق كل الأفراد أن يتساووا فى المعاملة أمام القانون وطريقة تنفيذه .

---

(٢) "Antinaturalism in Extremis in Nationalism and the Human Spirit (a Symposium), ed. by Y.H. Krikorian).

(١) Problems of Men.

وكل واحد يتأثر بمقدار متساو — فى الكيف ان لم يكن فى الكم بالنظم والمؤسسات التى نعيش فى ظلها ، وله نفس الحق المخول لكل فرد آخر — على قدم المساواة — فى التعبير عن حكمه ووجهة نظره ، وان كان وزن حكمه أو ثقل وجهة نظره ، قد لا يكون متساويا فى القدر مع غيره عندما يدخل فى جماع حصيلة أحكام ووجهات نظر الآخرين .

وبالاختصار فان كل فرد — ذات — على قدم المساواة مع غيره من الناس ، ومن ثم فله الحق فى تكافؤ الفرص لتطوير وانضاج وانماء قدراته الخاصة ، سواء أكانت قدرات صغيرة أم كبيرة فى مداها .

وبالاضافة الى ذلك ، فان لكل فرد الحاجات الخاصة به والتى تعتبر ذات أهمية بالقياس اليه ، مثلما تعتبر حاجات الآخرين الخاصة بهم ذات أهمية بالقياس اليهم .

ان حقيقة عدم المساواة الطبيعية السيكولوجية—هذه الحقيقة ذاتها— هى سبب موجب يحتم اقرار المساواة فى تكافؤ الفرص بالقانون — حيث انه بدون ذلك تصبح الأولى وسيلة لظلم الأقل موهبة ونعمة .

انظر أيضا : الديموقراطية (١٠) .

المستقبل : Future :—

١ — العصر الذهبى أمامنا لا خلفنا .

٢ — ان المنشط الحاضر هو المنشط الوحيد الذى نتحكم فيه بالفعل .

ان ضبط المستقبل — فى أى اتجاه يفضى اليه — يتوقف بصفة كلية على اعتبار منشطة الحاضر اعتبارا جديا ومخلصا وغيورا وموقوفا عليه — كغاية وليس كوسيلة . وجدير بالمرء أن يشغل نفسه ويكرس جهده لاتقان ما يتطلب العمل الآن .

---

(١) Reconstruction in Philosophy.

(٢) Human Nature and Conduct.

٣ — ان المستقبل المنظور المرجو هو مستقبل يتعين قيامه فى الحاضر حينا ما — وقتا ما —

٤ — بالقياس الى الانســـان الذى يعيش حياة تامة فان المستقبل ليس نذيرا وانما بشيرا — ليس وعيدا وانما وعدا وأملا — فهو يحيط بالحاضر كهالة ، انه يتألف من ممكنات تستشعر كحيازة لمـــا هـــو كائن وراهن الآن وهنـــا .

انظر أيضا : التغيير — الرغبـــة (٣) — التربيـــة (٢) ، (١٥) — النمو (٣) — الفلاسفة (٤) — العلم (٢) .

المســئولية : Responsibility :—

١ — يقصد بالمسئولية كعنصر فى الاتجاه العقلى — النزعة الى اعتبار النتائج المحتملة — مقـــدما — لأى خطوة تدبر وقبول هذه النتائج قبولا مقصودا عامدا — قبولها بمعنى وضعها فى الحساب — والاعتراف بها واقرارها فى العمل وليس مجرد الموافقة الكلامية عليها .

٢ — التبعة أو التكليف هى بداية المسئولية .

فنحن مسئولون عن تقديم الحساب للآخرين عن نتائج تصرفاتنا .

وهم يفتقـــدون ما يحبون وما يكرهون من هذه النتائج فينا . وعبثا ندعى أنه لا شأن لنا بها ، وأنها نتاج الجهل لا التخطيط العامد مع سبق الاصرار . أو أنها أحداث عضوية فى تنفيذ مشروع لا غبار عليه ، أو خطة حميدة مشكورة الى أقصى درجة .

---

(٣) Ibid.

(٤) Art as Experience.

(١) Democracy and Education.

(٢) Human Nature and Conduct.

فحكمها أو سلطانها يعزى الينا ويلصق بنا — فينالنا من جراء ذلك اللوم والاستهجان — والاستهجان ليس حالة عقلية باطنية وانما هو فعل محدد بات الى أقصى درجة . وثمة فريق آخر يقولون لنا بأفعالهم انهم لا يهمهم فى كثير أو قليل سواء أفعلنا ذلك عامدين أم لا . والاسناد فى اللوم وفى كل حكم غير موفق — مقبل يسرى على المستقبل وليس مجبرا رجعيا يسرى على الماضى .

ان النظريات الخاصة بالمسئولية قد تصبح مختلطة ومشوشة — ولكن فى الواقع العملى ليس ثمة أحد يبلغ به الحمق والغباوة حدا بحيث يحاول تغيير الماضى . ان الاستحسان والاستهجان طريقتان للتأثير فى تكوين العادات والغايات ، أى التأثير فى التصرفات والأعمال المقبلة .

فالفرد يعتبر مسئولا عما فعل لكى يكون مليبا ومستجيبا على سبيل التبعة فيما هو مقدم على فعله بعدئذ .

٣ — ليس ثمة سبيل الى انماء عقل وخلق مستقرين متزنين سوى الاضطلاع بالمسئولية .

٤ — على عاتقنا تقع مسئولية حفظ وصيانة ونقل وتنقية وتصحيح وتنقيح وتوسيع مدى تراث القيم التى تلقيناها بحيث ان أولئك الذين يأتون من بعدنا ينقلونها عنا أكثر متانة وتوطيدا ، وأوفى ضمانا ، وأوسع ولوجا ، وأيسر منالا ، وأسخى اشتراكية مما تلقيناها .

٥ — ان العجز عن الاضطلاع بالمسئولية المتضمن فى حق الاشتراك فى البت فى تشكيل السياسة وتدبير الأمور — هذا العجز يفرخ ويربو بوساطة الظروف التى تجحد فيها هذه المسئولية .

---

(٣) Individualism, Old and New.

(٤) A Common Faith.

(٥) "Democracy and School Administration", in School and Society, XLV, (1937).

انظر أيضا : الديموقراطيـــة (٢) — الحـــرية (٦) — الاهتمـــــامات الانسانية — الذاتية (٢) — الذكاء (١) — المدرسة (٢) .

المشـــكلات : **Problems :—**

١ — المشـكلات لا تحل الا عنــدما تنجم — أى اجرائيا وأدائيا فى تعديلات فى السلوك — ولكن — سواء أكان خيرا أم شرا — فانها لا تحل الا بمنهاج — والمنهاج فى نهاية الأمر هو الذكاء ، والذكاء منهاج .

٢ — المشـكلة التى يحسن شرحها ، تعتبر نصف محلولة .

٣ — ان الطريقة التى ندرك بها المشـكلة تقرر أى الاقتراحات المعنية لها تفضل وتؤثر على غيرها ، وأيها ترفض وتنبذ ، وتحدد أى المواد تختار ، وأيها يستبعد . وهى معيار اللياقة والسداد والمناسبة أو عدم التعلق بالأمر فيما يختص بالفروض والتركيبات الاستيعابية فى ادراك الكليات — هذا من جهــة — ومن جهة أخرى فان طرح مشـكلة لم تنبثق من وضع واقعى معناه البدء فى شوط من العمل الميت .

انظر أيضا : الثقافة (٤) — الفروض (٣) — الأفـــكار (١) — التفاعل (٢) — الفلاسفة (٣) — الفلسفة (٣) ، (٦)—العلم (٩) — الطريقة العلمية (٣) .

المصادفة : **Chance :—**

١ — ان الانســـان يجد نفسه يعيش فى عالم — تحت لعل وعسى — تحت الربح والخســـارة — بحيث ان وجوده يتضمن — ولنقلها واضحة صريحة — مقامرة .

---

(١) The Influence of Darwin on Philosophy and other Essays.

(٢) How we Think

(٣) Logic : The Theory of Inquiry.

(١) Experience and Nature.

فالعـــالم مسرح لشتى ضروب المجازفة — فهو غـــير محقق ومحفوف بالالتبـــاس ، وغـــير مستقر على نحو لا حذق فيه ولا حذر ، وأخطاره لا تخضع لنسق منظم ولا تأتى بترتيب مقرر . وهى متقلبـــة ومتناقضـــة لا يمكن التعويل عليها بالقياس الى أوقاتها ومواسمها .

وســـبيلنا السحرى الذى اصـــطنعناه لاتقاء تقلبات الدهر وتناقضاته هو أننا ننكر وجود المصادفة وسلوك قانون عام وحتمى ، ونغمغم بكلمة حضور السبب والنتيجـــة ، وتتمتم باطراد الطبيعة وتناسقها واطراد التقدم الشامل العام ، وان العالم له نسق منطقى معقول—وليد ذاته . بيد أن هذه العصفات السحرية تشتق قوتها وفعاليتها من ظروف ليست بسحرية . فلقد مكننا العلم من ضمان درجـــة معينة من التنبؤ والتحكم . ولكن فى نهاية الأمر فان صفة العالم — المحفوفة بالمخاطر والمحملة بالاحتمالات الغامضة أساسا — لم يتناولها أى تعديل جوهرى — فضلا عن كونها لم تلغ الغاء .

انظر أيضا : قانون الطبيعة (٣) — الأمن (١) .

المعرفة : **Knowledge :—**

١ — المعرفة تتضمن الاسناد والايماء الى النفس أو العقل .

وعمليـــة المعرفة سبيل فكرى يتضمن قوانين نفسية تختص بالعقل . وهى ضرب من النشاط تمارسه النفس ، ومن ثم فان نوعا معينا من المنشط الذاتى — استلزم قيامه أصلا فى الحقائق المادية فى العلم الطبيعى .

فهذه الحقائق — كلها حقائق يعرفها عقل ما ، ومن ثم فهى تقع فى دائرة اختصاص علم النفس على نحو ما .

وبنـــاء على ذلك فان هـــذا العلم هو شيء أكثر من علم واحد بجانب

---

(١) Psychology.

علوم أخرى ، وانما هو علم مركزى لأن موضـــوعه — وهـــو المعرفة — متضمن فيها جميعا .

٢ — ان اكتشاف كيف نسوى المعرفة ونستخرجها — عند الحاجة اليها — هى الغـــاية الحقيقية من تحصيل المعارف فى المدرسة — وليست المعارف فى حد ذاتها .

٣ — ان المعارف المبتورة من العمل التفكرى معارف ميتة — عبث يسحق العقل ، واصر يبهظه .

وحيث ان هـــذه المعـــارف تموه المعرفة ، ومن ثم تشيع سم الغرور والخيلاء ؛ فهى من أقوى معوقات النمو حيال نعمة الذكاء وفضله .

٤ — ان المعرفة دائما مســـألة الفائدة العائدة من استخدام الأحداث الطبيعية التى تمت ممارستها فى واقع الخبرة .

٥ — المعرفة ليست شـــيئا معزولا — قائمـــا بذاته ومكتفيا بذاته ، ولـــكنها متضمنة فى السبيل الذى بوســـاطته تتدعم الحيـــــاة وتتطور وتمضى قـــدما .

فالحواس تفقد مكانها : كمداخل للمعرفة لكى تأخذ مكانها الصحيح السديد كمنشطات وحوافز للعمل ، والأداء .

وبالقياس الى الحيوان فان تأثر العين أو الأذن ليس مجرد قطعة خاملة من المعرفة عن شىء يحدث من حوله عفوا « سبهللا » .

وانما هى دعوة أو محرك أو تيار تأثيرى لكى يتصرف بطريقة مطلوبة.

ومن ثم فهى مفتاح دليلى فى السلوك — عامل موجه فى التهايؤ والملاءمة للحياة فى بيئته المحيطة .

---

(٢) Schools of To-Morrow (With Evelyn Dewey).

(٣) Democracy and Education.

(٤) In the Creative Intelligence: Essays in the Pragmaticattitude (a symposium)

(٥) Reconstruction in Philosophy.

فهى عملية استحثائية لجوج ، لا معرفية فى كيفها وصفتها .

٦ — المعرفة قوة ، والمعرفة تنال بارسال العقل الى مدرسة الطبيعة ليتعلم سبلها وعملياتها فى التغير .

٧ — ان السبب فى كون الطفل يستطيع أن يعرف قليلا ، فى حين أن الكبير المجرب يستطيع أن يعرف كثيرا ، عندما يواجهان نفس الأشياء — ليس مرده الى أن الكبير له عقل ، والطفل ليس له عقل ، ولكن لأن الكبير قد كوّن عادات ما زال الطفل يتعين عليه أن يحصلها .

ان الرجل العلمى والفيلسوف مثلهما مثل النجار والطبيب والسياسى يعرفون بعاداتهم وليس « بوعيهم » .

٨ — ان المعرفة تتمغمغ « تختلط وتضطرب » عندما يقص الخيال أجنحته أو يخشى استعمال أجنحته .

ان كل تقدم عظيم تم احرازه فى ميدان القلم — صدر عن جرأة جديدة من امتحانات الخيال .

٩ — طبعا — لقد حدثت زيادة هائلة فى كمية المعرفة التى جمعها وملكها الجنس البشرى ، ولكنها ربما لا تساوى الزيادة الحادثة فى كمية الأخطاء وأنصاف الحقائق التى راجت فى التداول .

١٠ — المعرفة أسلوب أو شكل من طرز التصرف العملى .

١١ — ان الاعتراف بأننا لا نعرف مالا نعرف حتمية لازمة للنزاهة العقلية والأمانة الفكرية بأسرهما .

---

(٦) Ibid

(٧) Human Nature and Conduct.

(٨) The Quest for Certainty

(٩) The Public and Its Problems.

(١٠) Ibid

(١١) A Common Faith.

انظر أيضا : العروض (١) — التفكر (٣) — الاستدلال (١) — الفهم (٥) — التربية الحرة — الحكمة (٢) — الآلة (١) — الديموقراطية (١١) — العقل (٧) — المنهاج التجريبى (١) — سعة الأفق العقلى (٣) — الفلسفة (٧) — الحقائق (٢) — الامكان (١) ، (٢) — الحرية (٢) .

المناقشة : **Discussion:—**

١ — المناقشة هى الاتصال والبلاغ — وبالاتصال والبلاغ يحدث تبادل فى الأفكار ومشاركة فيها واسهام فى فهمها ونقلها ، ومن ثم تصبح ملكية مشتركة على الشيوع .

٢ — المناقشة — خلقية — بالدرجة التى تتألف منها من شكاة وتظلم مما هو راهن ، واستحثاث وتخصيص ونصح وتحذير بالقياس الى ما يلزم أو يتعين أن يوجد .

انظر أيضا : المدرسة (٦) — التسامح (٢) .

المنطق : **Logic :—**

١ — المنطق علم وفن فى آن واحد ، فهو علم من حيث هو يمدنا ببيان وصفى — منظم ومختبر للطريقة التى يمضى بها نسق التفكير — فى واقع أمره — ما دام على أساس هذا الوصف يعكس ويبرز الطرائق التى بها سيفيد التفكير اللاحق من العمليات والاجراءات التى تفضى الى النجاح ويتحاشى تلك التى تنتهى بالاخفاق .

---

(١) Reply in the Philosophy of John Dewey (a symposium, ed. by P.A. Schilpp).

(٢) "Liberating the Social Scientist", in the Commentary, IV (1947).

(١) Reconstruction in Philosophy

٢ — ليس الانسان منطقيا — وتاريخه الفكرى هو سجل للمدخرات العقلية الاحتياطية وللتسويات والشبهات والحلول الوسط.

وهو يتشبث بما فى وسعه أن يتشبث به من معتقداته القديمة حتى عندما يضطر الى التنازل عن أساسها المنطقى.

انظر أيضا : الحساب (٢) — الفلسفة (٨) — الامكان (٢).

المنهاج التجريبى : Experimental Method :—

١ — الطريقة التجريبية ... تعنى أنه لا حق لنا فى أن نسمى أى شىء معرفة فيما عدا حيثما يفضى منشطنا فعلا الى احداث تغييرات مادية معينة فى الأشياء تتفق مع المفهوم الذى يخامرنا أو نسلم به ونؤيده.

فاذا أعوزتنا مثل هذه التغييرات المعنية فان معتقداتنا لا تزيد على أن تكون فروضا فحسب ، نظريات ، اقتراحات ، تخمينات. ويتعين علينا أن نضمرها مؤقتا ونفيد منها كدلالات أو مؤشرات فى تجاربنا توضع على محك الاختبار.

٢ — ان الطريقة التجريبية شىء يتجاوز عملية استعمال منفخ الصائغ والأنابيق والراكسات والكاشفات « فى الكيميا ». انها العدو اللدود لكل اعتقاد يتيح للعادة والمألوف الدارج أن يتغلب على الاختراع والكشف والتنقيب — ويبيح لأى نظام جاهز قبلى أن يركب أكتاف حقيقة محققة تحقيقا علميا على محك الاختبار.

بيد أن المراجعة الدائمة الدائبة هى عمل البحث التجريبى ووظيفته.

٣ — الطريقة التجريبية مهلكة للوثوقية المجمدة قاضية عليها ؛ لأنها

---

(٢) Human Nature and Conduct.

(١) Democracy and Education.

(٢) Individualism, Old and New.

(٣) In the Educational Frontier (a symposium, ed. by W.H. Kilpatrick).

تومىء الى أن كل الأفكار والمفاهيم والنظريات ، مهما اتسع مداها شمولا واحاطة ، ومهما خلت من التناقض وتحقق فيها عنصر الانسجام الذاتى ، ومهما كان نصيبها من الجاذبية والجمال الفنى — يتعين أن يسلم بها مؤقتا وشرطيا واحتياطيا — حتى تختبر على محك التجريب العلمى العملى .

ولتقرير حقيقة ما فى أوج قوتها واكتمالها — فان الأفكار السابقة على الاختبار التجريبى الايحائى ليست لها أهميتها الفكرية الا كموجهات ومؤشرات ومشروعات وخطط لأعمال ممكنة — فقط .

والأعمال عندما تنجز وتنتج آثارا ونتائج تختبر وتوسع وتعدل الأفكار التى كانت مضمرة ومسلما بها من قبل — بصفة مؤقتة .

وعلى هذا فان الطريقة التجريبية تتعارض مع طول الخط مع كل الطرائق التى تدعى أن الباطل لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها ، وأنها محصنة ضد الحريق .

٤ — الطريقة التجريدية ليست مجرد « وحسة » حيرة ذات اليمين وذات الشمال ، أو محض أشتات من الأعمال والاجراءات والاختبارات تؤدى هنا وهناك على أمل أن الأمور ستتعدل من تلقاء نفسها .

ولكنها تتضمن — كما هو الشأن فى العلوم الطبيعية — كيانا منسجما متناغما من الأفكار ، نظرية تعطى اتجاها للطاقة والجهد والمحاولة .

انظر أيضا : التحررية (٤) — الطريقة العلمية .

الموضوعات : (*) **Objects :—**

١ — ان الموضوعات الملائمة للعلم هى الطبيعة .

---

(٤) Problems of Men

(*) لهذه الكلمة عدة معان ، فهى تعنى شيئا ، جسما ، حاجة ، غرضا ، باعثا وغاية ، ومأربا ، ووطر ، ولبانة ، وسطح الأنظار ، وهدفا ، ومقصدا ، وصددا ، وموضوعا ، وأمرا ، ومرئيا ، ومبصرا ، ومنظورا . المترجم

(١) Experience and Nature.

٢ — ليس ثمة كشف جديد فى أن كلمة « موضوع » محفوفة بالابهام والالتباس لأنها تستعمل للدلالة على العصى والصخور والقطط والكلاب والمقاعد والمناضد فى خبراتنا العادية ، وهى فى نفس الوقت تستعمل للدلالة على الذرات والالكترونات فى الفيزياء ، وعلى أى نوع من « الوحدة » أو الكلية التى لها كيان منطقى — كما هو فى الحساب .

وعلى الرغم من الالتباس والابهام والغموض المعترف بها ، فان فرعا كاملا من فلسفة المعرفة والمنطق (المسماة بالابستمولوجيا) يشتق من افتراض أنه فى حالة — على الأقل المثالين الأولين — فان كلمة «موضوع» لها نفس المعنى العام ، والا لما عرض موضوع الفيزياء والأشياء المتعلقة بخبراتنا اليومية — نسبيهما كضدين ، ولما شعرت الفلسفة بأى الزام من قبلها لتعزيز ما هو « حقيقى » وما هو « مظهر » أو على الأقل التزام لاقامة مشروع نعقد فيه صلحا بين الاثنين .

ان المكان الذى تحتله فى الفلسفة الحديثة مشكلة العلاقة بين ما يسمى « الموضوعات العلمية » « والموضوعات البديهية » — برهان — فى أية حالة — على الوجود المسيطر لتمييز وتفرقة بين « الموضوعى » و « الذاتى » الذى لم يكن معروفا فى الفلسفة القديمة ، وهو يدل على الأقل بالقياس الى الاحساس بالوعى بمشكلة دائمة الوجود ، فان الفلسفة الحديثة « موضوعية — ذاتية » وليست مجرد ذاتية .

على أن الفلسفة التجريبية التامة على نحو صحيح — تتطلب أن يكون هنالك بت بالقياس الى الخبرة بجسم العلاقة الموجودة بين مادة الموضوع الطبيعى والأشياء ذات الادراك والاستعمال والمتعة المباشرة .

وانه لمن الجلى أن التجريبية التاريخية — بسبب التزامها وتقيدها بالحسية أخفقت فى ملاقاة تلك الحاجة .

---

(٢) Problems of Men.

والطريق الواضح لملاقاة هذا المطلب هو الاعتراف الصريح بأن الخبرة المباشرة — تحتوى — كعنصر مباشر فى غاية الأهمية من أصل تركيبها — ثروة من الموضوعات الممكنة ، وليس ثمة تناقض بين فكرة الخبرة المباشرة وفكرة موضوعات تلك الخبرة التى لم تتحقق بعد ، لأن هذه الموضوعات الأخيرة تختبر وتمارس بشكل مباشر كممكنات .

فكل خطــة ، وكل اتقاء — نعم ، كل تنبؤ وتوقع ، ما هو الا خبرة يمارس فيها — موضوع غير مباشر — على نحو مباشر كامكان واحتمال .

ثم ان الخبرة الحديثة — كما افترضنا من قبل — تتميز عينا بالمدى الذى تعامل به الموضوعات التى تدرك أو تحس ، أو تحدث ألما أو لذة — بصفة مبــاشرة — كعلامات أو اشــارات أو دلالات على ما لم يمارس أو يختبر — فى حد ذاته وندائه أو تعامل كوسائل لتحقيق هذه الأشياء من الخبرة الممكنة أو المحتملة ، وبسبب اخفاق الفلسفة التجريبية التاريخية فى ادراك هــذه الحقيقة فانها عجزت عن أن تدخل فى حسابها واحدة من أبرز ملامح الطريقة العلمية والاستنتاجات العلمية — ألا وهى — انشغال البال بالتعميم من حيث هو . ذلك أن الطرق العلميــة ومادة الموضــوع العلمى تجمع بين الاعتبارات الفائقة التجريد ، أو «النظرية» وبين المادة المحسوسة الحاضرة بصفة مباشرة ، وتعميم النتائج التى تنتهى اليها تعتمد بصــفة مباشرة على وجود نمط الاعتبارات المسمى أولا .

ويترتب على ذلك كله أنه فى الفلسفة الحديثة ، كما أن فى الموضوعات العلمية وضعت موضع التقابل أو القضاء من الموضوعات الخاصة بالخبرة المبــاشرة ، ومن ثم محــدثة المشكلة الكائنية للفلسفة الحديثة (مشكلة أين توجد « الحقيقة ») ، فكذلك الأمر بالقياس الى تطابق التجريبى مع واحــد فقط من عنصرين من طريقــة المعرفة ، فانه خلق المشكلة المعرفية

للفلسفة الحديثة ألا وهى العلاقة بين « المدرك » « والمحسوس » ، بين الشعور والفهم .

انظر أيضا : الفن (٣) — الرغبة (١) — الامكان (٢) .

الموضوعية : Objectivity :—

١ — ان حالة : اما الافتقار التام الى الاهتمام والشغف واما الاهتمام الفارغ الخالى من الغرض — هذه الحالة لا تقل خرافة عن قصة الجحش الأسطورية التى تروى فى أخلاقيات القرون الوسطى (*)

أنظر أيضا : العقل (١) — الفلاسفة (١) .

(*) فحوى هذه القصة التى تعزى الى احد مفكرى القرن الرابع عشر المسمى بوريدان ـ أن الجحش اذا ما توسط معلفين متماثلين بالضبط لابد وأن يموت جوعا ، انه سيكون عاجزا تماما عن تقرير بأى المعلفين يبدأ .

(١) Interest and effort in Education

ن

النظام : **Discipline :—**

١ — ان نظام المدرسة ينبغى أن يصدر عن المدرسة وينبثق منها ككل، وليس مباشرة من المعلم .

٢ — ان النظام معناه قوة أو سلطة تحت امرة من يملك الزمام، وتحكم فى الموارد الموجودة لانجاز العمل المطلوب ، ومعرفة ما يتعين على المرء أداؤه ، ثم تحركه لانجازه على الفور باستعمال الوسائل اللازمة المحتاج اليها — هذه العملية تشكل استجابة الدواعى للنظام ، سواء أكان الأمر يتعلق بجيش محارب أم بمسألة عقلية .

والنظام مفهوم ايجابى .

أما ارعاب الروح ، وقمع الميل ، وفرض الطاعة بالقهر وكبح الشهوات الجسدية ، والزام المرءوس بانجاز عمل كريه — فهذه كلها تعتبر نظامية أو غير نظامية — وفقا لما تفضى اليه أولا تفضى اليه ، بالقياس الى انماء وانضاج قوة تحقيق ما يكون المرء بصدده ومثابرته فى الانجاز وبلوغ المآرب .

انظر أيضا : الشك (١) — التربية (١٥) — العقل (٤) — المدرسة (٢) .

---

(١) My Pedagogic Creed

(٢) Democracy and Education.

النظرية : Theory :—

١ — ليس ثمة خصيصة تعارض فطرى ملازم بين النظرية والعملية ، فالأولى تكبر وتبسط وتطلق وتعتق وتعطى مغزى وفحوى للثانية ، فى حين أن التطبيق العملى يمد النظرية بلوازمها وموادها بالاختبار والمراجعة والضبط التى تحفظ النظرية سليمة وحية .

٢ — ان النظرية — هى فى نهاية الأمر — كما عبر عن ذلك أحسن تعبير أكثر الأشياء « عملية » لأن ذلك التوسيع فى مـدى الانتباه بحيث يتجاوز الغرض القريب والرغبة الدانية يفضى فى نهـاية المطاف الى خلق أهداف وغايات أوسع وأشمل وأعم وأطول بعدا ، ويمكننا من الافادة فى تثمير واستخدام مدى أكثر اتساعا وعمقا من الظروف والوسائل — أوفى بكثير مما بدا فى ملاحظة الأغراض العملية البدائية .

بيد أن تكوين النظريات — يتطلب — مؤقتا — اعراضا حاسـما وابتعادا عامدا ، عن حاجات العمليات التنفيذية الاجرائية التى سبق أداؤها. وهذا الفصل صعب المنال بصفة خاصة فى حالة أولئك الأشخاص الذين ينصب اهتمامهم على بناء المحتوى العلمى للمناهـج التربوية والفنون والآداب ، فثمة ضغط يطالب بنتائج مباشرة وبدليل واضـح فى التطبيق يثبت بسرعة الافادة منها فى المدرسة فى المدى القصير .

وثمة جنوح الى تحويل نتائج البحوث الاحصـائية وتجارب المختبر والمعمل الى اتجاهات وقواعد لتسير دفة المدرسـة فى الادارة وبرامج التعليم وطرقه .

ومن ثم فان المعلمين سرعان ما يجنحون الى خطف النتائج وكبشها ثم

---

(١) "Individuality and Experience", in the Journal of the Barnes Foundations, II, (1926).

(٢) Source of a Science Education

وضعها موضع التنفيذ ، دون توافر تلك الفسحة من الوقت التى تتيح النمو البطىء المتدرج المستقل للنظريات الذى هو شرط حتمى لازم لتكوين علم حقيقى .

٣ — ان النظرية — معزولة عن الأداء الملموس والعمل المحسوس — جوفاء وعقيمة . ان مشكلة العلاقات بين النظرية والعملية ليست مشكلة النظرية وحدها ، انها ذلك ، ولكنها أيضا أعظم مشكلة عملية للحياة . لأنها مسألة كيفية توجيه الذكاء للعمل وتغذيته بالاعلام وكيفية حمل العمل لثمرة وخصب البصيرة المتزايدة بحيث تنجب معنى .

٤ — ان النظريات — كما هى مستعملة فى البحث العلمى — هى نفسها مسائل تجريد منظم ، ومثلها ، كمثل الأفكار ، فانها تفلت وتنصرف بعيدا عما يمكن تسميته الحقائق المعطاة مباشرة لكى تكون قابلة للتطبيق على مدى أوسع وأعم وأوفى من الحقائق المتعلقة بها .

انظر أيضا : التجريد (٣) — المنهاج التجريبى (٤) — الفروض (٢) — الموضوعات (٢) — الفلسفة (٢) .

النفس : Self :—

١ — اننا نجد وحدة العمليات المختصة بالنفس — ومن ثم تفسيرها النهائى فى حقيقة أن الانسان ذات .

٢ — تفصح الذات عن طبيعتها بما تختاره .

٣ — ليست الذات شيئا جاهزا معدا من قبل ، وانما هى شىء فى حالة صيرورة مستمرة وتشكيل دائم بوساطة اختيار العمل .

---

(٣) The quest for certainty

(٤) Knowing and the Known

(١) Psychology.

(٢) Ethics (with J.H. Tufts)

(٣) Democracy and Education

النقـد : Criticism :—

١ — النقد هو حكم مميز فارق وتقدير دقيق والحكم يسمى نقدا — بسداد — كلما كان موضوع التمييز معينـا بالقيم والعوائد والمنافـع والخيرات .

انظر أيضا : الفن (٧) — العمل الابتداعى (٢) — حرية التفكير (٢)— الفلسفة (٨) — المدرسة (٦) .

النمـو : Growth :—

١ — ان الشغل الشاغل لكل الـكائنات الحية فى كل الأوقات هو العيش — أى النمو الفكرى والخلقى .

٢ — حيث ان النمو هو الخصيصة المميزة للحياة — فالتربية والنمو صنوان — وليس للنمو غاية تتجاوزه أو تعلو عليه ؛ فغاية النمو هى النمو ذاتـه . ومعيار قيمة تربية المدرسة هو الدرجة التى تصل اليها فى خلق رغبة حيال النمو الموصول وتهيئة الوسائل المعينة على جعل هذه الرغبـة فعالية — فى الواقع من الأمر .

٣ — اذا كانت التربية هى النمو — فيتعين عليها أن تحقق الامكانيات الراهنة على نحو تقدمى موصـول ومن ثم تجعل الأفراد أكثر مقـدرة وصلاحية بملاقاة مقتضيات المستقبل ومكافحة ما يستجد من الظروف .

على أن النمو ليس شيئا يدرك على نحو كامل فى أوقات فذة غريبة وانما هو سبيل موصول من الاقصاء الى المستقبل .

فاذا كانت البيئة داخل المدرسة وخارجها — تهيىء الظروف التى تعين

---

(١) Experience and Nature.

(١) Democracy and Education.

(٢) Ibid

(٣) Ibid

على تثمير الامكانات والقدرات الراهنة للصغار تثميرا كافيا ووافيا فان المستقبل الذى ينمو من الحاضر — سيكون مكفولا ومضمونا ما فى ذلك أدنى ريب .

انظر أيضا : التعريف (١) — الديموقراطية (٤) — التربية (١٠) ، (١١) (١٢) — البيئة (٣) — الخبرة (١) — الشغف (٢) .

لابادة البعوض حقيقة اجتماعية لأن استعمالها والافادة منها يتوقف على عرض ورغبة .

والقاطرة البخارية أو المحرك الكهربى (الدينامو) واقعــة مادية فى تركيبها ولكنها واقعة اجتماعية عندما يتوقف وجودها على الرغبة فى النقل السريع ووسائل المواصلات العاجلة الرخيصة .

والآلة نفسها قد تفهم ماديا دون أى اســناد أو مرجــع الى الهدف الانسانى أو الحافز .

ولكن نظام الســكك الحديدية أو الخدمات العامة لا يمكن فهمها دون اسناد أو مرجع الى الأغراض الانسانية والآثار والنتائج الانسانية .

انظر أيضا : المنهاج التجريبى (٢) الفروض (٣) — الاستدلال (٢)— سعة الأفق (٢) — العلم (٤) — النظرية (٤) .

وقت الفراغ (الفضــوة) : Leisure :—

١ — ان التحديد الحاضر للعمل—تحديد تطابق مع الاهتمامات المادية— والفراغ تحديد تطابق مع الاهتمامات المثالية — هو نفسه حصيلة اجتماعية.

انظر أيضا : الانتاج والاستهلاك (٢) — النظرية (٢) — العمل (٢) .

الــولاء : Loyalty :—

١ — ان الولاء — لأيما شىء فى البيئة القائمة الراسخة يمكن للمرء من اصطناع حياة من التفوق والنفاسة هو بداية كل تقدم .

٢ — ان القيم التى استأثرت لولاءات الناس وأمسكت بهم فى قبضتها

Democracy and Education. (١)

Human Nature and Conduct., (١)

Individualism, Old and New. (٢)

ذات يوم وساندتهم وآزرتهم ووجهتهم وهيأت لهم من الوحدة فى وجهة النظر حيال الحياة — هذه القيم بما يصاحبها من ولاءات — كادت تختفى أو هى على وشك الانقراض .

ونتيجة لذلك فقد أصيب الأفراد بالبله والحيرة والذعر . وانه لمن العسير أن نجد فى التاريخ عصرا من العصور يتميز بمثل ذلك الافتقار كالعصر الحاضر .

ان استقرار أو رسوخ الشخصية يتوقف على أمور مستقرة راسخة نتوجه اليها بمشاعر الولاء الذى يرتبط بها ارتباطا وثيقا .

Habit	العادة
Happiness	السعادة
History	التاريخ
Human Concerns	الاهتمامات الانسانية
Humanity	الانسانية
Human Nature	الطبيعة الانسانية
Hypotheses	الفروض
Ideals	المثل العليا
Ideas	الأفكار
Ignorance	الجهل
Individual	الفرد
Individuality	الذاتية
Inference	الاستدلال
Inquiry	البحث
Insanity	العته
Intelligence	الذكاء
Interaction And Interdependence	التفاعل والتداخل
Interest	الشغف
International Relations	العلاقات الدولية
Judgment	الحكم
Justice	العدل
Knowledge	المعرفة
Labor	العمل
Language	اللغة
Law	القانون
Law of Nature	قانون الطبيعة
Leadership	القيادة
Learning	التعلم
Leisure	وقت الفراغ
Liberal Education	التربية الحرة
Liberalism	التحررية (الليبرالية)
Liberty	الخيار
Life	الحياة
Logic	المنطق
Loyalty	الولاء
Machine	الآلة
Man	الانسان
Manners	آداب السلوك
Mathematics	الحساب
Matter	المادة
Memory	الذاكرة
Methods of Instruction	طرق التعليم
Mind	العقل
Mistakes	الأخطاء
Money	المال
Morality	الأخلاق
Moral Science	العلم الاخلاقى
Naturalism	المذهب الطبيعى
Nature	الطبيعة
Obedience	الطاعة
Objectivity	المسئولية
Objects	الموضوعات
Open-Mindedness	سعة الافق
Optimism	التفاؤل
Order	الترتيب (النسق)
Peace	السلام
Perception	الادراك
Perfection	الكمال
Philosophers	الفلاسفة
Philosophy	الفلسفة
Pluralism	التعدد
Possibility	الاحتمال (الممكن)
Power	القوة

Pragmatism البراجماتية (الوسيلية)
Prejudice .... التعصب
Present and Past... الحاضر والماضى
Problems .... المشكلات
Process .... السبيل
Production and Consumption النتاج والاستهلاك
Progress ... . التقدم
Psychology .. .. علم النفس
Public Opinion......... الرأى العام
Reading .... القراءة
Reality .... الحقيقة
Reason .... التفكير
Relation .... العلاقة
Religion .... الدين
Responsibility .... المسئولية
Revolution .... الثورة
Right ......(الحق (بمعنى الصواب
School .... المدرسة
Science .... العلم
Scientific Method الطريقة العلمية
Security .... الامن
Self .... النفس
Selfishniss .... الاثرة
Skepticism .... الارتياب
Social Psychology علم النفس الاجتماعى
Society .... المجتمع
Soul .... الروح
Speech .... الكلام
State .... الدولة
Stimulus and Response المثير والاستجابة
Symbols .... الرموز
Teaching .... التعليم
Theory .... النظرية
Thinking .... التفكر
Tolerance .... التسامح
Truth (الحق (بمعنى الصدق الفعلى
Understanding .... الفهم
Universe .. .. الكون
Value .... القيمة
War .... الحرب
Wisdom .... الحكمة
Words .... الكلمات
Work .... الشغل
World .... العالم
Youth .... الشباب